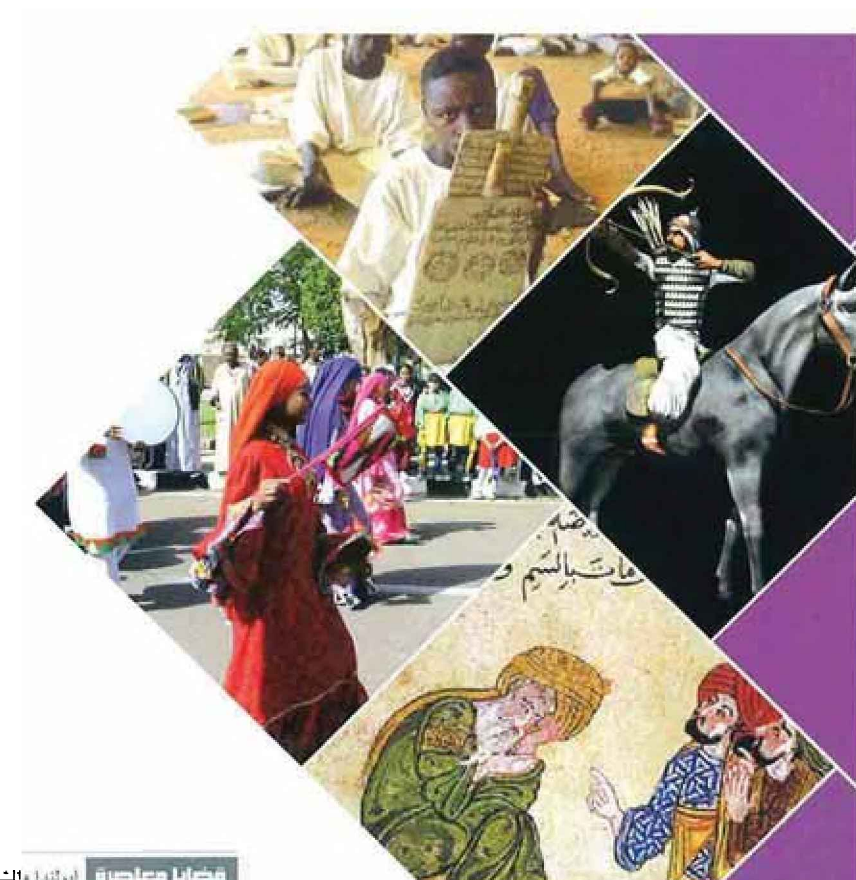
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٦٧ - المحرم ١٤٢٨هـ - يناير/فبراير ٢٠٠٧م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 367 -Janu/Feb. 2007

- أزمة المثقف الإفريقي باللسان العربي
- إيرلندا والشرق الأوسط
- الأسبتارية وفرسان المعبد







مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٦٧- المحرم ١٤٢٨هـ ، يناير/فبراير ٢٠٠٧م

ALFAISAL MAGAZINE - No.367 Jan./Feb 2007

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، ولكن لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر عن عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي: «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

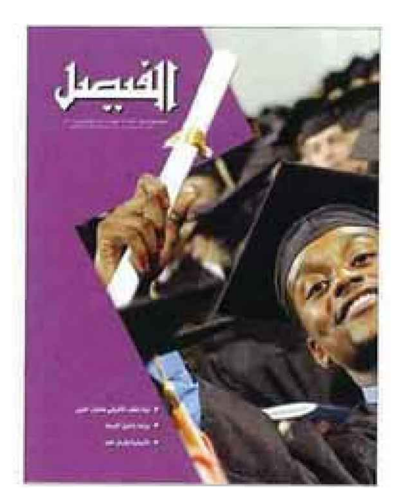
السعودية ١٠ ريالات، الكويت ٨٠٠ فلس - الإمارات ١٠ دراهم، قطر ١٠ ريالات، البحرين دينار واحد - عُمان ريال واحد - الأردن ٧٥٠ فلس - اليمن ١٠٠ ريال - مصر ٥ جنيهات - السودان ١٥٠ دينارًا، المغرب ١٠ دراهم - تونس ٢٥٠. ١دينار - الجزائر ٨٠ دينارًا - العراق ٨٠٠ فلس - سورية ٤٥ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف٨٧١٤٤٩٤:(٠١)- فاكس ٨٧١٤٤٦٠:(٠١)- مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء - هاتف ٢٣٩١٠٩٥، فاكس ٢٣٩١٠٩٦، ٢٠٢٠٠ - سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٤١٨، فاكس ٢١١٢٥٣٢، ١١. ٠٠٩٦٣ - تونس - الشركة التونسية للصحافة، النهج المغرب - ص ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٣٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩، ٧١ - ٠٠٢١٦ - قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٦٩٥ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤ - الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية، ص ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢، ٦. ٠٠٩٦٢ - البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٢١٢٨١ - ٠٠٩٧٣ - الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧، ٤ - ٠٠٩٧١ - الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٩ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩، ٠٠٩٦٥ - المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣٣/٢١/٢٠٤٠٤٢٢٤، ٠٠٢١٢ - ت ٢٤١٠٠٢٣٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت ٢٠١٩٠١/٩ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







أزمة المثقف الإفريقي باللسان العربي

إن أكثر الأفارقة الوافدين إلى الدول العربية فهموا، بعد تجربة شخصية، وقناعة داخلية أن المعركة الحضارية بين الغرب والعروبة في إفريقيا ما وراء الصحراء، قد انتهت لمصلحة الغرب، هذه القناعة قد لا يعبرون عنها بأقوالهم، ولكنهم يعبرون عنها بأفعالهم وأحلامهم، مثل: نزعتهم المبالغ فيها إلى تدارك ما فاتهم من اللغات الغربية، وإهمال كل ما هو عربي وإسلامي.
ماذا عن الجوانب الأخرى لأزمة المثقف الإفريقي باللسان العربي

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧، ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

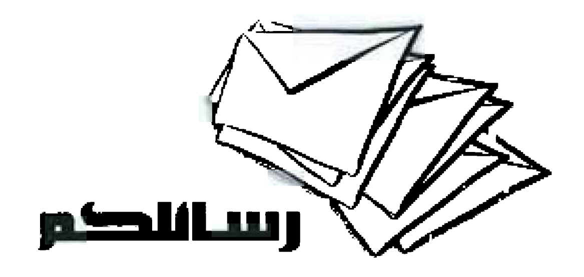
١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٣

ردمد ١١٤٠ - ٠٣٥٨



عودة

أعود إلى مجلتي الحبيبة «الفيصل» بعد غياب لأسباب خارجة عن الإرادة كالاهتمامات، وضرورة المذاكرة، والمراجعة. وأجد الجو اليوم مشجعًا على الكتابة إليكم، إذ أستمتع بزخات المطر، وروعة الطبيعة.

أشكر لكم إهداءكم عددين من قبل، ولعلي أطمع في الأعداد الأربعة التي فاتني اقتناؤها بسبب الظروف.

ومازلت أؤمل في أن يجد شعري طريقه إلى مجلتكم، وأظن أن صغر سني (١٩ عامًا) لن يكون عائقًا أمام النشر.

وقد أعجبتني لوحتان كانتا مع قصة «الجار» في العدد ٣٥١، وقصة «عالم الطقس المجنون» في العدد ٣٥٤، فهل يمكن أن أحصل عليهما؟ أكرر لكم تحياتي.

حميدي لينده

بني دوالة - سيدي

وزو - الجزائر

التحرير:

نشكر لك اهتمامك ومتابعتك، نرحب بشعرك، ولن نأمل كتابته بخط واحد، وإرساله منفصلاً عن رسالتك، ولن يكون صغر سنك حائلاً إذا كان ماتكتبين مستوفيًا شروط النشر

مزج بين السياسة والأدب

بداية، وبمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك أتمنى لكم ولجميع أسرة مجلة الفيصل الموقرة عيدًا مباركًا وأنتم بخير.

أود أن أثمن مقالة الأستاذ حفيظ الرحمن الأعظمي تحت عنوان «التسامح الغربي بين الحقيقة والادعاء» المنشورة في (العدد ٣٦٦) إصدار ذي الحجة سنة ١٤٢٧هـ في ركن «قضايا معاصرة».

الحقيقة أن المقالة جاءت شاملة وداحضة لتشدق الغرب بنظرية التسامح التعميمي من دون مراعاة للفوارق الثقافية والتاريخية والحضارية للآخر.

المقالة اختتمت بسؤال تحصيلي عندما أشار الكاتب إلى أن العقل الغربي كان ولازال يسمع بعقل غير عقله. فهل يمكن للعقل الغربي الطامع في ثروات المسلمين أن يكون متسامحًا؟

لابد من الإقرار أن أهم ما يشدني في أركان مجلة الفيصل ركن قضايا معاصرة الذي مزج بين الثقافة السياسية إن صحت العبارة، وبين المدلول الأدبي المبسط السلس فكان المنتوج مقالات سياسية تثقيفية مبسطة جمعت فأوعت، وأنارت سبيل المثقف المثخن بقضايا

الأمة المعاصرة من خلال رؤى ومواقف تمثل باكورة الإنتاج الأدبي السياسي. فشكرًا على هذه المقالات المتميزة.

صدر لمجلة العربي كتاب جمع حلول مسابقة العربي لفترة عن خمسين سنة في أركان مبوبة. الحقيقة أن الكتاب تحفة مبسطة للقارئ بغض النظر عن مستواه الثقافي. من هذا المنطلق أرى أن تحذو مجلة الفيصل حذو العربي، وتصدر كتيبًا يشمل حلول أسئلة المسابقة في شكل تحديثي ومبوب لما فيه فائدة القارئ.

فيما يخص مجلة الفيصل العلمية أرى ضرورة توافرها في المكتبات والأكشاك أو إصدار ملحق علمي مبسط لدعم المعرفة العلمية للقارئ، خاصة أمام هذا الكم الهائل من المعلومات والتجارب العلمية. ولكم سديد النظر.

نبيل البواب

المنستير . تونس

التحرير:

نشكر لك اهتمامك، وإسهامك بالتعليق، ونأمل أن تظل المجلة دومًا عند حسن ظن قرائها. اقتراحاتكم ستكون محل عنايتنا واهتمامنا، شاكرين لك هذا التواصل مع محبتك الفيصل.

ردود سريعة

الأخ الأستاذ زياد حمود الحسين ـ جامعة دمشق ـ سورية:

نعتذر لك عما حدث من خطأ طباعي غير مقصود في كتابة اسمك الأول في موضوعك «مساجد دمشق الأثرية»، ونشكر لك تواصلك وإطراءك على الشكل الذي ظهر به مقالك.

الأخ محمد خالد أبا زيد ـ الرياض:

لا نهتم كثيرًا باسم كاتب المقال ومدى شهرته بقدر الاهتمام بالموضوع المرسل، لذا نرحب بكتاباتك، ونأمل أن تجاز للنشر، وترى النور على صفحات المجلة.

الأخ محمد صلاح خليل ـ خميس مشيط ـ السعودية:

نقول لك ما قلناه في الرد السابق، ومجلة «الفيصل الصغير» مشروع قديم متجدد، نأمل أن يجد طريقه إلى حيّز الوجود، لتشتمل المجلة على مشاركات أمثالكم الشباب من المتحمسين للكتابة والنشر، ونشكر لك هذا الاقتراح الذي تراه نافذة للأجيال الصاعدة.

الأخت هاجر إبراهيم ـ القاهرة ـ مصر:

المجلة موجودة في السوق المصري، وقد تكون هناك منافذ توزيع محددة، إلا أننا نأمل في زيادة الكمية المخصصة لعدد من الدول التي يرتفع فيها توزيع المجلة، ونشكر لك تواصلك واهتمامك.





إيرلندا والشرق الأوسط

بيرتي أهيرن

الرياض ـ السعودية

لي عظيم الشرف بالدعوة التي وجهتها لي مؤسسة الملك فيصل الخيرية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية للتحدث أمام هذا الجمع المتميز عن علاقات إيرلندا بدول الشرق الأوسط وشعوبها.

إن هدف زيارتي للمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، هذا الأسبوع، هو تعزيز الروابط الاقتصادية والسياسية وتنميتها بين بلداننا. ففي الماضي كان تركيزنا في التعاون في القطاعات الإنشائية، والطبية، والتعليمية، والزراعية. بينما يشير الوفد التجاري الكبير القادم معي من إيرلندا إلى عمق هذه التجربة. غير أنه يشير أيضًا إلى التحول الضخم الذي طرأ على الاقتصاد الإيرلندي في العشرين سنة الماضية، والذي شرع الأبواب لمجالات جديدة غير مسبوقة من الإنجاز والفرص للشركات الإيرلندية، وآفاق جديدة للشراكة مع منطقة الخليج وما بعدها.

ففي الاقتصاد المبني على المعرفة العالمية تتجلى الموهبة البشرية والإبداع كموردين أساسيين.

الاحترام المتبادل

لقد ساعدت ثورة الاتصالات على تغيير بلدنا بصورة أكثر تسارعًا في العقدين الماضيين؛ وهذا ما كان عليه الحال في أي فترة مضت من تاريخنا. وإنني لعلى ثقة



بأنكم أيضًا ترقبون أنها أساس الحيوية الجديرة بالملاحظة في منطقة الخليج في السنوات الأخيرة، إذ إنها تتحول إلى مركز تجاري ومالي عالمي، إن التحدي المشترك أمامنا هو تسخير هذه الثورة لمصلحة أجيالنا الشابة الطموحة، والتغلب على العوائق التي فرّقت شعوبنا في الماضي. وتشجيع تقاسم المعرفة مع الحرية في التغيير. وهذا المسار ينبغي له الوقوف على قاعدة من الاحترام الحقيقي، لمعتقدات كل طرف وتقاليده وثقافاته.

وبنظرة أشمل، فإنني لعلى قناعة بأن مبدأ الاحترام المتبادل هو الأساس لجميع أوجه العلاقات بين إقليمينا، أي: أوربا والشرق الأوسط اللذين يرتبطان بشكل لا ينفصم بالجغرافيا وبالتاريخ، وبتقاطع ثقافي وديني لآلاف الأعوام. إن إيرلندا دولة حديثة وتعددية. ونعتقد أن حقوق الإنسان الأساسية غير قابلة للتحويل. وفي الوقت عينه فإننا نقبل بأنه سيكون أكثر فاعلية عن طريق الحوار والتعاون أن يكون بمقدور جميع الدول، وبمهلة من الزمن، أن تفي بالمعايير التي ألزمت نفسها بها كأعضاء في الأمم المتحدة.

ويبدو لنا ـ نحن في إيرلندا ـ أنه من السهولة التفاعل



جانب من الحضور

مع شعوب هذه المنطقة. وهذا ما أكده لي كثير من الإيرلنديين الذين يعيشون ويعملون هنا الآن. إن ثقافتينا تتسمان كلاهما بالأهمية التي توليها لقيمة العائلة وكرم الضيافة، والروح الودود وتبادل الحديث.

المناداة بفلسطين المستقلة

إضافة الى ذلك، فإن إيرلندا - خلافًا لكثير من شركائنا الأوربيين - قد جرى استعمارها ولم تكن مستعمرة لأحد. لقد نلنا استقلالنا في زمن مقارب للزمن نفسه الذي تأسست فيه دول الشرق الأوسط الحديثة - بما فيها المملكة العربية السعودية نفسها. ولتعاطفنا الدائم مع المحرومين، فقد كنا أول دولة عضو في الاتحاد الأوربي تنادي بشكل لا لبس فيه بدولة فلسطينية مستقلة - وقد نادى بذلك وزير خارجيتنا حينها الراحل برايان لينيهان في عام ١٩٨٠م بالبحرين. وقد عملت قوات المشاة الإيرلندية في مهمات متعاقبة تابعة للأمم المتحدة في الشرق الأوسط طوال خمسين سنة.

لذا فإن اهتمامنا بالشرق الأوسط لا ينحصر بأي حال من الأحوال في البعد الاقتصادي. وعند مقاربتنا لمشكلات الإقليم السياسي، فإننا نقوم بذلك، وخلفنا سجل طويل من التفاعل المتعاطف وبمنظور مميز.

لقد أصبح من الأمور العادية وصف الوضع في الشرق الأوسط بالمتفجر، والوضع الذي لا يمكن التنبؤ به والخطير. وبما أن ذلك قد يكون صحيحًا، فإنه - قطعًا - ليس كل الحقيقة. فقد يقوم المعلقون - أحيانًا - بنسبة هذه الخصائص ليس فقط إلى المنطقة بل إلى شعوبها. فالمشكلات توصف بأنها تصعب معالجتها، والشعوب بأنهم غير عقلانيين، وتوصم مجتمعات برمتها بأنها معتدلة، أو متطرفة، أولئك الذين لا يمكن التعاطي معهم. والحقيقة - بالطبع - هي أن هذه منطقة نابضة بالحياة تاريخيًا لمختلف الشعوب - الينبوع الثقافي لكثير نقدره نحن في أوربا اليوم. ولقد ظلت هذه المنطقة ربما أكثر سعادة، أو أكثر رهقًا بفعل التاريخ أكثر من أي منطقة أخرى في العالم.

التزام المجتمع الدولي

إن النزاعات العالمية للقرن العشرين قد خلفت أثرًا عميقًا في الشرق الأوسط، وإن العواقب غير المحسومة ليست فقط مسؤولية شعوب المنطقة، إذ إن هناك التزامًا تاريخيًا على عاتق المجتمع الدولي، خصوصًا على عاتقنا، نحن جيرانكم الأوربيين، للعمل معًا مع جميع شعوب هذه



المنطقة. لصياغة تسويات سياسية سوف تمكنهم في الأخير من العيش معًا في سلام وأمن وازدهار. وينبغي لنا جميعًا امتلاك المخيلة السياسية لاستشراف اليوم الذي ستجنى فيه جميع شعوب الشرق الأوسط ثمرات ثرواتها الطبيعية. ببناء منطقة ازدهار وتقدم عوضًا عن منطقة نزاع. اليوم الذي يكون بمقدورهم معًا تأدية دور عالمي في التنافس مع اقتصادات العالم الكبرى. وأن يكونوا مصدرًا للمساعدة والإلهام للعالم الأقل نموًا.

إن الوضع في مجمل الشرق الأوسط اليوم لا يزال يمثل الخطر الكبير الأوحد للسلام العالمي. وإن هناك حاجة ملحة إلى تسوية شاملة للمشكلات المتداخلة للمنطقة أكثر من أي وقت في الستين عامًا الماضية. وينبغي أن يكون في قلب هذه التسوية حلّ متفاوض عليه لدولتين للصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

ويظل هذا من أبرز تحديات السياسة الخارجية التي تواجه الاتحاد الأوربي. وأنه على رأس أجندة سياسة إيرلندا الخارجية. كما هو متبع في علاقاتنا الثنائية مع شركائنا في الاتحاد الأوربي. وفي الأمم المتحدة. إن مقاربتنا الإجمالية كدولة صغيرة وحديثة نسبيًا قد تأسست بتماسك وبالتزام قوي للحل السلمي للنزاعات الدولية. وبتطبيق مبادئ القانون الدولي. والعدالة الدولية. وسنظل ملتزمين بشدة المبادئ الجمعية (متعددة الأطراف) حتى عندما توصف العوائق التي تحول من دون تطبيقها بأنها من النوع الذي لا يمكن تذليله.

رؤية للمسألة الفلسطينية

ولا توجد هناك حلول عسكرية. أو أحادية الجانب يمكنها توفير سلام دائم. أو أمن. أو عدالة لأي أحد. فبعد سنة أخرى مرعبة من الآمال المجهضة يعرف الشعبان الإسرائيلي والفلسطيني هذه الحقيقة في أفئدتهم أكثر من أي شخص آخر.

إن مسألة فلسطين ليست بالطبع هي السبب الوحيد. أو حتى الأساسي لكل المشكلات المتبادلة في الشرق الأوسط. بل إنها تؤثر في كل واحدة منها. بدرجة أقل أو أكثر. إن حلها ليس فقط أمر تاريخي وأخلاقي واجب. بل إنه سيقوم بتغيير الاحتمالات للمنطقة بمجملها. إن الواقع والحقيقة بالنسبة إلينا - نحن الأوربيين - أن أكثر الاختبارات دقة لمقدرتنا على العمل شراكة مع شعوب الشرق الأوسط في القرن الحادي والعشرين ستكون في مدى المساهمة. التي يمكننا القيام بها في إنشاء دولة فلسطينية ذات سيادة مستقلة وديمقراطية تعيش في

سلام وأمن حقيقيين مع إسرائيل، وجيرانها الآخرين.

لقد أظهرت الأحداث المأساوية في عام ٢٠٠٦م، بشكل حاسم، أن تبني مقاربات أحادية الجانب لتقاسم شعبين مساحة صغيرة من الأرض مصيرها الإخفاق. لقد أضحت ملامح التسوية الدائمة الممكنة والوحيدة الآن واضحة بجلاء. لقد تمت صياغتها بصورة لا تقبل الالتباس في قرارات مجلس الأمن بمؤتمر مدريد، وفي اتفاقيات أوسلو، وفي خريطة الطريق الرباعية.

في الرياض في هذه الأمسية اود ان احيي شجاعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ورؤيته في دفع البيان التاريخي لمؤتمر القمة ببيروت في عام ٢٠٠٢م وتطويره. لقد شكل البيان تحركًا سياسيًا استثنائيًا من قبل الدول العربية، وهذا الأمر لا يمكن تجاهله. وارحب بالتصريح المهم لرئيس الوزراء أولمرت في الأسابيع الأخيرة بأنه على استعداد للتعاطي مع الدول العربية واستكشاف بيان القمة العربية على نحو أكثر. وسيعزز هذا على نحو مؤكد وضع الشعب الفلسطيني في سعيهم إلى نيل حقوقهم إذا قُيض لحكومة حماس الآن التحلي بالشجاعة والثقة بالنفس للقبول على نحو واضح وجلي بالمبادرة العربية ودعمها عوضًا عن انتظار الآخرين لتقديم صياغات جديدة للمصطلحات نفسها من أجل التوصل إلى تسوية.

لقد ظل الاتحاد الأوربي طوال الثلاث عشرة سنة الماضية الداعم الأكبر لعملية أوسلو، عبر دعمه إقامة مؤسسات دولة فلسطينية مستقبلية. وبكل أسف توقفت عملية اوسلو في وجه اعتقاد بين الإسرائيليين بأنها لا توفر لهم الأمن، وبين الفلسطينيين بأنها قد طُبقت بصورة غير متوازنة لم تنجح في القيام بأي تحسن في حياتهم اليومية. الشيء نفسه ينطبق على خريطة الطريق الرباعية التي هي الآن معطلة مؤقتًا. غير أنها تُمثل حزمة المبادئ والحلول الوسط التي يتعين على كلا الطرفين الاشتغال عليها بالتوازي إذا تسنى للتسوية أن تتم.

لقد ظل الاتحاد الأوربي يعلن وبوضوح تام أن على إسرائيل والسلطة الفلسطينية العمل بالتزامهما بموجب خريطة الطريق، وبموجب القانون الدولي. ويستوجب هذا توقفًا نهائيًا لجميع أشكال العنف في داخل الأراضي المحتلة. ويفرض هذا التزامات على كلا الطرفين. كما يستتبع ذلك توقفًا نهائيًا للتوسع في المستوطنات، وبناء الحاجز الأمني على الأرض الفلسطينية وجميع الأنشطة في وحول القدس الشرقية المخالفة للقانون الدولي، التي تهدد - على نحو متزايد - قابلية الحياة لحل الدولتين. إن لدى الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني الحق المطلق في العيش بسلام وأمن. ولن تستطيع الهجمات الإرهابية أبدًا توفير ذلك، بل ولا ردود الفعل الأمنية التي - على المدى الطويل - تسهم فقط في توليد المرارة، وانعدام الأمل وسط جيل آخر من الشبان الفلسطينيين.

إن التحدي الأساسي - اليوم - هو استجماع الإرادة السياسية، التي هي غير متوافرة حتى الآن لإنهاء الورطة الخبيثة من الإخفاق الكامل في عملية السلام. لقد قام الاتحاد الأوربي ودوله الأعضاء، بما فيها إيرلندا، بزيادة مساعداته للشعب الفلسطيني العام الماضي. وفي حالتنا

إن شعب العراق فخور بميراثه كمهد للحضارة، وأن احتياطيات العراق من الموارد الطبيعية هي موضع حسد العالم، إلا أن شعبه قد عانى عقودًا من أبشع أنواع الدكتاتورية والحرب والشقاق الداخلي. إنهم يعانون اليوم على نحو بالغ

نحن بنحو ٤٠ بالمائة. غير أن الوضع الإنساني خصوصًا في غزة، اليوم، لا قابلية له على الاستمرار. إن إطارًا سياسيًا ذا مصداقية للحوار بين الطرفين، ومدعومًا وممهدًا دوليًا، يمكنه فقط توفير الأمل بأن يفلح الفلسطينيون في التغلب على الأزمات المباشرة. ويستطيع الشعبان الإسرائيلي والفلسطيني فقط، عبر مقاربة مثل هذه، إعداد مستقبل واعد لأطفالها.

ولكن كيف يمكن نيل ذلك في ضوء نقطة الجمود الخطيرة الحالية؟ طوال العام الماضي كان ثمة تركيز في تداعيات فوز حماس في الانتخابات التشريعية الديمقراطية الفلسطينية. ولم يجادل أحد بأن حماس فازت بالانتخابات بسبب معارضة الشعب الفلسطيني للحل المبني على دولتين، وكان الفوز نتيجة سياسات داخلية، وغضب لفشل عملية السلام. لقد جرى الحديث بأن عملية أوسلو كان مقدرًا لها النجاح إذا تم تطبيقها من قبل الطرفين تمامًا، مثلما كان التصور قبل ثلاثة عشر عامًا، وفق التقيد بالجدول الزمني المتفق عليه. إن الفرص الضائعة ليست هي أبدًا نهاية القصة. لقد عارضت حماس عملية أوسلو غير أنها أظهرت قدرًا من البراغماتية السياسية بصورة كافية بإدارتها وقفًا فعالاً لإطلاق النار، وباستخدامها لمؤسساتها لدخول الحكومة عبر الوسائل الديمقراطية.

إن الطائفية المذهبية تتغذى من عدم الثقة، وانتفاء الاستقرار السياسي، والتوترات بين المجتمعات، وإنها ملمح لا يتميز به مجتمع أو معتقد ديني معيّن. ففي حالة إيرلندا الشمالية نزاع كثيرًا ما يوصف بطريقة فيها تبسيط بأنه طائفي مذهبي

لقد ظلت رسالتنا الثابتة طوال العام الماضي بأنه ليس في الإمكان المقاربة عن طريق مسارين، يجب على حماس إكمال التحول من العنف إلى السياسة: وعليها قبول منطق العملية التي دخلتها: والتزام مفاوضات الحل المبني على دولتين. ويعرف الفلسطينيون جيدًا من تاريخ الأعوام الستين المنقضية انه يوجد هناك من هم على استعداد لاستغلال معاناتهم من أجل تحقيق أغراضهم السياسية، سواء داخليًا أو إقليميًا أو دوليًا. ولم يسع الشعب الفلسطيني من يجسد هذا الدور المركزي السياسي، بل إن لديهم الفرصة الآن في دعوة المنطقة والعالم لضمان تسوية تستجيب لمصالحهم كشعب.

وفي الشهور الأخيرة قدمنا دعمًا قويًا للجهود الشجاعة للرئيس محمود عباس للتفاوض حول حكومة وحدة وطنية فلسطينية بهدف التوجه نحو مفاوضات مبكرة وذات معنى مع إسرائيل.

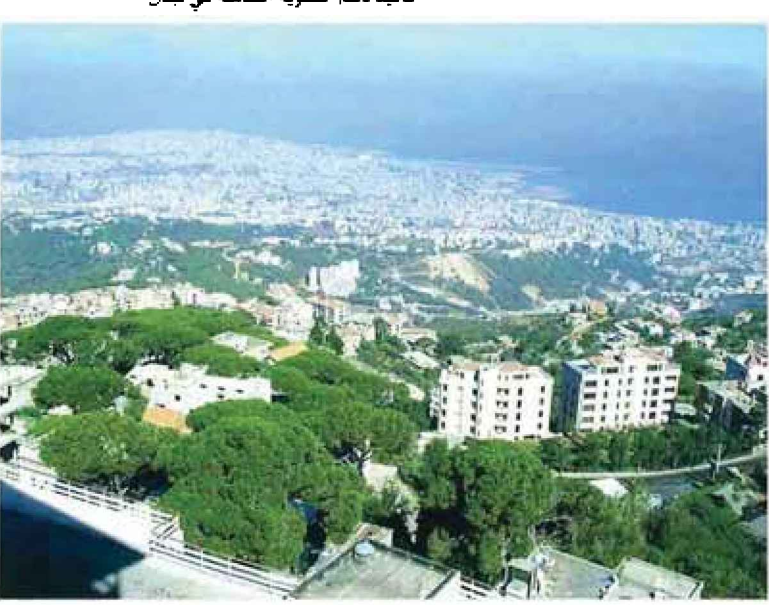
وعلى الرغم من الصعوبات والمعوقات فإننا نظل داعمين لكل الجهود لإعادة خلق إجماع سياسي فلسطيني حول مفهوم الحل المبني على دولتين. فأولاً وقبل كل شيء على الفلسطينيين، وفي هذا الزمن المتقلب، تجنب العنف المؤدي إلى القتل بين الإخوة والانزلاق إلى حرب أهلية كارثية. إن المجابهة المسلحة بين الفلسطينيين لن تخدم مصلحة أحد سوى أولئك القاصدين نشر الفوضى، وانعدام الثقة والكراهية في أرجاء المنطقة. وسوف تزيد من التباعد بين الإسرائيليين والفلسطينيين أكثر فأكثر، وسوف تجعل إمكانية التسوية السلمية عسيرة المنال، ومستحيلة البقاء. ومثلما هو وهم بالنسبة إلى حماس بأن تتظاهر بأن هناك بديلاً عن الحل التفاوضي لدولتين فإنه من المؤكد انه وهم مماثل الاعتقاد أن آراء حماس ومصالحها ومؤيديها يمكن استبعادهم أو تجاوزهم. وفي الوقت نفسه فإنه يجب أن يكون واضحًا بأنه ليس لدى

أي طرف، في أي موقع كان، حق الاعتراض على مسيرة التقدم أو إملاء شروط أية تسوية من جانب واحد.

لقد أوضح الرئيس عباس تصميمه على العمل من أجل إعادة إحياء عاجلة للعملية السياسية، وإن اجتماعه الأخير برئيس الوزراء أولمرت كان خطوة أولى مهمة. غير أن النتائج المحسوسة مطلوبة على نحو عاجل، والحكومة الإسرائيلية لديها مسؤولية خاصة في هذه النقطة، بما في ذلك علاقتها بوعودها حول منح أكبر في الحركة والدخول، وفك تجميد إيرادات الضرائب.

إن المفاوضات يمكنها أن تجري فقط بين الطرفين أنفسهما. غير أنه يبدو من المؤكد الآن أنه ما لم يبادر المجتمع الدولي نحو الفعل فلن تبدأ العملية من تلقاء نفسها، وسيكون دور اللجنة الرباعية الدولية حيويًا في الفترة المقبلة. إن الاتحاد الأوروبي مصمم على اتخاذ المبادرة بناء على المواقف المحددة التي تم التشاور حولها

تأكيد دعم التسوية الشاملة في لبنان



يرغب الاتحاد الأوربي أيضًا في حوار سياسي حقيقي مع إيران. وينبغي على الاتحاد الأوربي وإيران أن يكونا شريكين وثيقين. غير أننا نحس بقلق كبير نحو الأثر السلبي للسياسات الإيرانية في استقرار المنطقة

مع دول المنطقة، ومع شركائنا الدوليين طوال العشرين السنة الماضية. وليس سرًا أن اللجنة الرباعية في حاجة إلى إعادة تنشيط، وتحتاج إلى العمل بنحو وثيق مع دول المنطقة، بما فيها المملكة العربية السعودية.

إنني أرى أن هناك قدرًا كبيرًا من الاستحقاق في الفرضية القائلة: إن الرباعية تتجه الآن، وبوضوح تام، إلى تحديد العناصر التي يجب أن تشملها أية تسوية دائمة. وسوف لن تفاجئ الطرفين، غير أنه من المهم أن نبرهن أن المجتمع الدولي مستعد - حاليًا - للعمل بقوة لتشجيع تسوية تنهي احتلال عام ١٩٦٧م، وأن ينهض بأعباء قيام دولتين سيدتين وقابلتين للبقاء ومستقلتين: إسرائيل وفلسطين على أساس حدود عام ١٩٦٧م، ويجب أن تشمل حلاً عادلاً لقضية اللاجئين الفلسطينيين. كما يجب عليها أن تتضمن اتفاقًا - بغض النظر عن تعقيداته - حول الوضع النهائي للقدس، المدينة المقدسة لليهود والمسلمين والمسيحيين، التي لديها أهمية سياسية عليا لجميع الإسرائيليين والفلسطينيين.

إن تحديد التسوية الشاملة يتطلب اشتمالها على جميع الأطراف التي لها مصلحة. وإذا كانت الكميات ذات القيمة المتغيرة واضحة ومقبولة من الجميع فإن احتمالات الحوار الحقيقي تفتح بصورة درامية. نحن في أمس الحاجة إلى التركيز، على نحو عاجل في السبل المفضية إلى تطوير بنّي للحوار الذي يمهد الأساس للتقدم الحقيقي.



أحد المصانع في إيرلندا . الحرص على تطوير العلاقات الاقتصادية مع الدول العربية

الالتزام نحو لبنان

في كل اجتماع للمجلس الأوربي الذي أكون فيه حاضرًا، وفي جميع مباحثاتي مع رؤساء الوزراء في أنحاء أوربا هناك

> إن إيرلندا ملتزمة تمامًا معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. وقد أخذت إيرلندا زمام المبادرة في الأمم المتحدة في أواخر الخمسينيات، التي تكللت بولادة معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية في عام ١٩٦٨م

تلهف كبير إلى القيام بدور بناء في الشرق الأوسط. قائم على الحاجة إلى تسريع التقدم نحو تسوية شاملة. إن الاتحاد الأوربي على استعداد لدعم تسوية مثل هذه، مهما اقتضت الضرورة. ففي الصيف الماضي في لبنان قدمنا البرهان بوضوح على إرادتنا للعمل حسب مواقفنا المعلنة. ويقوم الاتحاد الأوربي بتوفير الجزء الأهم في قوة اليونيفيل الجديدة. وتضطلع إيرلندا بدورها في الوفاء بالتزامها الطويل الأجل نحو لبنان، ونحو قوات الأمم المتحدة للحفاظ على السلام. وليس لدي شك أن تسوية في الشرق الأوسط ستضمن مطالب نحو أوربا للبرهنة على صحة طموحاتها، بصياغة سياسة خارجية فاعلة وديناميكية أمنية ودفاعية

مشتركة. إننا سوف نكون في أتم الاستعداد لمواجهة التحدي، وستقوم إيرلندا بدورها.

إن أي تسوية سياسية سوف تضمن استقلال لبنان وأمنه وسيادته لبنان. إن الأحداث الفظيعة في الصيف الماضي، والاضطراب السياسي المتواصل هناك تشير إلى هشاشة الوضع. إن الاتحاد الأوربي ملتزم بفعالية وقوة استقلال لبنان، وبالتطبيق التام لقرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، وبحل مشكلات البلد الداخلية حصريًا عبر العملية الديمقراطية. ولدى جيران لبنان دور مهم للقيام به.. فيجب على سورية على الأخص الآن البرهنة بنحو مقنع على التزامها سيادة لبنان واستقلالها، والكف عن التدخلات المستحقة. إن سورية لا غنى عنها لأي تسوية شاملة، ولديها مصلحتها الحيوية في استعادة أراض محتلة.

لقد ظلت أرض سورية التاريخية مركزًا للفكر السياسي والفعل في الفلسفة والدين والإنجازات الفنية عبر القرون. وقد كان لسورية أن تستعيد مكانتها في المنطقة، وفي العالم عن طريق تبني مقاربة بناءة وخلاقة لمشكلات الشرق الأوسط. وسوف تكون أوربا على أتم الاستعداد للعودة إلى الحوار والتعاون التام مع دمشق على هذا الأساس.

العلاقة مع إيران

ويرغب الاتحاد الأوربي أيضًا في حوار سياسي حقيقي متعدد الجوانب مع إيران. وينبغي على الاتحاد الأوربي وإيران أن يكونا شريكين وثيقين. غير أننا نحس بقلق كبير نحو الأثر السلبي للسياسات الإيرانية في استقرار المنطقة. ونعرف أن ذلك مصدر قلق عميق لجيرانها.

فقد طغت على علاقات إيران مع المجتمع الدولي في السنوات الأخيرة المسألة النووية، وأن الاتحاد الأوربي متحد في دعمه لحل دبلوماسي متفاوض عليه. ولا نسعى لحرمان إيران من حقوقها، ولكن علينا التأكيد والمصادقة على أن ممارستها لتلك الحقوق متسقة مع السلم والأمن الدوليين. إننا نأسف لأن إيران لم تلزم نفسها حقيقة المقترحات متعددة الجوانب، التي تقدم بها الاتحاد الأوربي في الصيف الماضي، ولكننا نؤكد مرة أخرى أن المسار الدبلوماسي يظل مفتوحًا. إنه يظل، وبلا تحفظ، مقاربتنا المفضلة. غير أننا - أيضًا - متحدون بقوة في المطالبة بأن تقوم إيران باتخاذ الخطوات المحددة، بوضوح كبير، من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية IAEA، ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فيما يخص برنامجها النووي. ونعلم أن تلك أيضًا هي مقاربة جيرانها الإقليميين المسؤولين.

إن إيرلندا ملتزمة تمامًا معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية كأساس للسعي إلى نزع الأسلحة النووية. وقد أخذت إيرلندا زمام المبادرة في الأمم المتحدة في أواخر الخمسينيات، التي تكللت بولادة معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية في عام ١٩٦٨م، ولم يتراخ التزامنا المعاهدة. وسنظل نعمل لضمان أن تكون هذه المنطقة خالية من جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل، كجزء من جهد أكبر لإنهاء التهديد النووي الدولي. وظللنا على قناعة بأنه، وفي هذه المنطقة، وكما في غيرها، نظامًا قويًا قائمًا على أساس القوانين ومتعدد الأطراف يبقى هو السبيل الأفضل للسعي

> أحيي شجاعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ابن عبدالعزيز آل سعود ورؤيته في دفع البيان التاريخي لمؤتمر القمة ببيروت في عام ٢٠٠٢م وتطويره. لقد شكل البيان تحركًا سياسيًا استثنائيًا من قبل الدول العربية، وهذا الأمر لا يمكن تجاهله

إلى الحفاظ والترويج للسلم والأمن الدوليين.

الوضع العراقي

ولدى إيران أيضًا دور مهم تقوم به. جنبًا إلى جنب مع جيرانها الآخرين في معالجة المأساة الماثلة للعيان في العراق. إن شعب العراق فخور بميراثه كمهد للحضارة، وأن احتياطيات العراق من الموارد الطبيعية هي موضع حسد العالم. إلا أن شعبه قد عانى عقودًا من أبشع أنواع الدكتاتورية والحرب والشقاق الداخلي. إنهم يعانون اليوم على نحو بالغ. وكثيرين منهم أضحت حياتهم اليومية أمرًا لا يطاق. وانقسمت المجتمعات العراقية كما لم يحدث من قبل. وأرغم كثير من الناس الذين يُعول عليهم في بناء بلدهم على الفرار، وأولئك الذين بقوا في بيوتهم يعيشون تحت تهديد مستمر بالعنف والخطف والموت.

إن عراقًا مستقرًا وآمنًا هو رافد مهم لشرق أوسط مستقر وآمن. ولأننا نستكشف الوضع البالغ الخطورة في العراق فإن أولويتنا ينبغي أن تكون رفاه الشعب العراقي المكون من جميع المجتمعات. إنه لمن الواضح أن هناك فشلاً كارثيًا في السياسة المنصبة على العراق. وبينما هناك كثير من الدروس التي يمكن استخلاصها من ذلك الفشل السابق فإن التركيز ينبغي أن يكون أولاً وقبل كل شيء في الحاضر والمستقبل.

إن الجهود الدولية والإقليمية الهادفة لمعالجة الأزمة الحالية في العراق ينبغي أن تؤسس على التزام متفق عليه أن مستقبل البلد يعتمد على الحفاظ على سيادته على أراضيه، وتطوير مؤسسات سياسية مشتركة، والترويج لمصالحة مجتمعية داخلية. وتعاون جميع الجيران الإقليميين - في جميع المجالات، السياسية، والاقتصادية، والأمنية - ولا يستطيع أي منا احتمال فظاعات أكثر، والانقسام والعزلة عن أمة العراق التاريخية.

> إن أي تسوية سياسية سوف تضمن استقلال لبنان وأمنه وسيادته. إن الأحداث الفظيعة في الصيف الماضي، والاضطراب السياسي المتواصل هناك تشير إلى هشاشة الوضع. إن الاتحاد الأوربي ملتزم بفعالية وقوة استقلال لبنان

الطائفية المذهبية

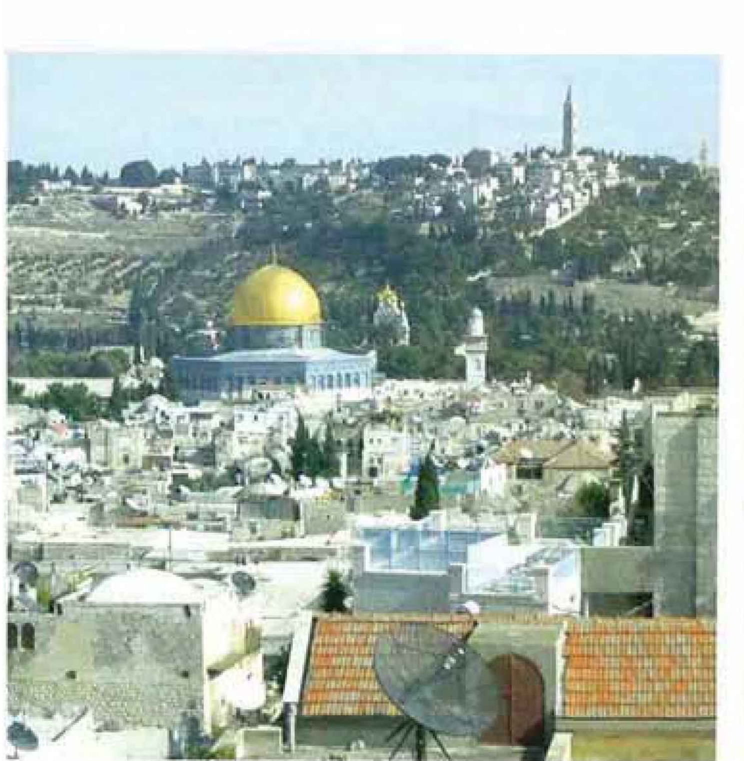
إننا في إيرلندا لسنا غريبين عن ظلام الخلافات الطائفية والمذهبية. إن الطائفية المذهبية تتغذى من عدم الثقة، وانتفاء الاستقرار السياسي، والتوترات بين المجتمعات. وإنها ملمح لا يتميز به مجتمع أو معتقد ديني معيّن. ففي حالة إيرلندا الشمالية نزاع كثيرًا ما يوصف بطريقة فيها تبسيط بأنه طائفي مذهبي. وبطبيعته لديه في الواقع جذوره في عدم مقدرة مجتمعين لهما ولاءاتهما المختلفة، وطموحاتهما السياسية في تقاسم الفضاء الجغرافي المحدد نفسه.

إن جميع النزاعات محددة الزمان والمكان. بلا طريق محتم يتقاطع من واحد إلى آخر. وليس لدى إيرلندا - بالتأكيد - نموذج لتوصي به الآخرين استنادًا إلى أخطائنا وإنجازاتنا في معالجة النزاع التاريخي في جزيرة إيرلندا وبين إيرلندا وأقرب الجيران بريطانيا العظمى.

إنني فخور مع ذلك أنه عقب عقود - قرون في واقع الأمر - من العنف وفقدان الثقة أفضت العملية السلمية لدينا في السنوات الأخيرة إلى نهاية العنف السياسي في إيرلندا الشمالية وإلى علاقات وثيقة أحدث، وودية بين دبلن ولندن. لقد أثمر تاريخ طويل من النزاع والشقاق



البحث عن حل لمشكلة الأسرى الفلسطينيين



الحوار من أجل السلام أساس حل القضية الفلسطينية

استيعاب ولاءات وطموحات متباينة. وإننا لمصممون في الأشهر القادمة على أن تقام المؤسسات السياسية بصورة آمنة في نهاية المطاف في إيرلندا الشمالية. وهذا الأمر يعد مؤشرًا على رغبة شعبنا في حل الخلافات حصريًا عن طريق العملية الديمقراطية السياسية. ولم تختتم العملية السياسية تمامًا بعد، لكننا قطعنا شوطًا بعيدًا في الطريق. لقد تم إطلاق طاقات شعبنا، وإن آفاقنا قد اتسعت إلى ما وراء أي تنبؤات قيلت حتى قبل عشر سنوات مضت.

أحد الدروس القليلة التي يمكنني استخلاصها أن الجهد المبذول لإقامة مسار سياسي للأمام، حيث كان ينظر للعنف يومًا من قبل بعضهم على أنه خيار أوحد بالنسبة إليهم، بمقدوره النجاح؛ لأنه يمنح مسار حياة جديدة للناس الأصغر سنًا. وإنه لمن المثير أنه، وعبر أوربا القارة التي وُصمت نهائيًا بالعنف والانقسام في التاريخ الحديث، أخذ الأمر جيلاً أو جيلين لتغيير المواقف.

إن أجيالنا الشابة - اليوم - يعلمون فقط من كتب التاريخ عن الانقسامات التي هددت بتدمير حياة آبائهم وأجدادهم. فمن مجتمع انعزالي، اتسم بالنزوع إلى الهجرة

والشقاق المجتمعي الداخلي. أصبحت إيرلندا مجتمعًا أوربيًا ديناميكيًا ومفتوحًا يرحب بأعداد كبيرة من الناس من الخارج من الذين يرغبون في العيش والعمل في بلدنا.

إننا نتكيف مع التحديات، وفرص الثقافات المتعددة. وإننا فخورون بصفة خاصة بالدور العظيم الذي يقوم به في مجتمعنا وفي اقتصادنا أعضاء الجالية الإسلامية المتنامية التي بلغ عددها الآن نحو ٤٠ ألف شخص. بعضهم من الشرق الأوسط، لكن كثيرين غيرهم من شمال إفريقية، وشبه القارة الهندية. هناك الآن في إيرلندا مسلمون أكثر من غيرهم من معتنقي الديانات والمذاهب الأخرى القديمة. وكثيرون، منهم قد أرسو جذورًا عميقة ومتواصلة في بلدنا.

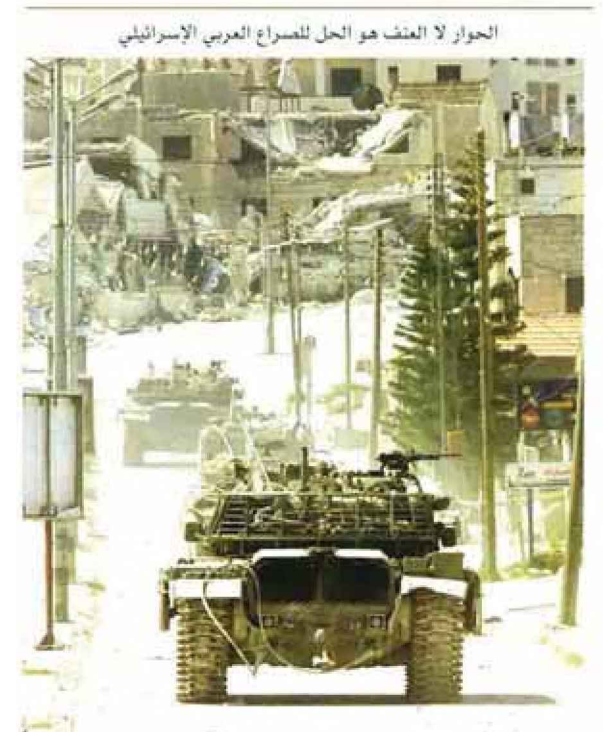
إن البقية منا لديهم كثير ليتعلموه من علاقتنا المتنامية مع الإسلام. إنني أعلم ليس فقط من اتصالاتي الخاصة مع قادة المجتمع، والقادة الدينيين أنه حقيقة دين تسامح وقبول. إنني أرحب بحقيقة أن الجالية الإسلامية في إيرلندا قد برهنت على الدوام لجيرانها وشركائها المواطنين ان هذا في الواقع هو ديدن معتقدها.

ومن جانبنا فإن الحكومة ستقوم بحماية حقوق معتنقي جميع الأديان والدفاع عنها، وغيرهم من الذين لا يعتنقونها. إننا نتطلع قدمًا إلى المشاركة الكاملة لممثلي الجالية الإسلامية في الحوار البنيوي بين الحكومة الإيرلندية والكنائس والمجتمعات الدينية، الذي سأقوم بتدشينه رسميًا في الأسابيع المقبلة.

في عملنا لتحويل اقتصادنا في إيرلندا أدركنا الأهمية القصوى للشراكة على المستويين الاجتماعي والسياسي.

إن الانفتاح على الشراكة هو أيضًا القاعدة التي يستند عليها الاتحاد الأوربي.

وخلال ترؤس إيرلندا الأخير الاتحاد الأوربي في عام ٢٠٠٤م، طورنا مفهوم استراتيجية الشراكة بين الاتحاد الأوربي وبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط، لم نقترح ميكانيزمات أو بنى جديدة، غير أننا ظللنا على قناعة ثابتة بأنه فقط، وعن طريق الاستكشاف والتحاور معًا حول مفهوم الشراكة يمكن لأوربا، والشرق الأوسط تجاوز العقبات التي تجابهنا للإيفاء بطموحات شعوبنا نحو حياة أفضل. وفوق ذلك باعتقادي أنه، وبالشراكة، يمكننا اقتناص الثمرة العسيرة للسلام الإقليمي بين أمم الشرق الأوسط وعلاقة جديدة بين إقليمينا.


الحوار لا العنف هو الحل للصراع العربي الإسرائيلي

محاضرة نظمها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

* نص محاضرة رئيس وزراء إيرلندا دولة السيد بيرتي اهيرن في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٤٢٧هـ (١٥ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧م)







المثقف الإفريقي باللسان العربي

انتحار من أجل المبدأ، أم خيانة لأجل البقاء؟

الحسن طه سعيد بن صالح جالو

مساكن - تونس

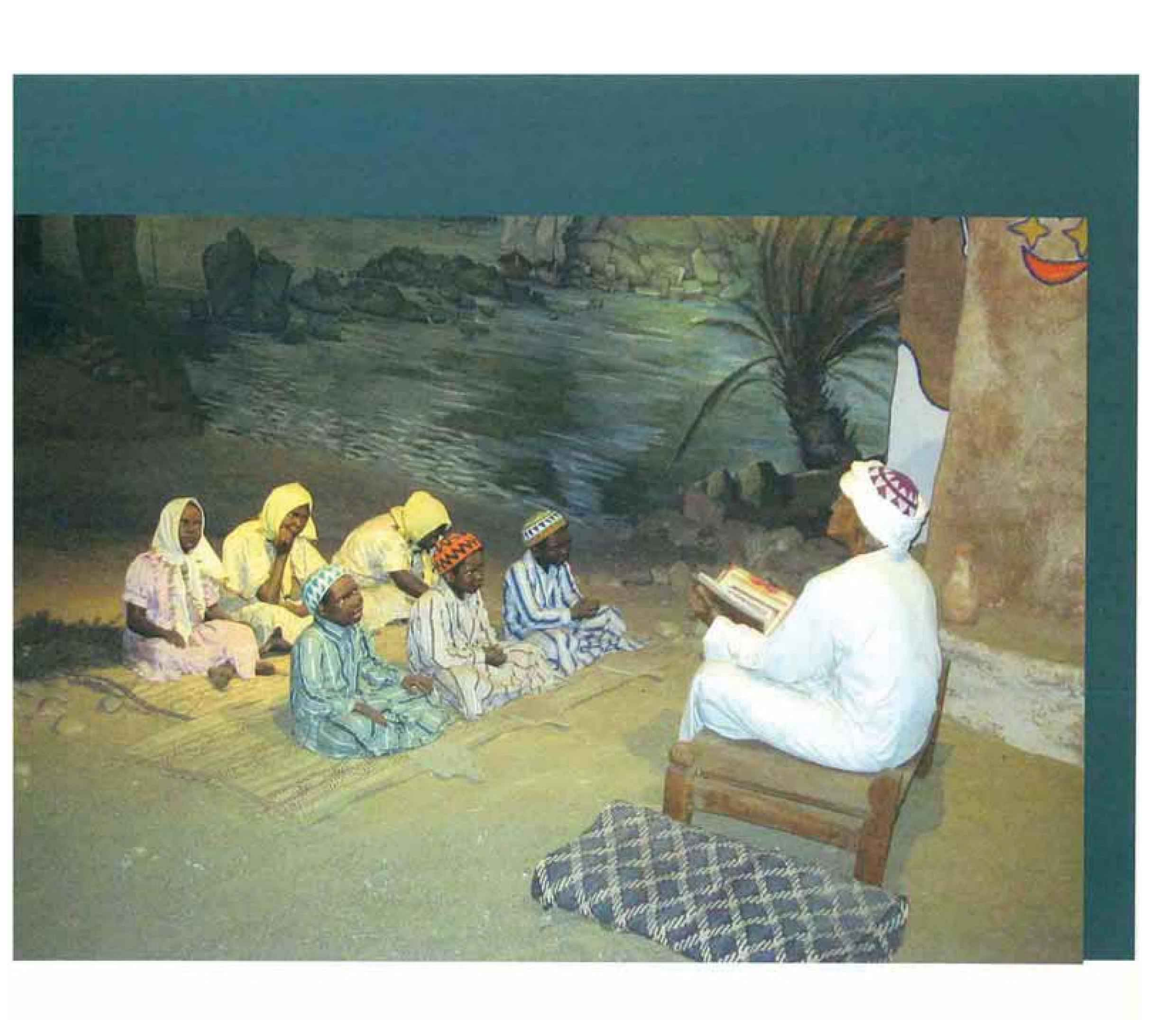
تواجه الثقافة العربية - اليوم - أصعب مرحلة في مسيرتها الوجودية، التي لم يتردد بعضهم إلى وسمها بالكارثة، أو الطوفان. فهي من حيث الجاذبية فقدت نسبة كبيرة من بريقها، إن لم نقل بريقها كله. ومن حيث الكفاءة، لم تعد تقدّم لروادها ذلك البعد العالمي والإنساني، الذي لابدّ لأي ثقافة تكافح من أجل حياة أفضل، وعالم أفضل، أن تأخذه في الحسبان. ولولا الإسلام لفقدت ثلاثة أرباع جمهورها المشتّت في القارات الخمس.

إلاّ أنّ هذا العامل - أيضًا - لم يعد مضمونًا، أو -على الأقل- مغريًا؛ وذلك بعد أن استطاع بعض المغرضين من الأجانب، وبعض أبناء الإسلام - مع أسف شديد - ربطه بالإرهاب ربطًا لا فكاك له منه. فوقعت الأوساط الإسلامية في سوء فهم رهيب، بين الإرادة الإلهية الحقيقية، وأدواتها الواقعية، بين تعهد المولى بحتمية الحفاظ على الكتاب والدين من حيث الجوهر، وضرورة ترك الثقافة حرة رقراقة، ومباحة في المجال الإنساني. وهكذا اختلط الحابل بالنابل فحار ذو اللبّ وسأل [1].

هذه الدراسة تبحث في وضع المثقف الإفريقي باللسان العربي. ما آماله وأحلامه؟ وكيف يمكن له العمل في بيئة فرانكفونية، أو إنجلوفونية معادية، مع تخاذل فاضح، أو تواطؤ واضح من أبناء الضاد أنفسهم؟ وما الآفاق المقترحة للمستقبل. إن كان له في المستقبل من أفق، أو أن السيل قد بلغ الزّبى؟

في التعريف كان الإشكال

من هو المثقف الإفريقي باللسان العربي؟: إنه من



الصعب جدًا أن نقوم بأي تعريف في العلوم الإنسانية من دون الوقوع في الأيديولوجية، ومن ثم الوقوع في المحظور: إذ إنك مضطر إلى القيام بعزل عناصر تراها ثانوية، وإبراز عناصر أخرى تراها مهمة، أي: عكس ما تقوم به الطبيعة من حيث التركيب والتجميع، وهذه هي الأيديولوجية بعينها(٢). السؤال المشار إليه يبدو للناظر في أول وهلة بسيطًا جدًا، ولكنه ليس كذلك. فالكلمات: الثقافة، والإفريقي، والعربي من الكلمات التي يتداخل فيها الدين مع القومية والتاريخ.. لتتحول إلى قنابل موقوتة، لذلك على كل من يتعامل معها أن يعرف ذلك جيدًا، حتى لا يقول: إنه قد فوجئ بما لم يكن يتوقعه.

قد تكون الثقافة أقل خطرًا من الأخريين، لذلك سأبدأ بها من دون الذهاب بها إلى فيافي العلماء، والفلاسفة، والأنثروبولوجيين المتشعبة، وسأكتفي بواحد فقط وهو الأنثروبولوجي البريطاني: إدوارد بورنت تايلور الذي ظل تعريفه للثقافة مقبولاً عند عدد لا بأس به من العلماء ورجال الثقافة، وذلك من

النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى اليوم. الثقافة عند تايلور هي: «.. ذلك النظام الكلّي المعقد، الذي يشمل العلوم، والفنون، والمعتقدات، والأخلاق، والقيم والعادات، وكل المكتسبات والمواهب التي اكتسبها الإنسان بصفته عضوًا في المجتمع»[٣]. وقد يكون هذا التعريف غير كاف، لكن لم نجد أحسن منه بعد.

أما الإفريقي، فقد يكون عند بعضهم مقدسًا، وعند الآخرين لبسًا وإهانة. فالأفارقة في جنوب الصحراء «السود» وبعض الأمريكيين من أصل إفريقي، يعدون هذه الكلمة جنسًا ولونا وتاريخًا وقومية، بل وهوية أيضًا. لذلك فهم يتنازلون عن هوياتهم الضيقة والصغيرة: من قبيلة وعشيرة وجنسية لصالح الهوية الإفريقية العامة[٤]. أما الأفارقة في شمال الصحراء أي العرب فلا يحبذونها؛ لأنها قد تعني عند بعضهم السواد، والحال أنهم يرون أنفسهم بيضًا. كما أنها نسبة إلى الأوضاع الاقتصادية والسياسية الصعبة في القارة السمراء، قد تعني عند بعضهم التخلف.

أما كلمة: العربي فهي أخطر من الأوليين: الأفارقة المسلمون في أغلبيتهم، سودًا كانوا أم بيضًا، شماليين أم جنوبيين، يعدون أنفسهم عربًا. لذلك من الخطورة بمكان أن تقول لأحدهم: لست عربيًا، وهذا يعني عنده: لست مسلمًا! أو بعبارة أخرى، أنت كافر، وهجين بلا دين ولا حضارة! وهنا ببساطة شديدة دخلت أرضًا ملغمة ووعرة، قد لا تكون واعيًا بذلك، لكنك من المؤكد لن تخرج منها بسلام![٤].

من الطرائف مثلاً، أن الأفارقة المسلمين، وبخاصة في إفريقية الغربية لا يطلقون على من لم يروه يصلي كلمة العربي، لذلك يسحبون هذه الهوية على جمهور كبير من سكان المغرب العربي ومشرقه؛ لأنهم - فيما يعتقدون - لا يستوفون شروط العربي، الذي بنوه في خيالهم، والذي يتعلق ببعض الخصائص الهشة، منها الخصائص المادية والمعنوية مثل: اللباس، والطقوس، واللغة، وغيرها. قد يسمع الزائر لإفريقية الغربية كلمة (نارْ بيروت) المقصود هنا هو اللبناني، ونارْ غنّارْ الموريتاني هو المقصود إلخ[٥]. و«نار» مصطلح يطلقونه على كل عربي لم يتأكدوا من عروبته، أو يضنون عليه هذا الشرف العظيم.

ففي عام ١٩٧٥م، زار الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - بعض دول إفريقية الغربية، ومنها السنغال، وكان كاتب هذه السطور حاضرًا. وكان من بين الجمهور الهائل الذي جاء لاستقباله، والذي لم يسبق له مثيل من قبل، رجل يردد جملة واحدة، ملوحًا بيديه للسيارات المرافقة للموكب الملكي ويقول: يا أهل مكة، السلام عليكم. فنبهه أحد المستقبلين إلى أن الملك فيصل ليس ملكًا لمكة المكرمة وحدها، وإنما لمملكة كبيرة واسعة اسمها: المملكة العربية السعودية، لذلك من الأحسن أن تقول: تحيا السعودية، لكن صاحبنا رفض أن يقول هذه التحية اللائقة بالملك، وأصر على تحيته الخاصة[٦]. لم يكن الرجل غبيًا ولا عنيدًا، وإنما كان يعبر عن العقل الجمعي لشريحة اجتماعية مهمة، إن لم نقل الأهم، لا شك أن الملك فيصل بن عبدالعزيز

أراد القدر منذ البداية أن يجعل الثقافة العربية هبة لإفريقية، ويجعل القارة الإفريقية هبة اللغة العربية لظروف يطول شرحها هنا، ولكننا لا نذهب مع القائلين: إن مرد ذلك يعود إلى كون الثقافة الإفريقية ثقافة مسالمة، أو ضعيفة

من الشخصيات النادرة، التي أحبها المسلمون جميعًا بعربهم وعجمهم، سودهم وبيضهم، لكنه في هذه الربوع كان يتجاوز ذلك الحب التقليدي إلى ما هو أبعد.

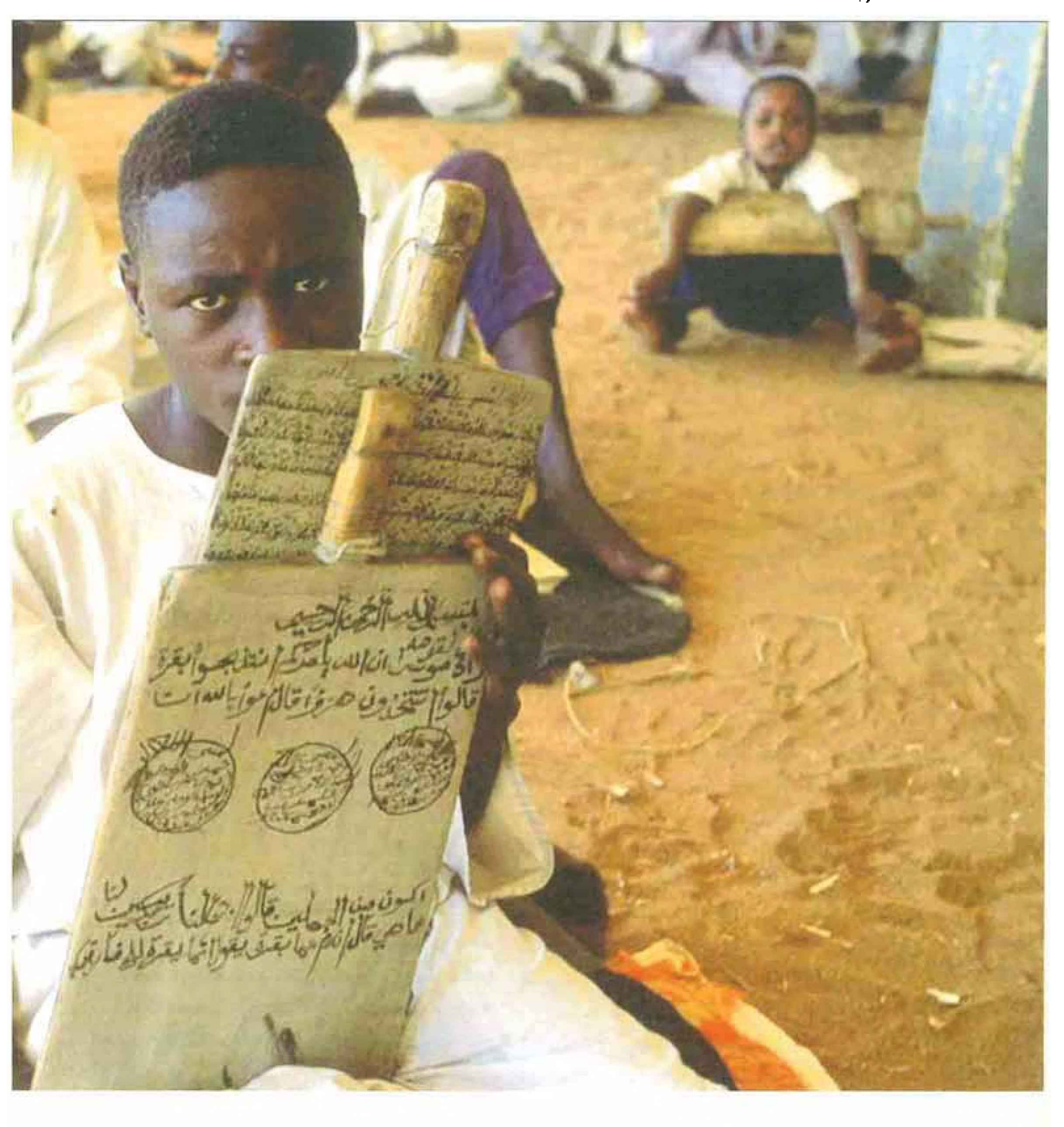
هذه الواقعة تقودنا إلى التعريف الذي أرتئيه - هنا - للمثقف الإفريقي باللسان العربي، فهو ذلك الذي لا يكتفي بإتقان اللغة العربية العتيقة، بل ويؤمن - أيضًا - أنها لغة لا تعبّر عن المفاهيم الدينية من صلاة وصوم فقط، كما يعتقد الشيوخ التقليديون، وإنّما إضافة إلى ذلك، هي: لغة تعبر عن الحياة بكل تعقيداتها المتشابكة، شأنها في ذلك شأن الفرنسية، والإنجليزية، وكل اللغات الحيّة. وهو شرط لا تجده عند الشيوخ التقليديين، إذ هم، مع طول باعهم في اللغة العربية، ومهارتهم في العلوم الدينية، لكنهم يرون ان المعارف الدنيوية، والحياة المدنسة، لا تليق بهذه اللغة المقدسة! (٨) كما أن هذا المثقف، ليس مرادفًا للمستعرب حسب المفهوم الفرانكفوني الهجين، الذي يقابله المتفرنس، أي: المنبتّ عن الثقافة العربية، وهذا ليس صحيحًا؛ لأن الثقافة العربية جزء لا يتجزأ من ثقافته الأم، التي وإن كانت غير عربية في البداية، لكنها بفضل الإسلام استعربت تمامًا.

إن الصورة المثالية الوردية حول العرب ولغتهم، التي نجدها عند الشيوخ التقليديين، وعند العامة من المسلمين الأفارقة، قد تكون إيجابية من الوهلة الأولى، لكنها صورة ميتة لا نصيب لها من الحياة، ثم إنها صورة قلقة رجراجة ومتناقضة، قد تحمل العرب ما لا طاقة لهم به، وهي بذلك لا تقل خطورة عن الصورة النمطية السلبية المعروفة في الغرب؛ لأن الذي يعبد العرب، والذي يلعنهم سيان، كلاهما ينطلق من موقف غير عقلاني، وغير واقعي، فهو إذًا موقف غير أخلاقي، ومدين بالضرورة (٩).

العابرون في زمن عابر

لا شك أن الحضارة الإسلامية شهدت تراجعًا مذهلاً، لم يتفق الدارسون على تفسيره إلى اليوم، لكن تدخل الاستعمار الغربي في شؤون المسلمين هو الذي زاد الوضع سوءًا (١٠). كانت إفريقية ما وراء الصحراء المسلمة، أو ما كان يعرف ببلاد السودان تنعم بالأمن والأمان مقارنة بغيرها من الجهات، حتى جاءها الاستعمار الغربي مبكرًا في ثوب المستكشفين، ورجال الدين منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وليس القرن التاسع عشر، كما قال بعضهم، محاولاً تقليل الخسائر التي منيت بها القارة من جراء العبودية والاستعمار، كما أن النظام التعليمي في المنطقة لم يكن متخلفًا عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة، كما ادعى الاستعمار فيما بعد، بل كان ملائمًا للظروف المذكورة، وكان التلميذ يتلقى التعليم في البداية بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ثم يبدأ بعلوم الآلة، ويتطور إلى المراتب العليا من التعليم، كما وجدت المؤسسات الجامعية العليا في المنطقة، مثل: وجامعة تمبكتو وجامعة جنّي في مالي، وجامعة بير بالسنغال، وجامعة لابي بغينيا، جامعة

الأفارقة المسلمون، وبخاصة في إفريقية الغربية لا يطلقون على من لم يروه يصلي كلمة العربي، لذلك يسحبون هذه الهوية على جمهور كبير من سكان المغرب العربي ومشرقه؛ لأنهم - فيما يعتقدون - لا يستوفون شروط العربي، الذي بنوه في خيالهم.





سوكتو بنيجيريا، وغيرها، كل هذا ضمن نظامًا متكاملاً يحترم البيئة المحلية ونواميسها، بحيث إن التلميذ ليس فقط يتقن اللغة العربية كتابة وقراءة، وإنما لغته المحلية أيضًا، وذلك عن طريق نظام النقل الصوتي، أي: كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي، الذي بدوره تطور كثيرًا عن طريق التجربة والممارسة، وبفضله استطاعوا ترجمة آلاف الكتب من العربية إلى لغاتهم المحلية. على الرغم من أن موقف الأفارقة تجاه ترجمة القرآن الكريم إلى لغاتهم كان موقف رفض صارم (١١)، فإنهم من جهة أخرى بذلوا كل ما في وسعهم لنقل النصوص الثانوية من فقه، وأصول، وكلام، وأدب، إلى لغاتهم، إضافة إلى الإبداع والابتكار داخل لغاتهم بالحرف العربي؛ ذلك لأنهم، فهموا أن ترجمة القرآن غير ممكنة، وغير جائزة، مع عدم وجود هذا الفهم في القرآن نفسه، كما أكدنا ذلك في مكان آخر، فإنهم عرفوا أنّ حاجتهم إلى العلم والمعرفة، وإلى الفهم والاستفهام كانت أقوى بكثير من مجرد انتمائهم إلى أمة من دون أن يكونوا قادرين على الإسهام فيه، وإضافة اللبنات إلى صرحها، وهناك حقيقة أخرى عرفوها، هي: أنه إن كان الأمنيّة التي تراود جميعهم صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساء، هي إتقان لغة القرآن كتابة وقراءة، فإنهم عرفوا - أيضًا - أن هذه الأمنية إن تحققت لبعضهم، وهم قلة، فإنها عصية، ومن هنا بدأ بعضهم يتعامل مع الواقع الجديد بكل واقعية، ألا وهو كتابة النصوص العربية الثانوية في لغاتهم المحلية تعليمًا وتثقيفًا للجمهور العريض، الذي لا يصل إلى فهم دينه من واجبات ومحرمات إلا بهذه الطريقة (١٢).

علماء أفارقة

لقد استطاع هذا النظام تخريج ثلة من العلماء في

هذه المنطقة عبر العصور. منهم من ذاع صيته في جميع الأصقاع. كصالح بن محمد بن عبدالله بن عمر الفلاني. ولد في فوتا جالون (غينيا كناكري) حيث قرأ القرآن وحفظه، في اثنتي عشرة سنة. وسافر إلى منطقة القبلة (موريتانيا) حيث درس علوم الدين في الزوايا وكان لامعًا في كل العلوم. من زملائه محمد بن بونا المعروف بمحمد المختار بن بونا. ومن زملائه كذلك محمد بن هاشم الفلاني. وعبدالرحمن الشنقيطي، ومحمد الحافظ بن المختار، ومحمد بن غورد (١٢).

عندما أكمل صالح دراسته في القبلة. سافر إلى ماسينا (مالي)، ومن هناك إلى تمبكتو. فالمغرب. وتونس. حيث التحق بجامعة الزيتونة. ومن شيوخه وزملائه في تونس الشيخ الغرياني، وهو: أبو عبدالله محمد بن علي الغرياني الطرابلسي التونسي. بدأ حياته العلمية في جربة. ثم انتقل إلى تونس العاصمة. ومن الذين أخذوا عنه العلم مرتضى الزبيدي. توفي سنة ١١٩٥هـ (١٤).

لم يبق صالح بن نوح في تونس كثيرًا. فقد انتقل إلى مصر، حيث تلقى العلم من علمائها. وحصلت له معرفة واسعة في أوساطهم. منهم الزبيدي صاحب القاموس الذي سمح له أن يروي عنه العلم. وهو الأسلوب المتبع آنذاك في جميع الأرجاء من العالم الإسلامي. كما فعل صالح في المدن السابقة. لم يبق مدة طويلة في مصر، انتقل إلى مكة المكرمة، ومنها إلى المدينة المنورة. حيث ظل يدرس العلوم الإسلامية: من فقه وقرآن وحديث. ومن الذين نقلوا عنه العلم. وكانوا في أعلى الرتب. عبدالحفيظ العجمي قاضي مكة المكرمة. وشمس بن العابدين مفتي دمشق وغيرهما (١٥). ومن مصنفاته: «إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار». و«قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات والفنون والأثر».

و«تحفة الأكياس بأجوبة أسئلة الإمام خير الدين الياس». وغيرها. ظل الشيخ يدرس في المدينة المنورة لم يخرج منها إلى أن توفي فيها في جمادى الآخرة سنة ١٢١٨هـ - عام ١٨٠٣م.

من المفارقات أن يكون هذا العالم معروفًا في جميع أرجاء العالم الإسلامي، من المغرب إلى الهند، إلا في البلاد التي أنجبته، فهو فيها ليس فقط مغمورًا، بل مجهولاً أيضًا (١٦).

من العلماء السودانيين المعروفين خارج المنطقة السودانية الكشناوي، وهو محمد بن محمد الفلاني الكشناوي السوداني (غرب إفريقية). حفظ القرآن، وتلقى مبادئ العلم في موطنه، ثم رحل لطلب مزيد منه، جاور في مكة المكرمة، ثم رجع إلى القاهرة حيث التقى جبرتي الكبير، جد المؤرخ الشهير عبدالرحمن الجبرتي. كان الكشناوي من الذين لمعوا في جلّ علوم عصره ومعارفه، وكان يقول الشعر بأغراضه المختلفة، لكنه اشتهر بالشعر الحكمي، ومن أمثلته هذان البيتان:

طَلَبْتُ المُسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ
فَلَمْ أُوجِدْ بِأَرْضٍ مُسْتَقَرًّا

تبِعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي
وَلَوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرًّا (١٧)

المثقف الإفريقي باللسان العربي، هو ذلك الذي لا يكتفي بإتقان اللغة العربية العتيقة، بل ويؤمن - أيضًا - أنها لغة لا تعبّر عن المفاهيم الدينية من صلاة وصوم فقط، وإنّما إضافة إلى ذلك، هي: لغة تعبير عن الحياة بكل تعقيداتها

لم يكن الكشناوي كمواطنه صالح بن نوح الذي ركز جهوده في الفقه وأصوله، وعلوم الحديث، وعلوم القرآن، بل اهتم بعلم الحروف والأرقام، وعلم اللغة والنحو. ومن مصنفاته في تلك المجالات: «بهجة الآفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف والأفاق»، في مجلدين، «بلوغ الأرب من كلام العرب» في النحو (١٨)، توفي الكشناوي - رحمه الله - سنة ١١٥٤هـ عام ١٧٤١م، في القاهرة، ودفن فيها.

التعريب في إفريقية

نلاحظ أن بلاد السودان من حيث التعريب، لم تكن مختلفة كثيرًا عن المناطق التي تم تعريبها في العالم الإسلامي، وبصفة خاصة المغرب العربي، ووادي النيل، الجذر المهم في المجتمع وهو الدين قد وقع تعريبه من دون خسارة تذكر. كما أن الفئة الخاصة، وهي العلماء، وقع تعريبهم أيضًا، وعربت المدن، وبقي الريف غير معرب، لكنه هو أيضًا لا يصمد طويلاً؛ لأنه محتاج إلى المدينة أكثر من احتياج المدينة إليه. الريف على أصالته وفصاحته، ضعيف من حيث الإمكانات المادية والمعنوية، لا يستطيع فرض لغته ورؤاه على المدينة (١٩)، رأينا هذه الحقيقة في تاريخ تدوين اللغة العربية وغيرها من اللغات الكبرى في العالم، إذًا لو تم احترام عملية التفاعل اللغوي في المنطقة من دون تدخل أطراف خارجية، لكانت مسألة التعريب مسألة وقت فقط لا غير.

هذا ما اعترف به بول مارتي المسؤول عن الجهاز الاستخباراتي الفرنسي في المستعمرات الفرنسية في إفريقية الغربية الذي قال: «إن هناك أجزاء كثيرة من السنغال، وبخاصة منطقة فوتا تورو في شمال البلاد تم تعريبها أو يكاد، بحيث نجد فيها ثلاثة مواطنين من كل خمسة يعرفون القراءة والكتابة باللغة العربية». وهنا تدخل الاستعمار مباشرة، وعزل المنطقة عن امتدادها الطبيعي من الشمال والشرق؛ وذلك بدعوى تجفيف الينابيع، وصادر المكتبات العربية، وأغلق المدارس والكتاتيب (٢٠).

أما من الناحية السياسية، فقد شن حربًا ضروسًا على الشيوخ المحليين، خصوصًا المناضلين منهم، كما خلق طبقة جديدة من رجال الدين المؤيدين للاستعمار وسياسته، وتم تخصيص العطايات لهم، ولذويهم، هكذا وقع تهميش الثقافة العربية في المنطقة، وكل ما له علاقة بها من قريب أو بعيد (٢١)، لم نشاهد مثقفًا عضويًا عربيًا في المنطقة حسب التعريف الذي وضعته، إلا في بداية القرن العشرين، وهو الشيخ موسى كمارا من بلدة غانفويل، الذي يمثل مرحلة انتقال بين الثقافة العربية الدينية التقليدية، والثقافة العربية المعاصرة. لقد حاول الشيخ - مع ما كان يعتريه من ظروف صعبة في ظل نظام استعماري دموي - حاول أن يعصرن النظام الفكري للثقافة العربية في هذه المنطقة، وبدأ بإعادة كتابة تاريخ المنطقة بأسلوب علمي جذاب، تجنّب فيه الروايات الخرافية، والأحداث الأسطورية. من أهم ما تركه لنا

تفطن العالم الإسلامي إلى هذا القصور، وقرر إنشاء جامعتين إسلاميتين في إفريقية، إحداهما بالنيجر، والأخرى بأوغندا، وقد اتخذ القرار بإجماع في منظمة المؤتمر الإسلامي بمدينة لاهور بباكستان عام ١٩٧٥م، ولكنه لم ينفذ إلا في عام ١٩٨٢م

الشيخ باللغة العربية وأثمنه مخطوطان نادران في معهد دراسات إفريقية السوداء (Ifan) بالسنغال، المعروف قبل الاستقلال بمعهد الدراسات الفرنسية بإفريقية السوداء. والمخطوطان هما: «انتصار الموتور في تاريخ بلاد فوتا تورو»، و«زهور البساتين في تاريخ البلاد السوادين»، إضافة إلى مخطوط مهم يتعلق بالجدل الذي أثاره المستعمر الفرنسي حول شخصية المجاهد العظيم الحاج عمر تال، «تنقية الأفهام من شبهات الأوهام»، في سيرة الحاج عمر الفوتي، وغيرها من الكتب (٢٠).



جامعتا القيروان وتمبكتو من مراكز الإشعاع الحضاري في إفريقية

العنقاء تقوم من رمادها، ولكن

لم يترك المستعمر، الفرنسي أو الإنجليزي الثقافة العربية الإسلامية تتطور تطورًا طبيعيًا، بل قام بتضييق الخناق عليها، من حظر السفر على المسلمين في طلب العلم والمعرفة الإسلاميين في الدول العربية، التي لم تكن هي أيضًا حرة في أغلبيتها، إلا أنه خدم الثقافة العربية من حيث لا يدري عندما قام بتأسيس معاهد محلية تزلفًا إلى الثقافة المحلية؛ بغية تغييرها، أو تحييدها، وهنا كان لا بد من إدخال الإسلام كمادة تدريس في المؤسسات الرسمية. فقد اغتنم بعض المسلمين العطشين إلى الثقافة الإسلامية هذه الفرصة فجعلوا يدرسون الإسلام كمادة مع اللغة العربية (٢٢).

لقد قام الشيخ سعد عمر توري في مدينة سيغو بمالي بتأسيس مدارس إسلامية تدرس فيها اللغة العربية في المستعمرات الفرانكفونية، سرعان ما ذاع





الجامعات العربية بحاجة إلى التطوير لاستيعاب المتطلعين إلى التحصيل العلمي

صيتها في كامل المنطقة. كما تأسست المدارس العربية في شمال نيجيريا. عرفت بـ School of Arabic Studies in Kano (..). لكن المستعمر تدارك خطأه. فغير تكتيكه فارضًا الحرف اللاتيني على مادة التدريس زعمًا بأنّ هذه المادة يجب تدريسها باللغات المحلية. كما تدرس مدارس الإرساليات مادة الدين المسيحي باللغات المحلية. وهذا كان له مسوغ لكون الدّين المسيحي نشر باللغات المحلية عبر تاريخه الطويل. وهذا عكس الإسلام تمامًا. الذي كان دومًا مرافقًا بلغة القرآن منذ رحلته الأولى. ولم يسمع في التاريخ الإسلامي الطويل أن أمة مسلمة رفضت لغة القرآن الكريم. والحال ان المواطنين في الدول المستعمرة. وبخاصة المسلمون منهم. كانوا يرفضون رفضا باتا لغة المستعمر الاوربي. مع ان هذا قد أثر فيهم تاثيرا سلبيا مباشرا. حتى بعد الاستقلال. وبخاصة في مجال التنمية.

أما اللغة العربية فكانوا يعدونها لغتهم الأم. وإن كان أكثرهم لا يتقنونها (..). لذلك تجدهم حتى في كتابتها في لغاتهم المحلية. لم يكونوا جادّين فيها. بل كانوا يرونها عملية مؤقتة؛ لأنها تثقيفية وتربوية. ولا يقف الطالب عندها. بل سرعان ما يتجاوزها إلى اللغة العربية الفصيحة. التي هي أمنيّة كل مسلم. فجاءت إملاءاتهم في اللغات المحلية رديئة ومختلفة من مدرسة إلى أخرى. ومن منطقة إلى أخرى؛ بل من شيخ إلى آخر. باستثناء منطقة كلوة وزنجبار الناطقتين باللغة السواحلية في افريقية الشرقية. ومنطقة فوتا جالون

الناطقة باللغة الفلانية في إفريقية الغربية [٢٦].

مهما يكن من أمر فإن المستعمر قد نجح في تمرير مشروعه، الذي تبنته منظمة اليونسكو بعد الاستقلال؛ بدعوى حماية الثقافات المحلية من الانقراض، فأسست بعد الاستقلال مباشرة معاهد توحيد الكتابة في اللغات الإفريقية بالحرف اللاتيني، وعقدت مؤتمرات دولية لهذا الغرض، أولها: مؤتمر بماكو عام ١٩٦٦م، في غياب الحضور العربي كليًا في هذه المؤتمرات، تم تبني كل قراراتها، وطوي الحرف العربي عن الذاكرة الإفريقية المسلمة، التي صاحبها ما يقارب خمسة عشر قرنًا [٢٧].

ذهب المستعمر - شكلاً ومضمونًا - في بعض الدول الإسلامية، وفي بعضها شكلاً فقط، فتأسست الدولة الوطنية بحدودها المعروفة اليوم، واستيقظ الضمير الديني الإسلامي، أو ما يعرف بالصحوة الإسلامية، فذهب الشباب الإفريقي المسلم إلى الشرق زرافات ووحدانًا: منهم من يمّم صوب الأزهر الشريف، في مصر، أو إلى بلاد الشام، والعراق، والخليج العربي، ومنهم من توقف في الزيتونة والقيروان في تونس، أو القرويين في المغرب، قبل أن يواصل رحلته نحو الشرق، أو يستقر به، أو يرجع إلى بلاده، فإن تعذر هذا وذاك، فالطريق إلى البحر سالك لأن موسم الهجرة إلى الشمال في ذروته.

وككل الشباب المسلم في العالم الإسلامي، مني الشباب الإفريقي المسلم بخيبة أمل قاتلة: التعليم الذي جاؤوا من أجله، لم يكن في مستوى الطموح، المواد التي تدرس في أغلب المعاهد والجامعات الإسلامية، لا تفي الغرض في عالم معقد بعلومه ومناهجه، بينما تجد الجامعات الإسلامية خالية من هذه المناهج خلوًا تامًا، بل إن بعضها تكفّر تلك المناهج

بلاد السودان من حيث التعريب، لم تكن مختلفة كثيرًا عن المناطق التي تم تعريبها في العالم الإسلامي، وبصفة خاصة المغرب العربي، ووادي النيل، الجذر المهم في المجتمع ، وهو الدين، قد وقع تعريبه من دون خسارة تذكر، كما أن الفئة الخاصة، وهي العلماء، وقع تعريبهم أيضًا، وعربت المدن، وبقي الريف غير معرب

تكفيرًا، الدين عندها ما زال يدرس بطريقة عتيقة، إن لم نقل متخلفة، هذا ما جعل الطالب فيها لا يحصل على ما يحتاج إليه من علوم ومعارف، ولو كان نابغة من النوابغ، وهذا ما جعل كثيرًا منهم يتسربون في الطبيعة، أو ينتقلون إلى الجامعات الغربية حيث يتوافر لهم الإبداع الفكري، وهذا القصور في الواقع لا يقتصر فقط على الجامعات الإسلامية، بل أيضًا على الجامعات الدينية، أو التي يسمونها الجامعات الأهلية: فتاريخ الأديان إن وجد، فلا يدرس بطريقة علمية [٢٨]، أما الأنثروبولوجية، ففائبة غيابًا كليًا، إلا ما يعطى منها بشكل جذاذات عن طريق علم الاجتماع، الذي بدوره لا يدرّس إلا تدريسًا شكليًا، إذ يعرض على شكل نظريات لا تطبق على أرض الواقع، والحال أن هذا العلم كله متعلق بالواقع العملي المعقد، ولا يكون ذا فائدة إلا عندما يشتبك معه بشكل مستمر.

جامعاتنا وجامعاتهم

إن ضعف جامعاتنا في المناهج، لم يعد خافيًا على القاصي والداني، ويكفي أن تنوي البحث في موضوع ما من دون الرجوع إلى المستشرقين، وخصوصًا إلى

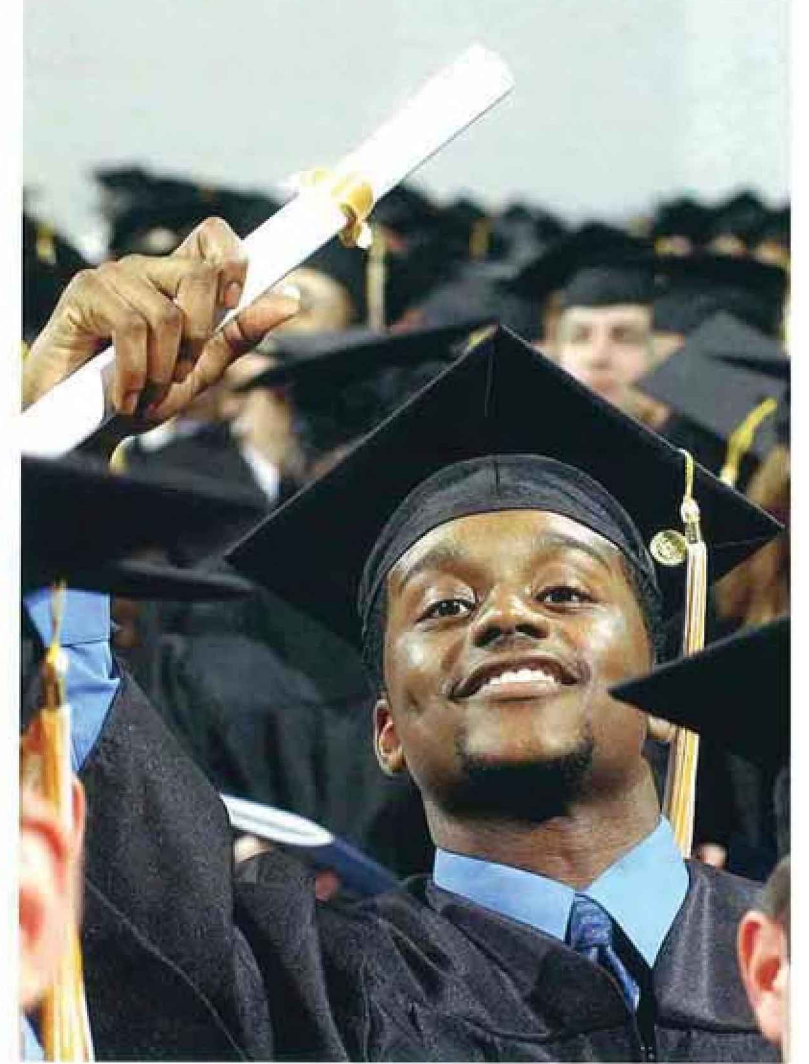
دائرة معارفهم الإسلامية، حتى ترى نفسك في غابة من المعلومات لا تعرف من أين تبدأ ولا أين تنتهي، وأنت هنا مضطر إلى اتخاذ أحد قرارين لا ثالث لهما: فإما أن تجمع ما وصلت إليه يدك وتتخلص من العمل كيفما اتفق، وهذا ما يفعله أغلب الباحثين اليوم، وإما أن تترك البحث نهائيًا، وهذا ما يفعله قلة منهم.

يكفي أن تقوم بمسح بسيط حول الأطروحات المنجزة في أي جامعة من هذه الجامعات، حتى ترى أن الأعمال كلها، أو جلها معادة، وليس فيها أي إبداع، أو ابتكار: بل عبارة عن نسخ منسوخة بعضها من بعض. لا أقول هذا الكلام جزافًا، أو رغبة في اتهام الناس كيفما يتفق، بل أقوله عن تجربة وممارسة في الواقع المعيش، خذ مثلاً مجموعة من الطلبة الناطقين باللغة العربية في مستوى الثانوية العامة، وقارنهم بمجموعة أخرى من الناطقين باللغة الفرنسية، أو الإنجليزية، أو غيرهما في المستوى نفسه والعمر نفسه، ستجد الآخرين قادرين على إنتاج الخطاب الشفهي، والخطاب المكتوب المقبولين نسبيًا من دون عناء، أو تكلف يذكر، أما الناطقون باللغة العربية، فأكثرهم لا يقدر على ذلك، وقس عليه المعارف الأخرى، من فنون وعلوم وآداب.. إذا عجز التلميذ في هذا المستوى عن إسماع صوته بلغته الأم، أو اللغة التي ينطق بها كتابيًا وشفهيًا، فعليه أو على المسؤولين عنه أن يراجعوا مناهجهم [١٩].

في الجهة المقابلة؛ أي: عند المسيحيين، نجدهم عكسنا تمامًا، التعليم عندهم مقدس، وعندنا ليس كذلك، وهم يعتنون بالإنسان في هذا الجانب منذ ولادته: يبنون المدارس والمعاهد والجامعات، ويجلبون لها أساتذة ومعلمين أكفاء، يدرسون علومًا ومعارف متنوعة، تتبع أحدث المناهج العلمية، ولا يفرقون بين العلوم الدينية وغيرها، بل من المعلوم أن ٩٩٪ من الرؤساء الأفارقة تخرجوا في المعاهد الدينية المسيحية قبل الاستقلال [٢٠].

ومثال آخر هو نيجيريا حيث تجد أكثر من خمس جامعات مسيحية، فقد بنى فيها اليسوعيون الكاثوليك أخيرًا معهدًا نموذجيًا جديدًا وهو المعهد اليسوعي النموذجي لويولا بالعاصمة أبوجا، تسع أكثر من ألف طالب برأسمال يتجاوز ٧.١١ ملايين دولار، من تبرعات منطقة نيويورك والوكالة القومية للتنمية الدولية، ويرأس هذا المعهد أستاذ جامعي كفء، ومتخصص في الدراسات العربية الإسلامية، وهو باتريك راين اليسوعي الأمريكي، التعريفة في هذا المعهد (٢٥٠٠ دولار في العام) منخفضة جدًا، إذا قورنت بمستوى المعهد وقيمته، ومع ذلك يعفى الطالب الفقير عن الدفع، أو تعطى له منحة مالية ليدفع مصاريفه، المعهد على حداثة سنه، برز اسمه محليًا ودوليًا، وفاز بجوائز محلية وعالمية، كما أنهم لا يهملون طلابهم أينما كانوا، يتتبعون أحوالهم، ولو بعدوا عن الجامعة، ولا يفتؤون في خلق شبكة من الفرص والعلاقات العلمية لطلبتهم وتلاميذهم، من زمالة، إلى حضور مؤتمر علمي، أو

الإفريقي، قد يكون عند بعضهم مقدسًا، وعند الآخرين لبسًا وإهانة، فالأفارقة في جنوب الصحراء "السود" وبعض الأمريكيين من أصل إفريقي، يعدون هذه الكلمة جنسًا ولونًا وتاريخًا وقومية، بل وهوية أيضًا، لذلك فهم يتنازلون عن هوياتهم الضيقة والصغيرة لصالح الهوية الإفريقية العامة


حيرة حقيقية يعيشها المثقف الإفريقي صاحب اللسان العربي

الجامعات الإسلامية، لا يتقنون أي لغة، بما فيها اللغة العربية التي كان من المفروض أن تكون من تحصيل الحاصل لدى الطالب المسلم. أما أحوالهم العلمية فلا تسأل عنها، إذ غالبًا ما تكون عتيقة، لا تلتفت إلى المناهج العلمية الحديثة، كما قلنا سابقًا، وهذا ما جعل أكثرهم لا يصلحون في العير ولا في


ظروف سيئة تعيشها دول إفريقية كثيرة

إسهام في دورية، أو مجلة (٢١).

تقويماتهم دقيقة ومنصفة. ففي جامعة غريغوريان بروما مثلًا، لا يسمح لطالب في الدراسات العليا تسجيل رسالة الدكتوراه، إلا إذا كان يتقن ثلاثًا من ست لغات معتمدة في الفاتيكان وهي: اللاتينية، والإيطالية، والإنجليزية، والإسبانية، والفرنسية، والألمانية (٢٢). في المقابل نجد جل الطلبة في

النفير! إذ هم لا يستطيعون أن يخاطبوا أحدًا في أي لغة بما فيها اللغة الرسمية في بلدانهم. لعل ذلك ما جعل بعضهم ينقطع عن الدراسة في مستويات عالية، مفضلًا خدمة بسيطة في أوربا. وبعضهم الآخر يدرس لكن في حالة نفسية يائسة؛ لأنه يعرف ما ينتظره بعد الدراسة، وهو البطالة والخمول؛ ذلك لأن الجامعات الإسلامية لا تفكر في أن من مهامها التشغيل. ولا

تخلق شبكة من العلاقات بينها وبين طلبتها القدماء، ولا يهمها وجودهم، ولا ظروفهم المعيشية، ولا حتى الأثر الذي يحدثونه في مجتمعاتهم.

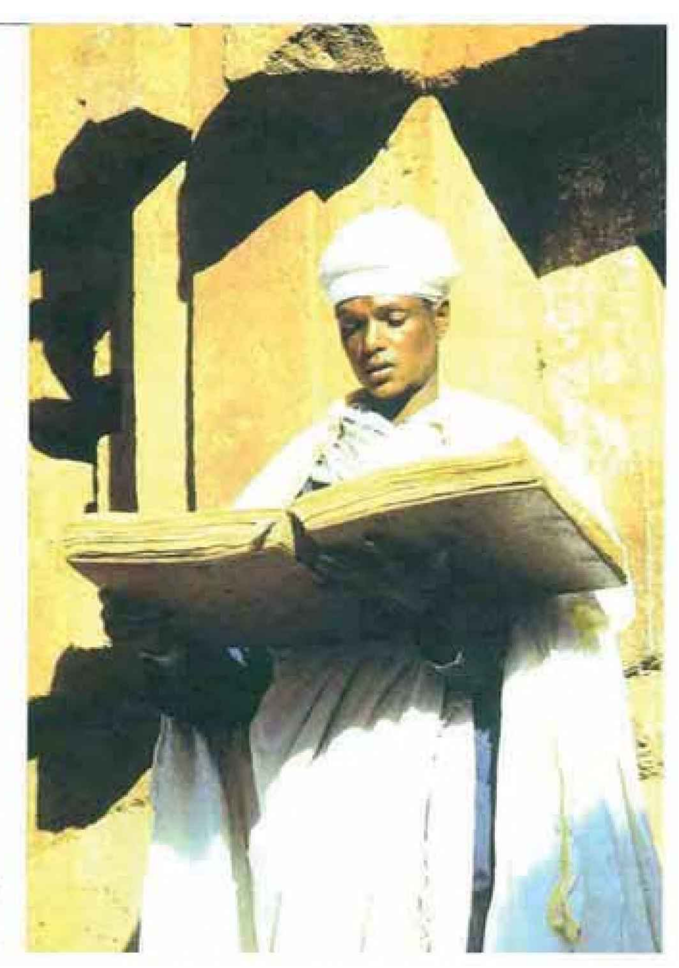
بعض الجامعات الإسلامية في الواقع، ليست جامعات إسلامية، إلا بالاسم فقط؛ لأن مناهجها العلمية، وإطارها التربوي، ورؤاها الفلسفية، وسياساتها العلمية، محلية لا علاقة لها بالإسلام كرؤية كونية شاملة، عكس الجامعات المسيحية التي من حيث الرؤى والإطار التربوي عبارة عن الأمم المتحدة، أي: أنه يمثل كل أطياف اللون الثقافي والعرقي والسياسي (٣٣).

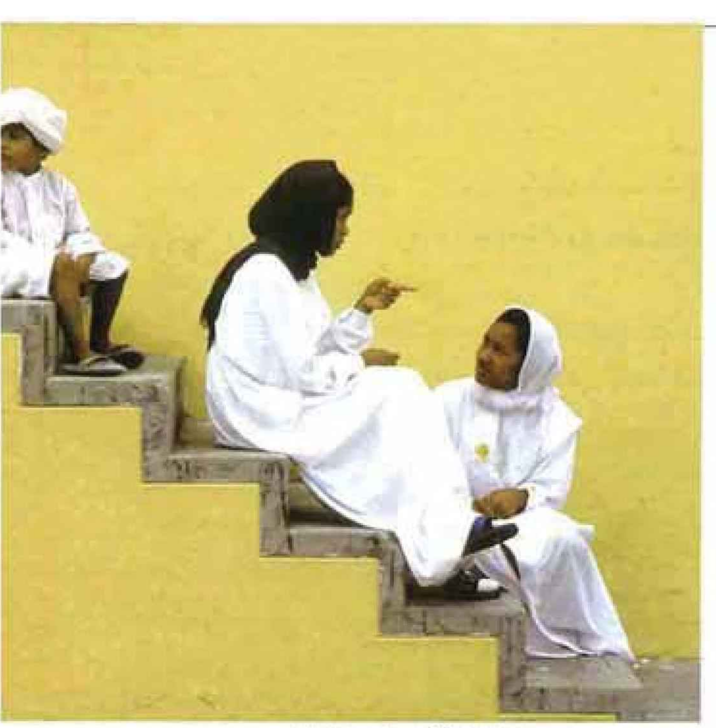
كل ذلك جعل الرسم البياني للدراسات العربية الإسلامية في المنطقة بصفة عامة، وفي غرب إفريقية بصفة خاصة في حالة هبوط مستمر. في الماضي كان الناس يسافرون إلى الجامعات الإسلامية في المشرق العربي على الأقدام، وكان لهم تقدير اجتماعي عظيم إذا رجعوا إلى بلدانهم. أما اليوم فالطالب في الدراسات العربية الإسلامية، مرادف للفاشل في تعليمه! (٣٤) وقد لخص ذلك مواطن جزائري من منطقة القبائل برسالة وجهها إلى إحدى القنوات التلفازية المسيحية، جاء فيها: «إن قناتكم بالنسبة إليّ نافذة ضوء من الأمل في حياتي المظلمة.. عمري ٣٧ عامًا ومثقف، لكن ثقافتي لم تنفعني في شيء، ضيعت شبابي بلا عقيدة، ولا أمل، ولا عائلة.. فقدت الثقة بنفسي، وأخاف من كل شيء، أنا قلق ومحبط، وكلما فكرت في معنى من معاني حياتي، زدت إحباطًا. حاولت الخروج من الجحيم، أعني من بلادي! لكن من دون جدوى، الأبواب موصدة في وجوهنا، والتأشيرات ممنوعة علينا. عندما وجدت قناتكم مشاهدًا برامجكم، شعرت بقليل من الضوء ينفتح أمامي في الآفاق، وهكذا احسست بأن الله لن يتركني وحيدًا، وهو الأمل الوحيد الذي أحتاج إليه الآن، وهكذا تيقنت أن الخلاص لن يأتي إلا من عند المسيح.» سعد الوناس (٣٥).

بعض الجامعات الإسلامية في الواقع، ليست جامعات إسلامية، لأن مناهجها العلمية، وإطارها التربوي، ورؤاها الفلسفية، وسياساتها العلمية، محلية لا علاقة لها بالإسلام. عكس الجامعات المسيحية التي من حيث الرؤى والإطار التربوي عبارة عن الأمم المتحدة

لقد تفطن العالم الإسلامي إلى هذا القصور، وقرر إنشاء جامعتين إسلاميتين في إفريقية السوداء، إحداهما بالنيجر في غرب إفريقية، والأخرى بأوغندا في شرق إفريقية، وقد اتخذ القرار بإجماع في منظمة المؤتمر الإسلامي بمدينة لاهور بباكستان عام ١٩٧٥م، ولكنه لم ينفذ إلا في عام ١٩٨٢م. الجامعتان جيدتان من حيث المبدأ، لكنهما لم تنجحا من حيث الواقع والمضمون. الجامعة الإسلامية في أوغندا مثلاً أصبحت جامعة أنجلوفونية بإطارها وطلبتها وبرامجها التي لا يمثل الإسلام فيها، إلا نسبة قليلة تراوح بين ٢٥٪ و٣٠٪ (٣٦).

أما الجامعة الإسلامية بساي في النيجر، فحدث ولا حرج، وهذا الذي جعلها تغلق أبوابها مرتين؛ ذلك لأن هذه الجامعة تأخذ طلبتها وكوادرها المستقبلية من المدارس العربية في المنطقة مباشرة، وهذه المدارس تنمو وتنتشر كالفطريات، ولا تخضع لأي تنسيق فيما بينها، كما أنها لا تخضع لأي نظام داخلي ولا برامج واضحة المعالم: الشهادات فيها تزور بكل سهولة ويسر؛ لأنها لا تخضع لمراقبة الدولة، وهذا ما جعلها


افتقار التنسيق بين المدارس والجامعات الإسلامية


حرص على إبراز الانتماء العربي الإسلامي

تمنح شهادة الثانوية العامة لطلبة أميين حقيقة لا مجازًا. ويبدو أن الدولة تعرف ذلك جيدًا، لكنها تتعلل بعدم رغبتها في التدخل في موضوعات دينية؛ أي: حصر اللغة العربية في موضوع ديني لا غير، وذلك سياسة المستعمر الذي كان يسعى من ورائها إلى تهميش اللغة العربية، ومن ثم تنفير الناس منها.

إخفاق آخر

المؤسسات الثقافية العربية في القارة بدورها لم تنجح، وأفضل مثال على ذلك مجموعة الفجر للصحافة والإعلام بالسنغال، التي بدأت بإصدار جريدة أسبوعية باللغة العربية، وكانت تعاني كسادًا مزريًا في الأسواق: لرداءتها. فلما بدلت لغتها العربية بالفرنسية، وفلسفتها الإسلامية بالبراغماتية، أصبحت من أكثر المؤسسات نجاحًا في المنطقة. وهي الآن تملك جريدة يومية وإذاعة تبث برامجها في موجة إف أم. وعما قريب ستفتح قناة فضائية عالمية. أما مديرها العام سيدي محمد الأمين نياس فلا أحد يتصور الآن أنه ناطق بالعربية، وأنه تكون في الوطن العربي، لأن خطابه إما بالفرنسية، وإما بالولوف. أما كتاباته فهي فرنسية مئة بالمئة (٢٧).

سيدي محمد الأمين نياس ليس وحيدًا في هذه الحالة، بل هناك نسبة كبيرة من المثقفين الأفارقة باللسان العربي اضطروا إلى مهن أخرى، وثقافات أخرى، ولحسن حظهم كانوا يتمتعون بموهبة خارقة

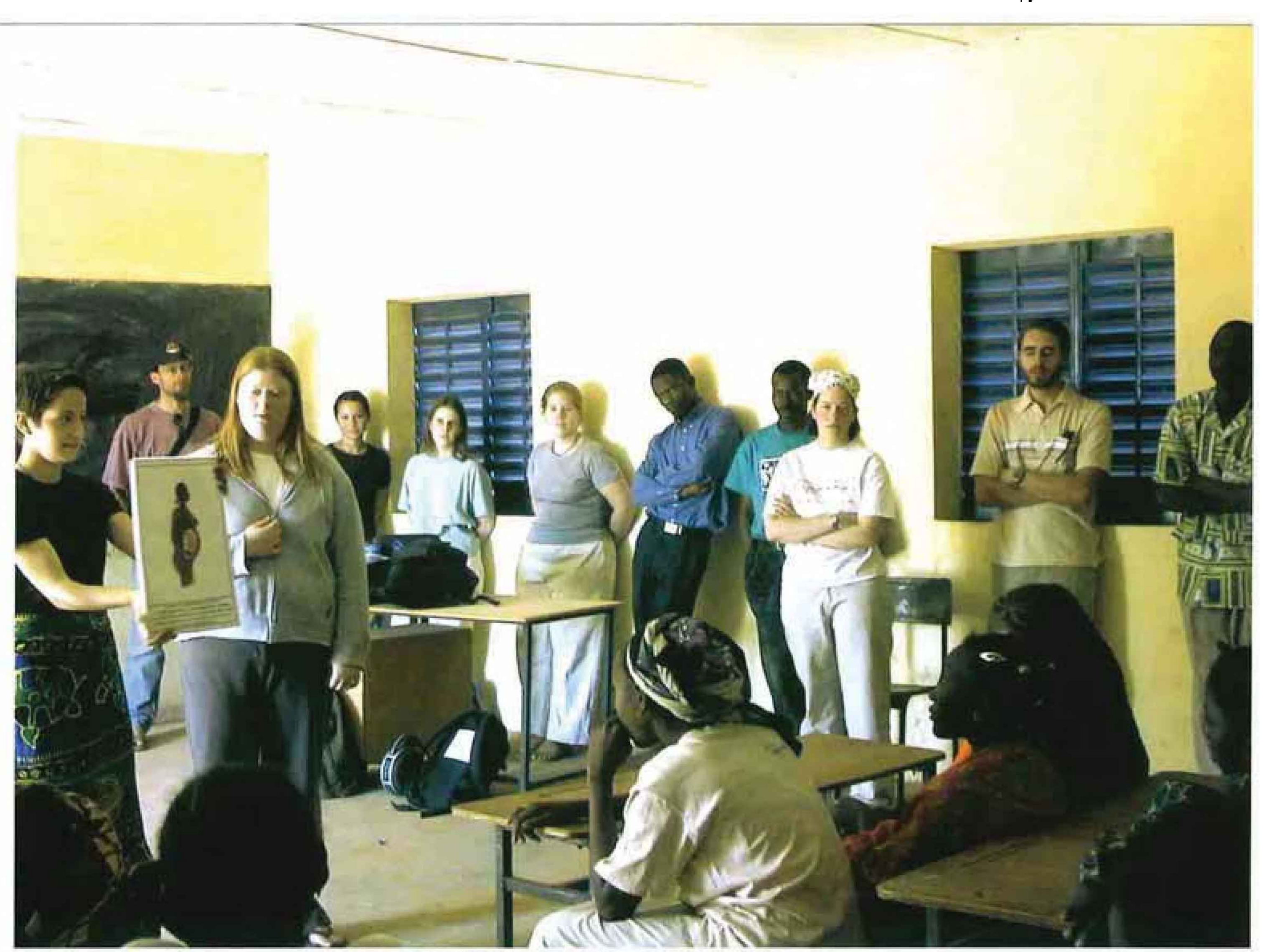
ومرونة عالية، وهذا ما مكنهم من التحول إلى أجواء أخرى لم يعدّوا لها في البداية (٢٠) ولو لم ينجحوا في هذا التحول، لكان مصيرهم كمصير زملائهم: أي: التهميش والموت البطيء. من هؤلاء الرئيس القمري الحالي أحمد عبدالله سامبي، الشخص الوحيد من الناطقين باللغة العربية في إفريقية ما وراء الصحراء الذي استطاع الوصول إلى سدة الحكم منذ الاستقلال، ولكن بعد عدم نجاح الطبقة الفرانكفونية الفاسدة، التي جلبت الموت والفقر إلى البلاد عن طريق انقلابات عسكرية مدبرة في الخارج، من مرتزقة مأجورين: كبوب دينار الفرنسي، وأمثاله. تكون أحمد عبدالله سامبي في كل من المملكة العربية السعودية وإيران، وبعد تخرجه، عاد إلى بلاده، لكنه وجد الأبواب موصدة أمامه، فامتهن التجارة والأعمال، وكان مثالاً يحتذى به في النزاهة والإخلاص، ومع ذلك شنت عليه الصحافة الفرانكفونية حربًا لا هوادة فيها، واصفة إياه بأنه ظلامي متطرف! (٢١).

إن أكثر الأفارقة الوافدين إلى الدول العربية، فهموا بعد تجربة شخصية، وقناعة داخلية أن المعركة الحضارية بين الغرب والعروبة في إفريقية ما وراء الصحراء، قد انتهت لمصلحة الغرب، هذه القناعة قد لا يعبرون عنها بأقوالهم، ولكنهم يعبرون عنها بأفعالهم وأحلامهم، مثل: نزعتهم المبالغ فيها إلى تدارك ما فاتهم من اللغات الغربية، كالإنجليزية، والفرنسية، وإهمال كل ما هو عربي وإسلامي، فقد وصل الأمر ببعضهم إلى ترك دراساتهم العربية، والذهاب إلى الدول الغربية والعمل فيها، في أعمال لا علاقة لها بهذه الدراسات: كالعمل في المصانع والمعامل الإيطالية بالشمال، وغيرها.

ومنهم من ترك هذه الدراسات فشارك في مناظرة الثانوية العامة في بلاده، ونجح فيها، ثم ذهب إلى الغرب، كالطالب البوركنابي في القيروان توفوا (توح) توندي الذي استعمل هذه الطريقة، والتحق بمدرسة بوليتيكنيك بباريس، حيث حصل على دكتوراه الدولة في علوم الرياضيات، بل إن الطلبة الأفارقة الناجحين في الدراسات العربية والإسلامية أنفسهم، عادة يسجلون الدراسات العليا في الجامعات الغربية، قبل عودتهم واستقرارهم في بلدانهم، وهكذا يغيرون ولاءهم الثقافي نهائيًا، ويتداركون أمورهم قبل فوات الأوان، كمن يريد أن يقول: إذا وقع والدي في خطأ مصيري، وأدخلني في دراسات لا مستقبل لها، فأنا لن أقع في الخطأ نفسه، أو من المفروض ألاّ أقع فيه، أو كما

> الثقافة عند نابلور هي: ".. ذلك النظام الكلي المعقد، الذي يشمل العلوم، والفنون، والمعتقدات، والأخلاق، والقيم والعادات، وكل المكتسبات والمواهب التي اكتسبها الإنسان بصفته عضوًا في المجتمع

> مهما يكن من أمر فإن المستعمر قد نجح في تمرير مشروعه، الذي تبنته منظمة اليونسكو بعد الاستقلال: بدعوى حماية الثقافات المحلية من الانقراض، فأسست بعد الاستقلال مباشرة معاهد توحيد الكتابة في اللغات الإفريقية بالحرف اللاتيني.



فصل دراسي في إحدى مدارس النيجر حيث يتم التعليم بالفرنسية

يقول المثل: إذا جنى عليّ أبي، فأنا لن أجني على ابني!.

نستطيع أن نقول بأمانة: إن في كل إفريقي ناجح في الدراسات العربية والإسلامية. هناك ما يقارب مئة إفريقي لم ينجحوا، أو تركوا هذه الدراسات بمحض إرادتهم ... وهذا يبين - بما لا يدع مجالاً للشك - أن الخوف في إفريقية ما وراء الصحراء اليوم، ليس ممن يسمونهم بالمتطرفين الإسلاميين والأصوليين الراديكاليين، وإنما من المتطرفين العلمانيين! هذه القناعة ليست بدعة إفريقية، بل وجدناها عند كثير من علماء الزيتونة وكوادرها، الذين بدورهم أدخلوا أولادهم في المدارس الفرانكفونية، خلافاً لما كان ينتظر منهم. وهذا ما

جعل كثيرًا من الباحثين يرون في حركة التعريب في المنطقة المغاربية - بصفة عامة - أنها حركة إيديولوجية لا علاقة لها بالواقع المعيش، بل تروج فقط لدى الطبقات الدنيا والفقيرة. أما الطبقات الحاكمة والميسورة أحوالها، فتدخل أولادها كما قلنا في المدارس الفرانكفونية، ليحكموا المنطقة إلى الأبد، يمكن أن تلاحظ ذلك جيدًا عن طريق انتلجانسيا السياسية، والاقتصادية والثقافية (١٠).

الخاتمة:

لقد تناولنا فيما سبق من صفحات وفصول ظروف المثقف، والثقافة العربية في إفريقية ما وراء الصحراء، وحاولنا فيه التجرد قدر المستطاع، فبناء على ذلك نستنتج الاستنتاجات الآتية:

❖ أراد القدر منذ البداية أن يجعل الثقافة العربية هبة لإفريقية، ويجعل القارة الإفريقية هبة اللغة العربية لظروف يطول شرحها هنا، ولكننا لا نذهب مع القائلين: إن مرد ذلك يعود إلى كون الثقافة الإفريقية ثقافة مسالمة، أو ضعيفة، فليس هناك ثقافة عدوانية وثقافة مسالمة، ولا ثقافة ضعيفة، لكن الظروف المحيطة بالثقافة العربية جعلتها محاصرة من ثلاث

لم يترك المستعمر، الفرنسي أو الإنجليزي الثقافة العربية الإسلامية تتطور تطورًا طبيعيًا، بل قام بتضييق الخناق عليها، من حظر السفر على المسلمين في طلب العلم والمعرفة الإسلاميين في الدول العربية، التي لم تكن هي أيضًا حرة في أغلبيتها

جهات، لا تستطيع النفاذ إليها وهي: إيران، وتركيا، وأوربا، فبقيت الجهة الوحيدة التي بإمكانها أن تنفذ إليها هي الجهة الإفريقية، حيث الثقافات المتشظية، هذا العامل كان حاسمًا في بقاء اللغة العربية ونجاتها، لو استغل بمهارة وإخلاص لآتى أكله، ولكنّه - بالأسف الشديد - لم يستغل بمهارة ولا بغيرها، فضاعت الفرصة لمصلحة الثقافات الأوربية الوافدة.

❖ المثقف الإفريقي باللسان العربي قدم كل ما كان عليه أن يقدمه، فقد أحب هذه اللغة وثقافتها من صميم قلبه، وقدم لأجل ذلك تضحيات جسيمة: من بؤس وغربة وحرمان، لكن حسبما يبدو لي أن الخلل في هذا الميدان كان أكبر بكثير من أن يستطيع هذا المثقف التأثير في النتيجة: القائمون على هذه الثقافة دول متنوعة في رؤاها الفلسفية إلى حد التناقض، ولكنها لا تختلف كثيرًا في أدوارها العملية، أي من رديء إلى أردأ! والحال أنه كان من الممكن لها القيام بدور إيجابي مهما كان متواضعًا.

❖ ليس كل من يدّعي حب اللغة العربية صادقًا في قوله، إذ ليس في حب اللغة العربية في شيء من تشجيع الكتاتيب والمحاضر، التي تعود إلى العصور المظلمة، في عصر الحاسوب والإعلامية، بدعوى الحفاظ على الهوية والتراث، هويتنا ليست في تلك اللوحات البائسة، والرفوف الباهتة، مع أنها أدت دورًا كبيرًا في الماضي، وساعدت على إبقاء القرآن الكريم غضًا في هذه المنطقة، إنه لدور عظيم، ولكن العالم تجاوزه اليوم، ما يؤلمني هو أن هناك من يزايد علينا في هذا التراث؛ ليشدنا إلى الوراء، أعني هنا أولئك الذين لا يريدون أن يروا من الإسلام في إفريقية الغربية إلا تلك المناظر المزرية، والمنفرة من الثقافة العربية الإسلامية، حيث ترى آلافًا من الأطفال



اهتمام غربي بتقديم العون إلى إفريقية

الصغار في سن التمدرس تمتحن طفولتهم بقسوة، وتجهض أحلامهم ببلادة وشماتة.

❖ وجود اللغة العربية - اليوم - مهدد، ليس فقط في إفريقية الغربية، وإنما في الوطن العربي أيضًا. إذ وضعت هذه اللغة على هامش الحياة، وذلك بإعطاء اللغات الأجنبية الغربية كل الأدوار المغرية ذات القيمة الحقيقية في وجودنا: من علم، ومال، وأعمال، وسياسة، ولم يبق للغة العربية إلا المسلسلات الدينية الموسمية، والمزايدات المحمومة في الفضائيات العربية.

❖ لا تتحمل الدول وحدها مسؤولية ما جرى ويجري، بل للمواطن العربي - أيضًا - نصيبه فيما يجري. إذ لا أحد منعه من أن يبذل ما عنده في سبيل أمته، خصوصًا نحن أمة الأوقاف والزكاة، التي علمت الغرب دور المؤسسات المدنية والمنظمات غير الحكومية المعروفة عندهم بالمؤسسات الخيرية، أو الإنسانية، وما يتبعها من جمعيات. فقد برهنت أنها تستطيع أن تقدم الفارق في كل الميادين، خصوصًا في وقت الأزمات، مثل تلك التي نعيشها اليوم. فليعذرني القارئ إذا قلت له: إن كثيرًا من الطلبة الأفارقة في الوطن العربي محرومون حتى من تذكرة السفر إلى بلدانهم، مع أنهم يمنعون منعًا باتًا من العمل في البلدان المضيفة!.

❖ ليس هناك ثقافة من أجل الثقافة؛ بل هي كما عرّفها تايلور، ذلك النظام الكلي المعقد، ومعنى ذلك أنه لا يمكن لأي كان أن يعيش خارج اللعبة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. فعلى المخلصين للثقافة العربية في الوطن العربي، أن يفهموا هذه الحقيقة بكل جلاء ووضوح، ومن ثم مساعدة المثقف الإفريقي باللسان العربي على الاندماج في الدورة الاقتصادية والثقافية، كما يفعل الناطقون بالفرنسية، والإنجليزية لإخوانهم في القارة، وذلك بتمكينهم من خدمات وبحوث وزمالة، في المؤسسات العلمية، وليس الغرض من ذلك أننا نريد منافستهم، فنحن نعرف قدراتنا وإمكاناتنا جيدًا، ونعرف أنها لا تمكننا من القيام بذلك في الوقت الحاضر على الأقل، ولكننا نريد أن نقدم أفضل صورة متاحة للثقافة العربية في القارة السمراء، ونذكر أولئك الذين استضعفونا، أو استهانوا بنا بالمثل الإفريقي القائل: إن الإسكافي الذي يجاور الحداد، لا ينتظره حتى ينتهي من صخبه

أكثر الأفارقة الوافدين إلى الدول العربية، فهموا بعد تجربة شخصية، وقناعة داخلية أن المعركة الحضارية بين الغرب والعروبة في إفريقية ما وراء الصحراء، قد انتهت لمصلحة الغرب. هذه القناعة قد لا يعبرون عنها بأقوالهم، ولكنهم يعبرون عنها بأفعالهم وأحلامهم.

ليبدأ العمل، وإنما يعمل ببسالة في صمته.

❖ مخطئ من ظنّ أن الناس، من أجل مبادئهم، قادرون على تحدي كل الظروف في كل الأوقات، أو أن إيمانهم يزداد قوة وصلابة في وقت الأزمات الحادة.

لقد برهن التاريخ أن الناس يضعفون في وقت الأزمات، ومن ثم يخونون مبادئهم، أو ينحرفون عنها، لذا فإن توفير ظروف ملائمة لهم، يعد إسهامًا في نحت أقدارهم نحو مستقبل أفضل.

المراجع والهوامش

١- الاقتباس من النابغة الجعدي إذ قال:

سألتني امتي عن جارتي
وإذا ما عيّ ذو اللبّ سأل
سألتني عن أناس هلكوا
شرب الدّهر عليهم وأكل
وأراني طربًا في إثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

2- Encyclopedia Britannica, 2005. Art Ideology

3- Tylor, E. B. Primitive Culture. Part II. Religion in Primitive Culture. New York: Torchbook, 1871

4- Christian, Coulon. Le Marabout et Prince: Islam et Pouvoir au Senegal, Pedonne. Paris. 1981. Pp 25- 36.

5- Amadou. Hampate Ba. Amkoulel. L' Enfant Peul. Paris. Babel. 1992.

6- Thomas. Louis Vincent. La Terre africaine et ses Religions. Paris: Larousse, 1975. Pp47- 86

٧- شهادة من صاحب المقال.

8- Vincent. Mansour Monteil. Aux Cinq Couleurs de l'Islam Maisonneuve: paris. 1980. Pp. 197- 220.

9- Britannica. opcit, Art. Afrocentrism

استعرت هذه العبارة من وولي سوينكا، الكاتب النيجيري الحائز على جائزة نوبل للآداب، الذي وصف التيار الزنجي في إفريقية السمراء، وأمريكا بأنه تيار تافه، لأن النمر لا يقول عن نفسه: أنا نمر، بل ينقض على فريسته لتعرف أنه نمر!

١٠- Christian, Coulon. Op. Cit. Pp. 52- 63

١١- حسن سعيد جالو، أثر الإسلام في اللغات الإفريقية: الولوف والفلانية نموذجًا. أطروحة الدكتوراه في تاريخ الأديان، جامعة الزيتونة، يونيو ٢٠٠٣م، ص ١٨٥.

١٢- المرجع نفسه، ص ١٨٧، هذا الرفض من حيث المبدأ فقط، لأننا نعرف أن هناك بعض الأمكنة خرقت هذه القاعدة، مثل فوتا جالون، التي وجدت فيها نسخ قرآنية باللغة الفلانية منذ قديم الزمان، كما أنها كانت - كما قلنا في مكان آخر - المنطقة الإفريقية الوحيدة التي ضبطت الحرف العربي رسمًا وإملاء في اللغة الفلانية.

١٣- Hunwick. John O. Saleh al Fulani of Futa Jallon. an 18th Century Mujaddid. Dakar. Ifan. Tome 40, Serie B. No 4. 1978. Pp. 879 - 885

١٤- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، القاهرة، ١٩٣٠م، رقم الشجرة ١٣٨٩.

١٥- كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. مادة فلاني ص ٥٥- ٧٩.

١٦- John, O. Hunwick, op cit, Pp. 879 - 885.

١٧- كان (Kann) أحمد، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقية الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٨- عمر رضا كحالة، سبق ذكره، مادة فلاني.

١٩- ابن خلدون عبدالرحمن، المقدمة، مكتبة ودار المدينة المنورة والدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج١، ص ٤١٣- ٤١٨.

20- Paul, Marty. L'Islam au Senegal, Paris: Maisonneuve et Lereaux, 1917

21- Christian, Coulon. Op. cit. Pp. 45 - 58.

22- Ousmane, Kane. Intellectuels non euro Phones. Dakar. Codesria. 2003. Pp. 10 - 78.

23- Ibid, Pp. 58 - 62

24- Lamin, Sanneh. Translating the Message: the Missionary Impact on Culture, New york; Orbis, 1993

25- Ibid. Pp. 85- 89.

26- Amadou. Hampate Ba. Amkoulel. Opcit. Pp, 85- 97.

٢٧- أحمد العابد، اللغة العربية واللغات الإفريقية، الكسو، تونس، ١٩٩٢م، ص ٢٢٩ - ١٤٣.

٢٨- عبدالله صالح سانا، مدخل لقضايا المسلمين في غرب إفريقية، دراسة في الإنسان والمجتمع، القارئ العربي للتوثيق والإعلام والتأليف والتراث والنشر، القاهرة، ب. ت.

٢٩- حسن سعيد جالو، الإنسان المعاصر بين جدلية الحداثة ومناهج الأديان هل للمسلم فيها من موقع؟ الحياة الثقافية العدد ١٦٧، تونس، سبتمبر عام ٢٠٠٥م.

30- Hastings, Adrian A History of African Christianity: 1950- 1975. Cambridge; Cambridge University Press, 1979.

31- Loyola Kesini College Abuja, Service of God and Others, Abuja; 2005.

32- A Guide to the Gregorian University. Year 2000- 2002. Pp. 14 - 26.

٣٣- حسن سعيد جالو، سبق ذكره، ص ٧ - ٢٦.

٣٤- عبدالله صالح سانا، سبق ذكره، ص ١٥٤ - ١٦٣.

35- El Watan, 26 juillet 2004. Evangelisation en Kabylie: Danger ou Phenomene marginal? (1re Partie) Pp. 8- 16.

36- Ousmane, Kane. Op. cit. Pp.34.

37- Ibid.

38- Ibid.

39- RFI. La Parole Aux Auditeurs. Sujet du Jour (Les Comores) 15/5/2006. 08;30 GMT.

٤٠- عبدالله صالح سانا، سبق ذكره، ص ٩٦- ١٢٥.

٤١- Assous. Omar. Arabisation and Cultural Conflict in Algeria. (PhD. Thesis) in Northeastern University: Boston Massachusetts, 1985. cf. Cherfi Mohamed. Islam ET Liberte: Le Malentendu Historique. Paris: Albin Michel. 1998



قراءة جديدة في القبائل العربية التي نزلت أسوان والنوبة

عبدالرحمن عوض

القاهرة - مصر

تقع مدينة أسوان جنوب القاهرة بنحو ٩٠٠كم، على خط عرض ٢٤ْ شمالاً، وعلى خط طول ٣٢ْ شرقًا، على الشاطئ الشرقي لنهر النيل، وترتفع عن سطح البحر بنحو ٨٥م، ويعد الجندل الأول الحد الطبيعي الفاصل بينها وبين بلاد النوبة[1].

تبلغ مساحة محافظة أسوان الآن نحو ٤٥ر٦٧٨كم٢، وعدد سكانها مليون نسمة في أحدث الإحصاءات، ومن مدنها: أُسوان، ودراو، وكوم امبو، ونصر النوبة، وإدفو، وعدد قراها الكبيرة فوق الثمانين قرية[2].

اكتسبت أسوان اسمها من شهرتها التجارية، بوصفها مركزًا تجاريًا بين مصر والسودان، ومعبرًا لإفريقية، أطلق عليها الفراعنة اسم «سونو» بمعنى السوق، أما الإغريق ٣٢٣ - ٣٠ ق.م فقد عرفوها باسم «سيني» Saene، كما جاء ذلك في أوراق البردي المكتشفة في جزيرة إلفانتين بأسوان (جزيرة فيلة). وسمّاها العرب أُسوان بضم الهمزة، وهو النطق الشائع الآن بالضم والفتح[3].

كانت أسوان معقلاً من معاقل المسيحية، إذ لجأ إليها الفارون من اضطهاد الرومان[4]، فلذلك نجد في اسوان كثيرًا من الأديرة القديمة، منها دير الأنبا سمعان (الأنبا هدرا) رئيس الرهبان في القرن الخامس الميلادي، ومنذ مطلع القرن السادس الميلادي تحولت معظم معابد أسوان الفرعونية إلى كنائس[5].



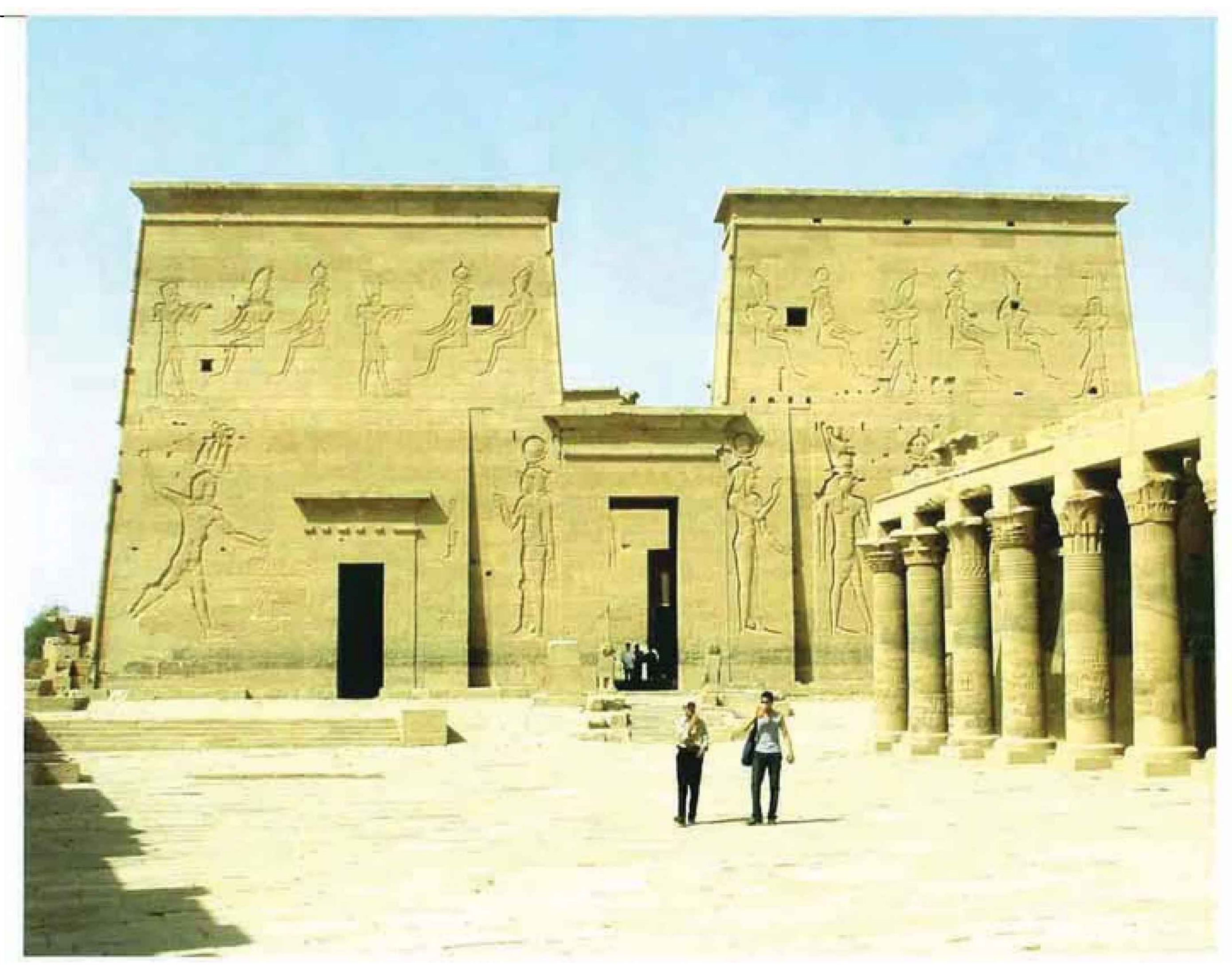
بلاد النوبة

أما بلاد النوبة، فهي المنطقة الواقعة الى الجنوب من أسوان مباشرة بعد الجندل (الشلال) الأول. وتنقسم إلى:

. النوبة السفلى: من قرية دبود حتى أدندان، بطول ٣٥٠كم على شاطئ النيل، عند خط عرض ٢٢ شمالاً، أطلق عليها العرب اسم المريس، وتنقسم النوبة السفلى إلى: الكنوز، وعرب عقيل، وفديجة (نوبة) من الشمال إلى الجنوب، وهي غارقة الآن تحت مياه بحيرة السد العالي، تم تهجيرهم إلى شمال أسوان في عام ١٩٦٣ - ١٩٦٤م بالقرى القديمة نفسها، وهم يعيشون الآن في نحو ٣٩ قرية شمال أسوان.

. النوبة العليا: فيما بين وادي حلفا حتى بلدة الدبة وأبي حمد في السودان الشمالي (نحو ٣٥٠كم طولاً) وتنقسم إلى: السكوت، والمحس، والدناقلة (١).

وتاريخ النوبة موغل في القدم؛ كما تشير الاكتشافات الأثرية الحديثة، فمنذ العصر الحجري - على الأقل - وضفاف النيل بها مجموعات سكانية، وظهرت في بلاد



حضارات عظيمة عرفتها بلاد النوبة

النوبة عدة حضارات قديمة لعل من أشهرها:

❖ حضارة كوش ٧٨٠ - ٥٩٢ ق.م، وعاصمتها نباتا (نوب تا)، وفيها تأسست الأسرة ٢٥ الكوشية المعروفة، التي حكمت مصر من نباتا حتى الإسكندرية. ومن أشهر ملوكها: طهارقا، وتانوت أماني، الذين تصدوا لآلة الحرب الآشورية، وخاضوا معارك طاحنة حتى سقطت طيبة عاصمة مصر في أيدي الآشوريين في عام ٦٤٤ق.م.

❖ حضارة مروي ٥٩٣ ق.م - ٣٥٠م، فيما بين الجندلين (الشلالين) الخامس والسادس، فيما تعرف الآن منطقة «البطانة» بين عطبرة وشندي شمال الخرطوم. كانت مروي حاضرة البلاد، وأهم المراكز التجارية في إفريقية (٧).

وعند دخول المسيحية بلاد النوبة نحو عام ٥٣٤م، واعتناق سلكو ملك نوباتيا الدين المسيحي، تكونت فيها


من الآثار التي عرفها التاريخ

ثلاث ممالك مسيحية من الشمال إلى الجنوب:

١. مملكة (نوباتيا) أو (النوبة) أو (المريس)، من أسوان حتى الجندل (الشلال) الثالث، وعاصمتها فرس (نجراس) أو (بجراش) جنوب أبي سمبل كما جاء في الوثائق القديمة.

٢. مملكة المغرّة، وعاصمتها دنقلة حتى بلدة الأبواب «كبوشية» ٥.

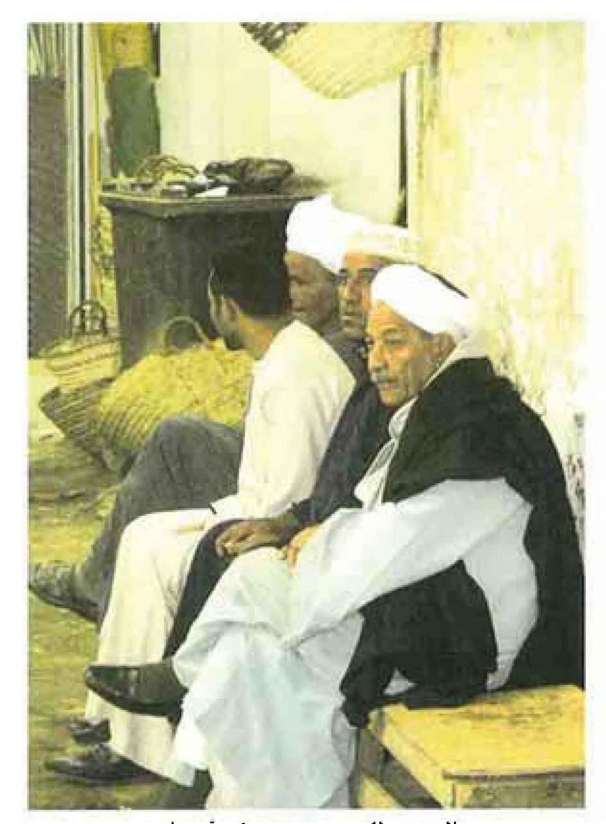
٣. مملكة علوة، وعاصمتها سوبا، بالضفة اليمنى على النيل الأزرق، جنوب الخرطوم الحالية، وجنوب ملتقى النيلين الأبيض والأزرق. كانت بها أربعمئة كنيسة للنصارى اليعاقبة [٨].

أما مدلول كلمة النوبة، فهناك عدة آراء حولها، وإن كان معظمها يميل إلى أنها مشتقة من الكلمة المصرية القديمة «نوب» ومعناها أرض الذهب، إشارة إلى أرض النوبة العليا والسفلى التي اشتهرت بوجود الذهب فيها. وإن كانت هناك عدة أسماء أطلقت على بلاد النوبة قبل ذلك: منها: «تاستي» بمعنى أرض حاملي الأقواس، وكانت النوبة السفلى تدعى: «واوات»، والنوبة العليا: «كوش» نسبة إلى كوش بن حام بن نوح عليه السلام، وهناك من يرى أن علوة لم تكن حضارة نوبية صرفًا، وإنما هي حضارة مجاورة للنوبة تختلف عرقيًا عنها.

تدفق الهجرات العربية لم يقتصر على العرب بالجزيرة العربية، وإنما تضمن أيضًا العرب في المغرب والأندلس واليمن، تعربوا تمامًا دينًا، ولغة، وثقافة، وربما كانت تلك الهجرات ضمن حملات عسكرية، أو غزوات، أو تجارة، أو بحث عن المعادن الثمينة، أو في طريق الحج، أو غيرها

دخول العرب أسوان والنوبة

حينما غزا عمرو بن العاص مصر في ذي الحجة سنة ١٨هـ / ديسمبر ٦٣٩م، كان جيشه يراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف مقاتل، حتى وصل الزبير بن العوام في يونيو سنة ١٩هـ / ٦٤٠م بعدد آخر قدر باثني عشر ألفًا، حتى سقطت الإسكندرية في ذي الحجة سنة ٢٠هـ / نوفمبر ٦٤١م، كان ذلك الجيش العربي مؤلفًا


الوجود العربي عميق في أسوان

من عدة قبائل عربية، إذ كانت لخم وجذام ممثلتين فيها أظهر تمثيل، حتى دعاهم الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بالقبائل المصرية. وفي سنة ٢١هـ / ٦٤١م أرسل عبدالله بن سعد بن أبي السرح لغزو بلاد النوبة، وكان معه عشرون ألف مقاتل (٥).

تضاربت الروايات التاريخية حول عدد الحملات العسكرية: التي أرسلت إلى النوبة، وإن كنت أطمئن إلى رواية المؤرخ العربي عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ) التي أوردها في كتابه «فتوح مصر والمغرب» لعدة أسباب، منها: أن والده عبدالله بن عبدالحكم كان راوية في التاريخ، إلى جوار زعامته المالكية (ت ٢١٤هـ)، وإلى أمانته العلمية، وقد نقل عنه الابن. وأن كتاب «فتوح مصر»: من أقدم الكتب التاريخية عن الفتح العربي: التي وصلتنا. وقد رواها عبدالرحمن عن الطبقتين الأولى، والثانية من تلاميذ يزيد بن حبيب سنة ٥٣ - ١٢٨هـ مفتي مصر. ورواها يزيد عن والده سويد، وكنيته أبو خبيب. «شهد سويد معركة دنقلة الشهيرة بين العرب ومملكة دنقلة في سنة ٣١هـ. ووقع أسيرًا. فحمله عبدالله بن سعد بن أبي السرح معه إلى الفسطاط. وعاش سويد في كنف أسرة عبدالله بن سعد حتى اعتنق الإسلام، وسمّي سويدًا» وأنجب يزيد: هذا الذي روى وقائع دنقلة نقلاً عن والده (٦).

وفيما يبدو أن الحملة الثانية على بلاد النوبة في سنة ٣١هـ (الأولى في سنة ٢١هـ) كانت من أكبرها، توّجت بمعاهدة (البقط) الشهيرة في رمضان سنة ٣١هـ كما أوردتها معظم الوثائق والروايات التاريخية.

وقد ذكر ابن الحكم أسماء القبائل العربية: التي هبطت مصر وقت الفتح. واتخذت لها خططًا حول المسجد الجامع (جامع عمرو بن العاص) أهمها: قريش، والأنصار، وأسلم، وغفار، وبنو جمح*، وبنو الليث، وجهينة، وثقيف، والمعافر، وبنو معاذ، وعنزة بن ربيعة،

أسوان، والنوبة، والبجة عرفت النظام القبلي منذ عهود قديمة، وكانت النوبة منذ المسيحية مجتمعًا أموميًا، أو ما يعرف بنظام الخؤولة، وهو النظام الذي استفادت منه قبائل جهينة، كما يقول ابن خلدون

وبلي، والأزد، ومهرة، وغافق، والصدف، ونُجيب، ومراد، وخولان، ومذحج، وحمير، وبنو وائل الكلاع، وبنو بحر، وبنو فهم، ويرفأ، وشجاعة، وهذيل، وجذام، وغنث، وحضر موت، ويحصب، ولخم (١١).

كانت هناك أعداد من القبائل العربية ممن شهدت فتح مصر، رابطت في ثغر أسوان للدفاع عنها ضد إغارات مملكة النوبة المسيحية قبل معركة دنقلة (١٢).

منذ القرن الهجري الأول وبعده، نزلت عدة بطون من قبائل عربية أسوان، وسكنت فيها، وهناك جماعات من قبائل عربية كبرى استقرت بها، من أهمها:

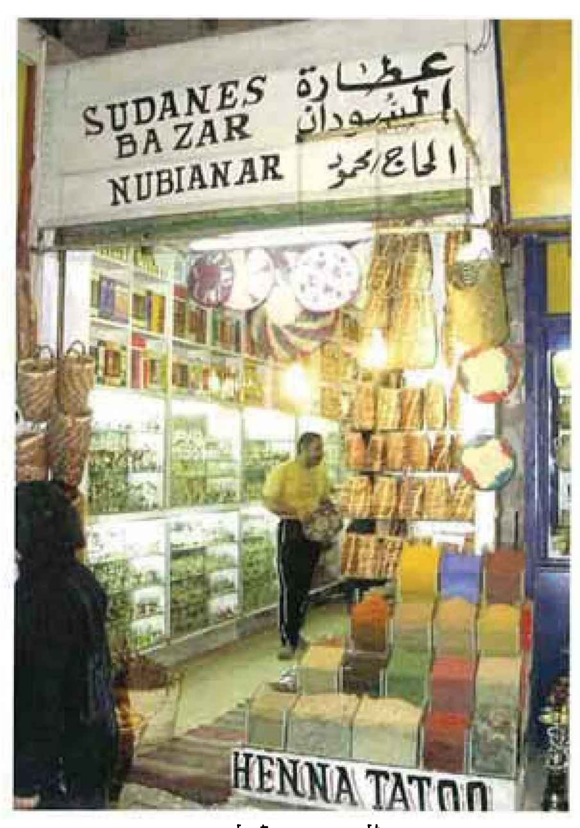
القبائل العدنانية

- القبائل العدنانية: حيث قال المسعودي في «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، حينما زار مصر في ٣٣٢هـ: «ومدينة أسوان يسكنها كثير من العرب من قحطان، ونزار بن معد بن ربيعة، ومضر، وخلق من قريش، وأكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره» (١٣).

وأهم هذه القبائل العربية العدنانية: التي نزلت أسوان في ضوء شواهد القبور:

- قريش: ومن بطونها: العباسيون، والطالبيون، والبكريون، والعمريون، وقد عثر في جبانة أسوان على شواهد قبور يحمل أصحابها أسماء تجيء في

قام العرب من النازلين أسوان والنوبة بدور تنموي في شتى مجالات الحياة، حيث أمدوا أسوان وما جاورها بصناعات محلية، وأدخلوا منتجات جديدة، كما هو مدوّن في الشواهد من أصحاب الحرف



جانب من سوق شعبي

نهايتها القرشي مثل: عمارة بنت موفق بن يحيى بن عبدالله القرشي، المتوفاة سنة ١٩٠هـ (١٤).

- العباسيون: هم أبناء العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم، لم تكشف الحظائر إلا عن شاهدي قبر، جاء بهما كلمة العباسي (١٥).
- الطالبيون: هم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم، هناك شاهد قبر واحد يحمل اسمًا ينتمي إلى الحسن ابن علي بن أبي طالب، لصاحبه: محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ٣١٥هـ).



وجوه من أسوان في سوق شعبي

وثمة شواهد قبور في أسوان، ينتمي أصحابها إلى جعفر الصادق: من أحفاد الحسين بن علي، ومنها: الشريفة رقية ابنة معلا بن علي بن الحسن بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسين بن عبدالله بن أحمد بن محمد ابن إسماعيل بن محمد بن عبدالله الباقر بن علي زين العابدين ابن السبط الشهيد الحسين بن الإمام الوصي علي بن أبي طالب (ت ٤٩٥هـ). ومن أقدم الشواهد التي عثر عليها للأشراف في أسوان: زينب بنة علي بن عيسى بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب، المتوفاة في أسوان نحو منتصف القرن الثالث الهجري [٦٦].

والطالبيون من ذرية الإمام علي بن أبي طالب ومن السبطين الكريمين الحسن والحسين، يتمثلون أقوى تمثيل للأشراف بأسوان. وكذلك ذرية الشهيد جعفر

العبابدة ـ الذين ينتسبون إلى عباد، يمثلون أحدث الهجرات العربية المستقرة في النوبة السفلى، ويعيش العبابدة على امتداد طرق القوافل القديمة: بين بربر، وأبي حمد، ودراو، وكروسكو، وبين قوص، وقنا، والأقصر، وأرمنت، واسنا، وأدفو، وكوم أمبو، وأسوان، وبلاد النوبة

الطيار. أما ذرية عقيل بن أبي طالب، فهم قلة في وادي العرب بالنوبة، كما سنوضح ذلك فيما بعد.

أما الجعافرة من ذرية الإمام جعفر الصادق حفيد الإمام الحسين ـ رضي الله عنهم ـ فهم من أكثر الأشراف عددًا في أسوان والنوبة وقنا، ومعظم جعافرة الصعيد منهم، ومن سيدنا الحسين والحسن ـ رضي الله عنهم.

وهناك عدة شواهد قبور في أسوان، من أحفاد جعفر الصادق من أقدمها: محمد بن ياسين بن محسن بن محمد بن محسن الجعفري (ت ٢٤٥هـ) (١٧).

- بنو أمية: كانت هناك جماعات هربت من بني أمية: بعد تعقب العباسيين لهم، ونزلوا أسوان والنوبة والحبشة والبجة، هناك شاهد عثر عليه في أسوان لـ: محمد بن حنون بن حفص الأموي، المتوفى سنة (٢٥٤هـ) (١٨).

- البكريون: عثر على شاهد قبر يحمل اسم ..... (مكسور) هاشم بن أبي بكر، توفي سنة (٢٦٤هـ) (١٩).

- العمريون: لقد كان هناك دور خطير قام به أبو عبدالرحمن عبدالله بن عبدالحميد بن عبدالله الناسك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في أسوان، والبجة، والنوبة. وقد تم العثور على شاهد قبر يحمل اسم: أم عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن العمري، المتوفاة سنة ٢٥٩هـ (٢٠).

- بنو فهر: ينسبون إلى فهر بن مالك من قريش، عثر على شاهد قبر لـ: مطرف بن أحمد بن مطرف بن يحيى بن أحمد بن مطرف بن منقذ بن طحيم الفهري، المتوفى في أسوان سنة ٤٤١هـ (٢١).

- بنو سهم: ينسبون إلى هُصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، ومن بني سهم عمرو بن العاص رضي الله عنه، هناك شاهد قبر لـ: أحمد بن زيد بن أبي زيد السهمي المتوفى سنة ٢٨٢هـ (٢٢).

- بنو مخزوم: ينسبون إلى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، وإليها ينسب خالد بن الوليد رضي الله عنه. وقد عثر على شواهد قبور لأفراد من بني مخزوم من بينهم: أحمد بن صدقة بن أحمد بن سيار بن أحمد المخزومي، المتوفى سنة ٤١٠هـ (٢٣).

- بنو زُهرة: ينسبون إلى زُهرة بن كلاب بن مرة، وإليها تنسب السيدة آمنة بنت وهب ـ أم الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، رضي الله عنهم.

هناك عدة شواهد قبور في أسوان، ينتمي أصحابها إلى بني زهرة، منهم: سهر فتى محمد بن أمية بن ميمون بن يحيى بن مسلم بن الأشج الزهري.

كانت هناك أعداد من القبائل العربية من شهدت فتح مصر، رابطت في ثغر أسوان للدفاع عنها ضد إغارات مملكة النوبة المسيحية قبل معركة دنقلة، ومنذ القرن الهجري الأول وبعده، نزلت عدة بطون من قبائل عربية أسوان، وسكنت فيها



أسوان حلقة وصل بين مصر والسودان

المتوفى سنة ٢٤٧هـ. وأم إبراهيم بنة عبدالرحمن بن يونس الزهري، المتوفاة سنة ٢٤٩هـ (٢٤).

. ربيعة (بنو الكنز): تنتمي قبيلة ربيعة إلى نزار بن معد بن عدنان، كانت ديارها بلاد نجد وتهامة في شبه الجزيرة العربية. لقد كانت ربيعة واحدة من أهم القبائل العربية التي نزلت أسوان والنوبة، وقامت بأدوار مهمة في الحياة السياسية: منذ القرن الثالث الهجري، وهو ما سنتحدث عنه بشيء من التفصيل عن النوبة، فيما بعد. هناك عدة شواهد قبور عثر عليها في أسوان من ربيعة (٢٥).

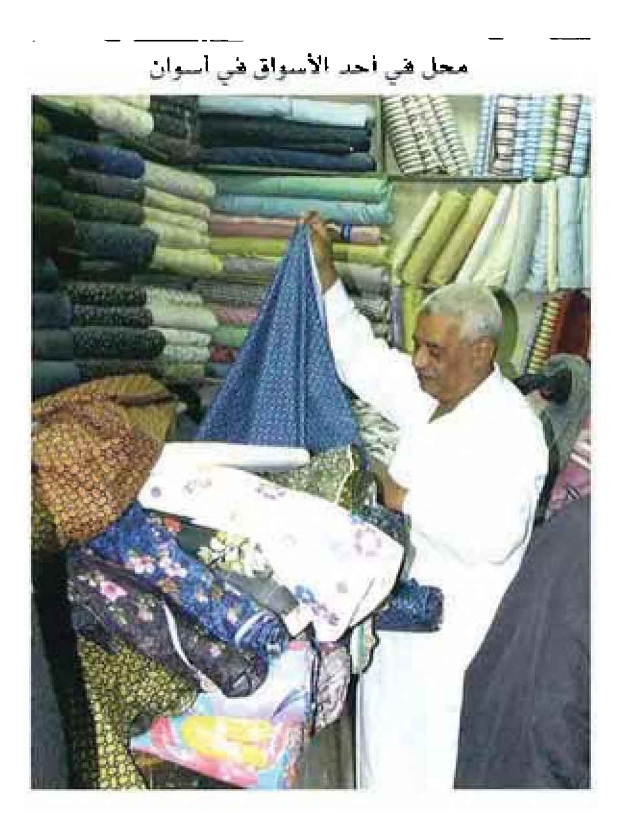
. بنو عنزة: من فروع ربيعة، كانت منازلها في خيبر من ضواحي المدينة، تنتمي إلى عنزة بن أسد بن ربيعة. عثر على شاهد قبر في أسوان جاء به اسم: علي بن عبدالملك بن علي بن عبدالملك ابن

موسى بن إبراهيم بن يزيد بن خالد بن زيد بن الحارث العنزي (ت ٤٠٧هـ)(٣٠).

- بنو شيبان: بطن من بطون ربيعة، فهم بنو شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل. هناك شاهد قبر عثر عليه في أسوان لـ: حسين بن مقبل مولى بشر بن شعيب بن داود الشيباني المتوفى سنة ٣٨٧هـ(٣١).

- مضر. من العرب المستعربة (مضر، ربيعة، إياد، أنمار) من نزار بن معد بن عدنان. كانت منازلها باليمامة شرق شبه الجزيرة العربية. لم يستدل على شاهد قبر لمضري في أسوان في القرن الأول الهجري. وقد ذكر المقريزي في مقفاه أن تلك القبيلة

محل في أحد الأسواق في أسوان



دخلت أسوان في أعداد غفيرة، منذ منتصف القرن الثالث الهجري(٢٨).

ولعل السبب في ذلك أن لفظ قيس كان لا يطلق على قيس عيلان فحسب، بل كان يطلق على مضر ونزار. وأن هجرة القيسيين إلى مصر تمت منذ سنة ٩١هـ/٧٠٩م، إذ كان ثلاثة من ولاة مصر من قيس(٢٩).

ومن المنطقي أن يكونوا بعيدين عن التنكيل، بعد ثورتهم سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م على الدولة العباسية، فكان نزوحهم إلى أسوان(٣٠).

- قيس عَيْلان: فرع من مضر العدنانية. عثر على شاهد قبر في أسوان لصاحبه: كامل بن محمد بن محمد بن علي بن إسحاق بن كامل العيلاني (ت ٤٣٣هـ)(٣١).

- بنو هلال: من أشهر القبائل العدنانية التي سكنت أسوان، تنسب إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.... بن نزار بن معد بن عدنان. وسنأتي بشيء من التفصيل عن دورهم في بلاد النوبة.

- بنو تميم: ينتسبون إلى تميم بن مراد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كانت منازلهم بنجد. وقد عثر على شاهد قبر لصاحبته:.. ابنة علي بن يحيى بن محمد التميمي (ت٤٠٨هـ)(٣٢).

بنو ضمرة: تنسب إلى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة.... بن نزار بن عدنان. عثر على شاهد قبر في أسوان لصاحبته: محمدة ابنة أحمد بن عبدالله الضمري المتوفاة في شعبان سنة ٣٤٧هـ(٣٣).

القبائل القحطانية

- القبائل القحطانية: وهي تنسب إلى قحطان من العرب العاربة: أو البائدة، ومن أهم الفروع القحطانية التي استقرت في أسوان:

- جهينة: تنسب إلى جهينة بن زيد بن ليث بن سود





إنسان أسوان وارتباطه وثيق بالنيل

بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، نزلت أسوان في فترات متتالية، أكبر هجراتها في القرن الرابع عشر الميلادي. عثر على شواهد قبور لبني جهينة منهم: مرزوق بن خزام بن أحمد بن خزام بن محرز بن سمرة الجهني (ت ٢٩٣هـ)، وحسنة ابنة سليمان بن مشمل الجهني المتوفاة بين النصف الأول من القرن الثالث، أو الرابع للهجرة (٣٤). ولجهينة دور بارز في النوبة والسودان، وسنأتي على شيء من تفاصيله.

- بنو كلب: تنسب إلى كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران الحافي بن قضاعة. وقد عثر على شاهد قبر نقش عليه اسم عمران بن رحال بن أحمد بن محمد الكلبي، المتوفى في بنونة سنة ٢٩٢هـ (٣٥).

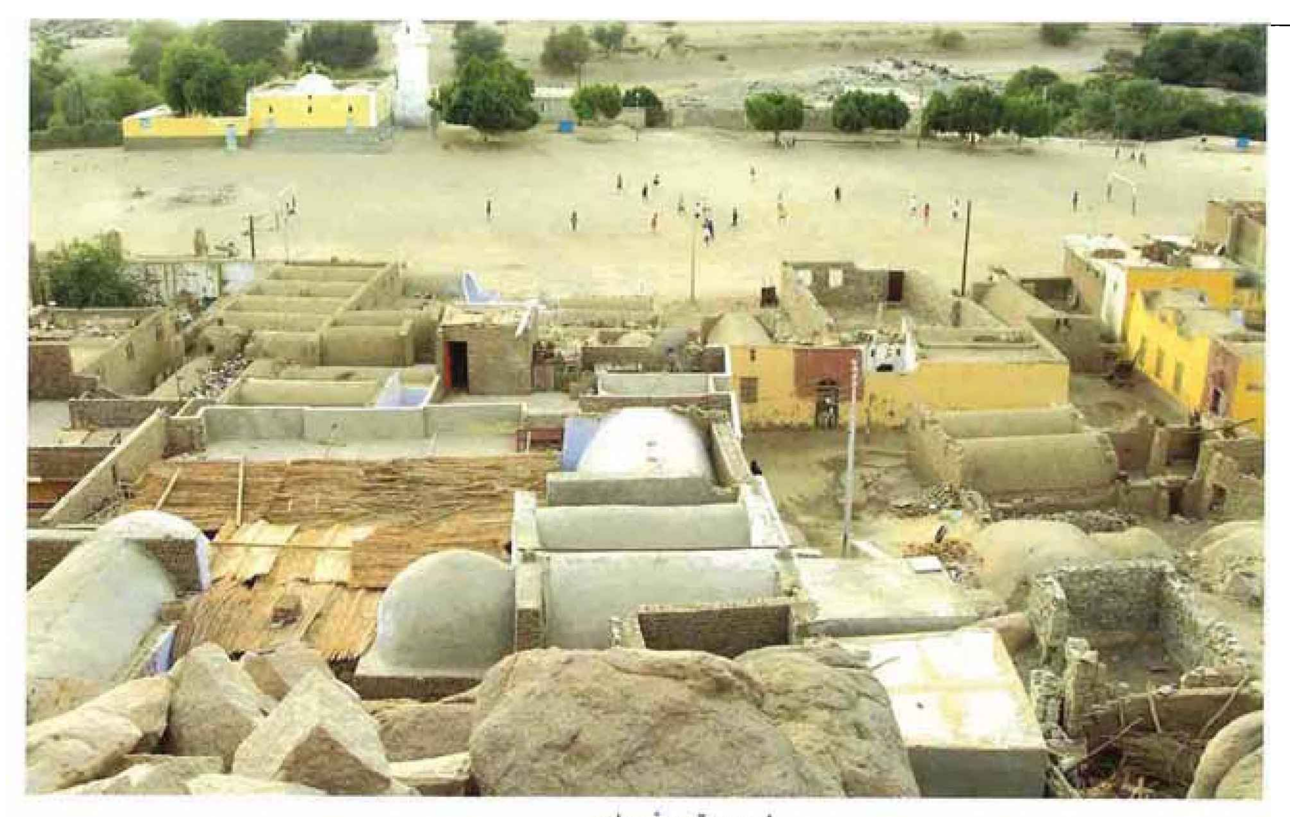
- الأزد: تنسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (عبد شمس). عثر على عدة شواهد قبور لبني أزد منهم: الحسن بن عاصم الأزدي، المتوفى بين القرنين الثاني والثالث الهجري. ورزق فتى يعقوب بن إسحاق الأزدي (ت ٢٩٠هـ) (٣٦).

- الأنصار: وهي من الأوس والخزرج ابني حارثة: (الأزد في روايات أخرى). وقد ناصروا الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة. أقام الأنصار في أسوان منذ القرن الهجري الأول، وهناك عدة شواهد عثر عليها منها: علي بن الحجاج بن فرقد الأنصاري (ت ٢٥٧هـ). وزينب ابنة.... بن عثمان بن نادي الأنصاري (ت ٢١٤هـ). وما زالت تعيش في أسوان حتى وقتنا الحاضر قبيلة تعرف بالأنصار (٣٧)، وسنأتي على شيء من نزولهم أسوان.

- خولان: تنسب إلى مالك، وفي روايات أخرى إلى مذحج بطن من بطون قبيلة كهلان. كانت منازلها شرق اليمن. هناك عدة شواهد قبور تحمل اسم الخولاني في أسوان منها: محمد بن خالد الصواف الخولاني (ت ٢٠٨هـ). ويعقوب بن يحيى الصواف الخولاني(ت ٢١٦). وعائشة بنة محمد بن عيسى الخولاني (ت ٢١٧هـ). وفاطمة بنة مروان بن عبدالملك الخولاني (ت ٢٢٨هـ) (٣٨)

- بنو النخع، ذكر القلقشندي نسبها قائلاً: وهم بنو

تدفق الهجرات العربية لم يقتصر على العرب بالجزيرة العربية، وإنما تضمن أيضًا العرب في المغرب والأندلس واليمن، والمسلمين من مناطق مختلفة، تعربوا تمامًا دينًا، ولغة، وثقافة



إحدى قرى أسوان

النخع، واسمه جسر بن عمرو بن عُلَة بن مذحج، وسمي النخع: لأنه انتخع عن قومه: أي: بعُد، ومنهم الأشتر النخَعي: أحد الصحابة التابعين، تولى الأشتر ولاية مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٣٩).

عثر على شاهد قبر يحمل اسم: ابنة عبدالرحمن

حافظت القبائل العربية، التي نزلت أسوان، على التقاليد العربية: من حسن الجوار، وحفظ العهود، والمواثيق، وإغاثة الملهوف، وغيرها، بل تساهلت مع بعض ملوك النوبة، الذين لم يؤدوا البقط الذي عليهم

بن زيد النخعي المتوفاة سنة ٢١٤هـ (٤٠).

- مراد: من القحطانية وفي روايات أخرى مراد بن كهلان، كانت منازلها في زبيد باليمن. وقد عثر على شاهد في أسوان يحمل اسم: محمد بن أحمد بن أعز بن طفيل المرادي، ويرجع تاريخ وفاته إلى بداية منتصف القرن الثالث الهجري (٤١).

- لخم: من بطون كهلان، تنسب إلى لخم: عدي بن الحارث بن مرة من قحطان. هناك عدة شواهد قبور بها اسم اللخمي، منها: فاطمة بنة إسماعيل اللخمي، وسليمان بن عبدالله بن عمر بن سليمان بن داود اللخمي (ت ٤٠٢هـ) وعزام بن عامر اللخمي، المتوفى بين منتصف القرن الثالث حتى الرابع الهجري (٤٢).

تُجيب: نسبة إلى أمهم تُجيب من كهلان، وهناك

عدة شواهد قبور تحمل اسم التجيبي منها: أبو راشد سعيد بن ميمون بن يحيى بن سوار التجيبي (ت ٢٤٧هـ) وعيسى بن سليمان التجيبي، المتوفى، بين النصف الأول من القرن الثالث الهجري حتى الرابع الهجري (٤٣).

- المعافر: تنسب إلى يعفر بن مرة بن كهلان، عثر على شاهد قبر في أسوان به اسم: فاطمة بنة المبارك بن أبي سلمة المعافري (ت ٢٦٤هـ) (٤٤).

- الصدف: تنحدر من مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير، عثر على شاهد قبر في اسوان لامرأة اسمها: أنيسة بنة يوسف بن داود الصدفي، المتوفاة في اسوان سنة ٢٧٣هـ (٤٥).

- خزاعة: تنسب إلى غبشان الخزاعي. عثر على شاهدين لقبرين في أسوان. الأول باسم: خديجة بنة صالح بن... مولى سليمان بن فليح بن المغيرة الخزاعية. المتوفاة نحو النصف الأول للقرن الثالث حتى الرابع الهجري، والثاني: أبو سراج وقاد بن الخزاعي المتوفى نحو منتصف القرن الثالث حتى الرابع الهجري (٤٦).

- غافق: تنسب إلى غافق بن الحارس بن علي بن عدنان بن عبدالله بن الأزد، وقد عثر على شاهد قبر يحمل اسم: ميمون بن هارون الغافقي. توفي بين النصف الأول للقرن الثالث حتى القرن الرابع الهجري (٤٧).

- بنو جعد: بطن من بطون لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن كهلان. عثر على شاهد قبر في أسوان يحمل اسم: ميمونة بنة سوار مولاة محمد بن حميد الجعدي، المتوفاة سنة (٣٨٥هـ) (٤٨).

- بنو أجدع: يرجع نسبهم إلى مالك بن عمرو بن الأجدع، من بني مذحج. كانت ديارهم بنواحي نجران من اليمن. عثر على شاهد قبر في أسوان يحمل اسم: مضر بن أحمد الأجدعي. يختلف عن غيره من الشواهد التي دفن أصحابها في أسوان: إذ جاء به: أن صاحبه قتل شهيدًا (يوم الجمعة ١٤ من ذي القعدة سنة ٣٤٤هـ) (٤٩).

ومن المرجح انه قتل في ذلك العام: الذي هجم فيه ملك النوبة المسيحي على ثغر أسوان، في أواخر عهد الدولة الأخشيدية، وقتل فيها جمعًا من المسلمين بها. لعله التاريخ الوحيد الموجود لتلك الغارة، أو الموقعة دون المصادر الأخرى.

وقد عثر على عدة شواهد قبور في أسوان، ينتمي أصحابها إلى عدة قبائل عربية أخرى، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- مرزوق بن عبدالحميد بن محمود المغربي (ت ٣٨٣هـ).
- عباس بن عبدالله: مولى عبدالرحمن بن الحسين بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن نزار النقعي الكوفي (ت ٢٢٧هـ).
- منى بنة حسين بن أبي بكر بن محمد بن عمر البغدادي (ت ٣٥٢هـ).
- حارث بن إبراهيم الفارابي (ت٢٧٨هـ).
- مرزوق بن حسين، مولى الفضل بن سليمان بن الفضل ابن الحسن بن جعفر الفاسي، المتوفى أوائل القرن الخامس الهجري.
- زينب ابنة عيسى المدني.
- سيدة بنة عبدالسلام الحضرمي.
- إبراهيم بن أبي الحسن الخراساني.
- خليدة بنة خالد البصرية: المتوفاة بين نهاية القرن الثاني والثامن الهجري.
- عبادة بن الحسن الأندلسي: المتوفى بين منتصف القرن الثالث حتى الرابع الهجري.
- إسحاق بن يزيد بن عبيدة العكي (ت ٢٢٤هـ).
- علي بن محمد بن مزاحم بن بشير الموصلي (ت ٤٠١هـ) (٥٠).

يتضح لنا - مما سبق - أن تدفق الهجرات العربية لم



يقتصر على العرب بالجزيرة العربية، وإنما تضمن أيضًا العرب في المغرب والأندلس واليمن، والمسلمين من مناطق مختلفة، تعربوا تمامًا دينًا، ولغة، وثقافة. وربما كانت تلك الهجرات ضمن حملات عسكرية، أو غزوات، او تجارة، أو بحث عن المعادن الثمينة، أو في طريق الحج، او غيرها من الأسباب؛ التي كونت في النهاية مجتمعًا عربيًا أرستقراطيًا، على حد تعبير المستشرق ماكمايكل، خاصة في حالة قبيلة ربيعة؛ التي جلست على عرش النوبة بعد مصاهرتهم رؤساءها.

تأثير العرب

لقد قام العرب من النازلين أسوان والنوبة بدور تنموي في شتى مجالات الحياة، حيث أمدوا أسوان وما جاورها بصناعات محلية، وأدخلوا منتجات جديدة، كما هو مدوّن في الشواهد من أصحاب الحرف: القزاز حيث إنتاج الحرير الطبيعي من دودة القز، أو بيعه جاهزًا، والصواف، وغيرها من الحرف والمهن والصناعات.

لقد حافظت القبائل العربية، التي نزلت أسوان في القرن الأول، على التقاليد العربية: من حسن الجوار، وحفظ العهود، والمواثيق، وإغاثة الملهوف، وتأمين اللاجئ، وغيرها، بل تساهلت مع بعض ملوك النوبة، الذين لم يؤدوا البقط الذي عليهم، كما يتضح ذلك من بردية موسى بن كعب، التي ارسلها إلى صاحب معرّة ونوبة، ويقول فيها: .. وعجّل البعثة إلينا بما بقي عليكم من البقط للسنين التي قبلكم...

ولكن العرب في القرون التالية لم تكن على نقاء القرن الأول الهجري، في مجتمع أسواني ونوبي، كانت المسيحية راسخة فيه، لعل نموذج لقاء مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - نائب ملك النوبة يعطينا صورة واضحة للعرب آنذاك في أسوان: من النازلين عليها، وليس المستوطنين، لعلنا نختلف مع د. محمود الحويري في أن القبائل أورثت أسوان النظام القبلي، فصار فيها شيئًا عريقًا.

الدقيق في ذلك ان أسوان، والنوبة، والبجة عرفت النظام القبلي منذ عهود قديمة، وكانت النوبة منذ المسيحية مجتمعًا أموميًا، او ما يعرف بنظام الخؤولة، وهو النظام الذي استفادت منه قبائل جهينة - كما يقول ابن خلدون - وتربع على عرش النوبة بعض أبناء جهينة من أخوات الملوك.

وكذلك استفادت قبيلة ربيعة من هذا النظام في التوريث، فاعتلوا عرش البجة، ثم النوبة بعد المصاهرة،

طالبات في أسوان يشاهدن آثار الأجداد



(عرش دنقلة أكبر كرسي ملكي في وادي النيل).

وقد أوردت د. سعاد ماهر محمد في كتابها القيم «مدينة أسوان وآثارها في العصر الإسلامي» نحو مئتين وثلاثة وعشرين من شواهد القبور: لأفراد من قبائل عربية متعددة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- عبدالله بن محمد بن عبيدالله المكي، المتوفى في ٢٧ ربيع الآخر سنة ٢٤٧هـ❖. وهو من الشواهد القديمة (٤٥).
- عيسى بن عيسى الجهني، المتوفى في ١٢ ربيع الأول سنة ٢٥٣هـ
- محمد بن جبور بن حفص الأموي، المتوفى في ١٧ ربيع الأول سنة ٢٥٤هـ❖
- علي بن حسن بن منصور بن مولى الفضل بن حمزة العبسي، المتوفى في ٧ شوال سنة ٣٧٥هـ.
- خديجة بنت محمد بن سهم بن أحمد بن إبراهيم العدوي المتوفاة في ٢٣ جمادى الأولى سنة ٤١٨هـ.
- فاطمة بنت جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن محسن بن بشير الجعفري، المتوفاة في جمادى الآخرة سنة ٤٢١هـ
- محمد بن يحيى بن محمد بن عثمن (عثمان) بن عبدالله العجلي المتوفى في ٢١ رجب سنة ٤٧٧هـ.
- .... (مكسورة) الحسن القيسي، توفي في ٦ من ذي القعدة سنة ٤٦٣هـ❖.
- كريمة بنة أحمد: المعروف بقسطنطين: مولى هبة الله ابن محمد بن علي بن محمد بن أبي يزيد الحنفي، المتوفاة مستهل ربيع الأول سنة ٤١٩هـ.

هذه هي شواهد القبور العربية، التي وردت في كتاب: «مدينة أسوان في العصر الإسلامي» للدكتورة سعاد ماهر. وبها نسب واضح إلى القبائل العربية، وهناك عشرات الأسماء العربية، التي وردت لكنها غير منسوبة إلى قبيلة عربية بعينها. وهي توضح لنا تدفق نزول القبائل العربية وبطونها أسوان، حتى القرن الخامس الهجري على الأقل.

أما شواهد القبور التي اكتشفت في النوبة، فقد عثر على عدد غير قليل منها بأرض مريس مكتوبة بالخط العربي، التي تحمل أسماء شخصيات عربية لها مكانة مرموقة في المجتمع المريسي. ومنها شاهد قبر عثر عليه في تافة يعود تاريخه إلى سنة ٢١٧هـ (٤٦).

وقد عثر على شاهد قبر في كلابشة يرجع تاريخه إلى سنة ٢١٧هـ (٤٧).

ولغرق بلاد النوبة بما عليها من رمال وديار وآثار منحوتة في الجبال، فإننا سنعتمد على بعض المراجع التاريخية التي أوردت بعض شواهد القبور:

تناول المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في خططه شواهد قبور فقال: «وقال الكمال جعفر الأدفوي، وكان بأسوان ثمانون رسولاً من رسل الشرع، وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شريفًا، خاصة وأن مكتوبًا آخر رأى فيه ستين شريفًا من دون من عداهم. قال: وقفت أنا - أي الأدفوي - على مكتوب فيه نحو أربعين مؤرخًا بعد العشرين وستمئة من الهجرة» (٤٨).

وقد جاء في كتاب «تاريخ المسيحية في الممالك

العبابدة – الذين ينتسبون إلى عباد، أحفاد الزبير بن العوام رضي الله عنه – فهم يمثلون أحدث الهجرات العربية المستقرة في النوبة السفلى، ويعيش العبابدة على امتداد طرق القوافل القديمة: بين بربر، وأبي حمد ودراو، وكروسكو، وبين قوص، وقنا، والأقصر، وأرمنت، وإسنا، وأدفو، وكوم أمبو، وأسوان، وبلاد النوبة

النوبية القديمة والسودان الحديث» للأب د. جيوفاني فانتيني. نقلاً عن المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر، أمر هذه الشواهد. حينما قابل جرجي (جورج أو قرقي) ملك النوبة الخليفة المعتصم في بغداد عام ٨٣٦م ليتفاوض ملك النوبة في أمر البقط، ومشكلة الأراضي التي تقع جنوب أسوان، ويسكنها المسلمون، ويشهد على ذلك بعض النصب على قبور المسلمين التي تعود إلى تلك الفترة [illegible].

وجاء في كتاب «رحلات في بلاد النوبة» لبوركهارت: وشواهد القبور المكتوبة بالخط الكوفي لا يحصى عددها [illegible].

هذه في عجالة بعض شواهد القبور: التي كانت موجودة في أسوان والنوبة، تحكي تاريخ نزول العرب أسوان والنوبة. ومن أقدمها شاهد قبر مؤرخ في ٣١هـ، وهو يمثل أقدم كتابة على الحجر الجيري في مصر الإسلامية. لكننا لم نجد نصها للأسف في كتابي د. الحويري، و د. سعاد ماهر.

وأما في العصور الحديثة فيمثل عرب عقيل آخر الهجرات العربية التي استقرت في أسوان والنوبة (العقيلات) وهم - بعض منهم - ينتسبون إلى ذرية عقيل بن أبي طالب (ت٥٠هـ). وقد عمل العقيلات في نقل المتاجر بين آسيا وإفريقية، ثم تقديم الإبل للمحمل المصري أخيرًا [illegible].

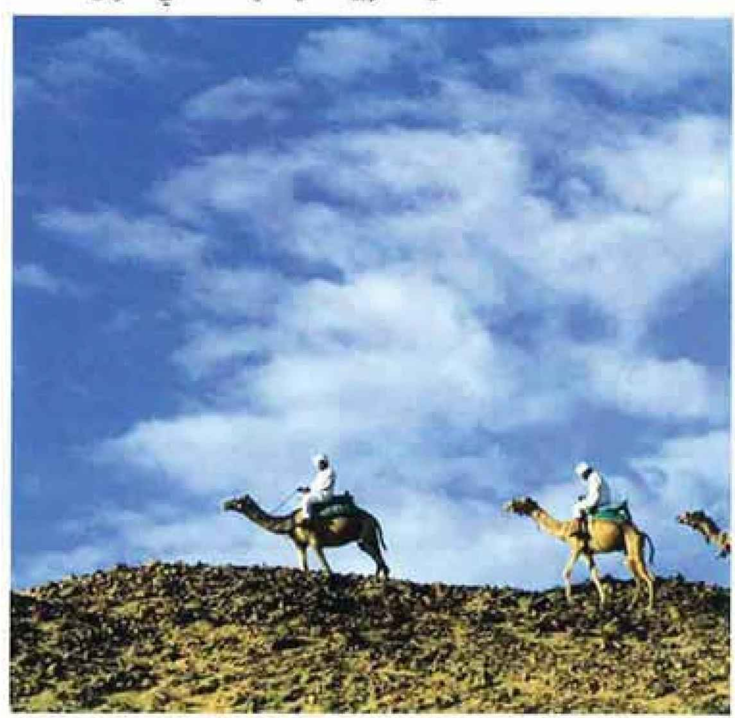
بعدها انساب جزء منهم إلى القليوبية، ثم أخذ جزء آخر طريقه إلى السودان في فجر القرن الثاني عشر الهجري تقريبًا، حيث حطوا رحالهم بجوار بني عمومتهم الجعافرة، في قنا وأسوان. وفي عهد أمير الصعيد شيخ العرب همام عام ١٧٦٥ - ١٧٦٩م ناط بهم خفارة سكة الحجاز من قنا إلى القصير. كما اشتغل أغلبهم في نقل التجارة السودانية بين الشلالين الأول والثاني مع خفارة (درب الأربعين)، وكان مقرهم الرئيس «وادي العرب» بين المضيق وكروسكو مركز الدِّرّ [illegible]، وكان عددهم في إحصاء عام ١٨٨٣م نحو ٥٣٨ نسمة، ازدادوا في إحصاء عام ١٩١٧م إلى ٦٨٢٨ نسمة [illegible] موزعة كالآتي:

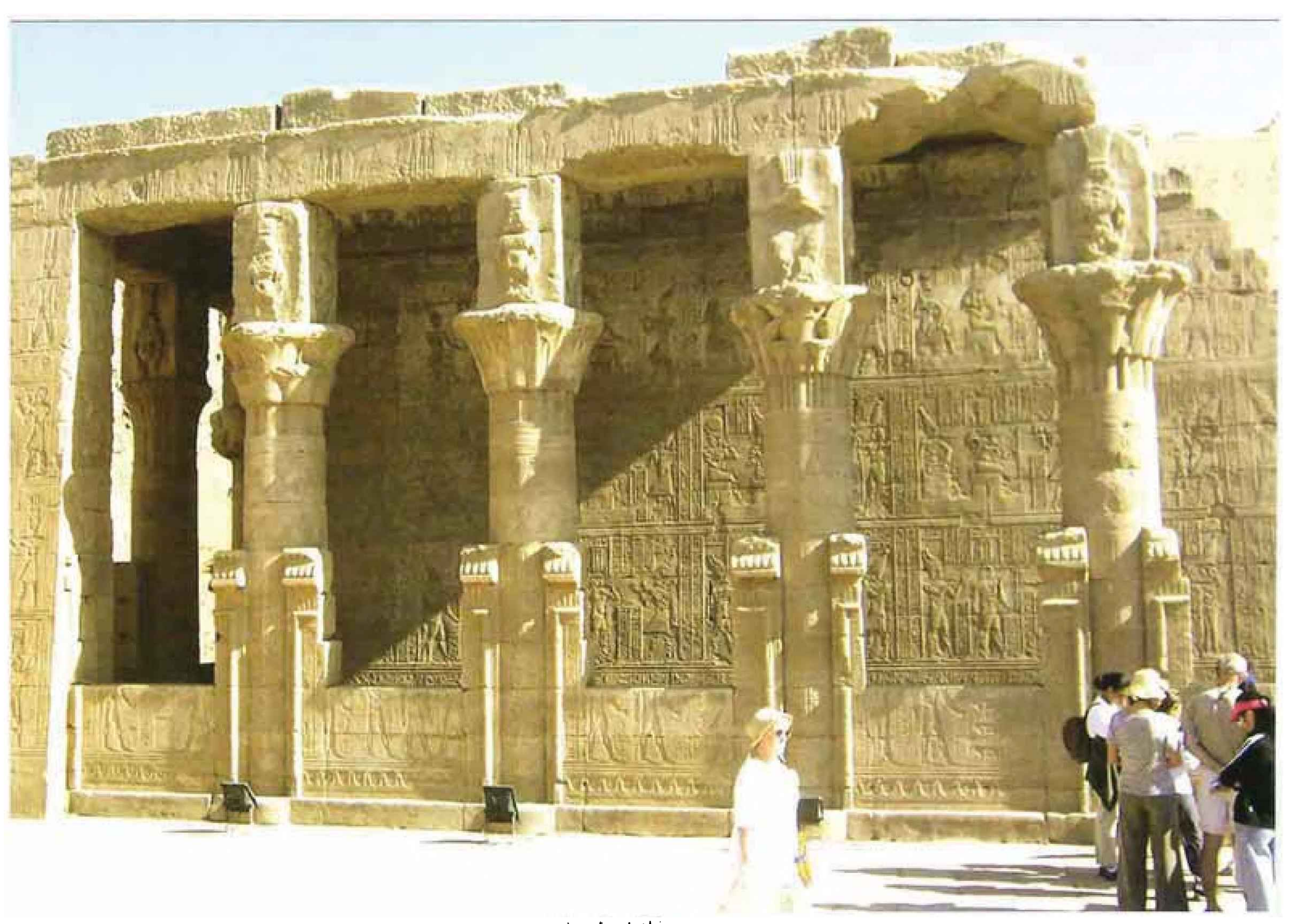
- وادي العرب ٢١٢٥ نسمة.
- المالكي ٢٠٠٦ نسمة.
- شاترمة ١٠٠٦ نسمة.
- كُرسكو ٧٢٠ نسمة.
- سنقاري ٦١٨ نسمة.
- السريقة ٣٥٣ نسمة.

وهناك نسبة صغيرة منهم في قرية أبي حنضل لا تزيد على ١٠٠ نسمة.

وبلغ عدد العرب - الذين ينطقون بغير النوبية - المقيمين


التقاليد العربية قديمة راسخة في أسوان





من آثارات أسوان

بالنوبة في إحصائية ١٩٦٠م، نحو ٤٤٧٧ نسمة، والمقيمين في المدن الكبرى ٥٣٠٢ نسمة (إجمالي ٩٧٧٩ نسمة في النوبة والمدن)، وهم في رأيي لا ينتسبون إلى ذرية عقيل بن ابي طالب إلاّ فيما ندر، لكن بينهم بطون عربية، وأخرى من قبائل عربية كبرى، مثل: الصلاحاب الحسينيين.

أما العبابدة - الذين ينتسبون إلى عباد، احفاد الزبير بن العوام رضي الله عنه - فهم يمثلون أحدث

تنقسم النوبة السفلى إلى: الكنوز وعرب عقيل، وفديجـة (نوبة) من الشمال إلى الجنوب، وهي غارقة الآن تحت مياه بحيرة السد العالي، تم تهجيرهم إلى شمال أسوان في عام ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤م بالقرى القديمة نفسها، وهم يعيشون الآن في نحو ٣٩ قرية شمال أسوان.

الهجرات العربية المستقرة في النوبة السفلى. ويعيش العبابدة على امتداد طرق القوافل القديمة: بين بربر، وابي حمر، ودراو، وكروسكو، وبين قوص، وقنا، والأقصر، وارمنت، واسنا، وادفو، وكوم امبو، واسوان، وبلاد النوبة (٦٤).

ينقسم العبابدة الى أربع بطون (٦٥):

- العشاباب: فيما بين قنا وكورسكو، ومركز شيخهم في أسوان.
- المليكاب: فيما بين دراو وبربر، ومركز شيخهم قرية دراو.
- الفقراء: فيما بين شرق النيل وغربه، ومركز شيخهم قرية الرمادي غرب النيل، جنوب إدفو، شمال أسوان بنحو ٨٠كم.
- العبوديون: شرق النيل، ومركز شيخهم قرية السيالة *

نزل العبابدة النوبة السفلى في وقت مبكر من العصور الوسطى المتأخرة، وهم أقدم نزولاً من العقيلات، لكنهم - لعادة متأصلة فيهم - كبدو رحّل - لم يستقروا في وادي النيل إلا متأخرًا، كما تدل عليهم الحالة الاجتماعية، ولهم مركز شياخة في العلاقي وواديها حتى الآن.

ما زلنا نستخدم شاهد القبر لنضعه فوق مقابرنا، وهي عادة موجودة في بلاد النوبة منذ المسيحية على الأقل، حيث اكتشفت عدة شواهد قبور في النوبة العليا، مكتوبة باللغة اليونانية (مطعمة بثلاثة حروف نوبية هي منطوق محلي) وبالقبطية (٢١٪ من الشواهد يونانية ٧٩٪ قبطية) وأن أساقفة فرس دوّنوا شواهد قبورهم باللغة اليونانية، بينما استعملت القبطية في شواهد الباقين (٦٦).

وتحتوي النوبة العليا (السودان الشمالي الآن) على المئات من شواهد القبور العربية، خاصة مجموعة ملوك النوبة المسلمين، وأمراء كنز الدولة، وأشراف النوبة كما جاء ذلك في عدة مصادر تاريخية.

بقي أن أقول: إن شاهد القبر قطعة من الحجر الرملي - يستخدم الآن الرخام والألباستر، وغيرهما - الذي تشتهر به أسوان، يكتب عليه بحفر قليل العمق البسملة ثم آية قرآنية من القرآن الكريم غالبًا: إنّا لله وإنا إليه راجعون، البقرة: ١٥٦ ، واسم المتوفى وسنة وفاته، والشاهد في معظمه لا يتجاوز طوله ٧٥سم وعرضه ٥٠سم.

وقد اكتشف هذه الشواهد العربية الأستاذ عبدالرحمن عبدالتواب - مدير الآثار الإسلامية والقبطية بمصلحة الآثار المصرية - عليه سحائب الرحمة، وشآبيب المغفرة - في ٢٠ اكتوبر عام ١٩٦٠م، منتصف عام ١٩٦٣م، وجدت هذه الشواهد في جبانة أسوان الممتدة شرق المدينة ٣الحالية، بداية من شمال حي القطانية، بطول جانبي الطريق الموصل إلى خزان أسوان (١٨٠٠ × ٥٠٠م). وكان الأهالي وهواة الآثار قد اتجهوا في نزع هذه الشواهد الأثرية البالغة الأهمية منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي (٦٧)، فحرموا الباحثين من أجزاء عميقة من تاريخنا العربي، كانت ستوضح لنا أبعاد الاستقرار الجماعي للعرب في المنطقة.

وقد اشتركت في هذه الحفريات د. سعاد ماهر محمد - عميدة كلية الآثار الأسبق بجامعة القاهرة - ووضعت هذه الشواهد في كتابها مدينة أسوان في العصر الإسلامي.

اكتسبت أسوان اسمها من شهرتها التجارية، بوصفها مركزًا تجاريًا بين مصر والسودان، ومعبرًا لإفريقية، أطلق عليها الفراعنة اسم "سونو" بمعنى السوق، أما الإغريق فقد عرفوها باسم "سييني" كما جاء ذلك في أوراق البردي وسمّاها العرب أسْوان بضم الهمزة

فهناك أكثر من ألف شاهد قبر وجدت في أسوان، في حاجة ماسة إلى قراءتها ودراستها؛ لتوضع بين دفتي كتاب، فنأمل من الجامعات والمعاهد العربية، أن توجّه طلاب الدراسات العليا إلى دراسة هذه الشواهد العربية، وندعو إلى إعادة التنقيب والحفر والمسح الأثري؛ لبعض مناطق جنوب أسوان، وجنوب شرق البحر الأحمر، وفي حدود الأجهزة العلمية الحديثة، فهذه المناطق زاخرة بالمسكوكات، وشواهد القبور.

الحواشي

١. أسوان في العصور الوسطى، د. محمود محمد الحويري، ص٧، دار المعارف، ط١ ١٩٨٠م، القاهرة.
٢. المرجع السابق، ص٨، مع إضافات للباحث ع.ع.
٣. مدينة أسوان وآثارها في العصر الإسلامي، د. سعاد ماهر محمد، ص٩، ١٩٧٧م، القاهرة
٤. المرجع السابق ص٩.
دير سمعان في غرب النيل، شمال المدينة).
❖ هنالك الرياح الموسمية أي الجنوبية، وكان هناك نجع مريس في قرية دبود الكنزية في غرب النيل، جنوب القرية، من المحتمل أن مريس كلمة قبطية استخدمها العرب عند نزولهم.
٥. النوبة بين القديم والحديث، صدقي ربيع، ص٤٧، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٢م، القاهرة.
٦. مدينة أسوان في العصر الإسلامي، د. سعاد ماهر، ص٩.
٧. متحف النوبة، وزارة الثقافة، المجلس الأعلى للآثار، ص٢١، ٢٢، ١٩٩٧م، القاهرة.
❖ كبوشية، لعلها نوبية، وتعني المغلق.
٨. تاريخ الثقافة العربية في السودان، د. عبدالمجيد عابدين ص٢٥، ط٢، دار الثقافة ١٩٦٧م، بيروت، مزيادة من الكاتب في تحديد الموقع.
٩. قبائل العرب في مصر، احمد لطفي السيد، ص٩، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ج١، القاهرة.
١٠. لمحات من الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربي وبعده، د. عبدالمجيد عابدين، ص٥٧، ٥٨، ط١، ١٩٦٤م، القاهرة.
❖ جمع (بالحاء) قبيلة مشهورة، تصحيف أو سهو.
١١. أسوان في العصور الوسطى، د. محمود الحويري ص ٢١٣
١٢. المرجع السابق ص ٢١٤.
١٣. المرجع السابق ص ٢١٦
١٤. المرجع السابق ص ٢١٦، تاريخ الوفاة مكتوب بالعربية أوردناها بالأرقام لسهولة القراءة.
١٥. المرجع السابق ص ٢١٩، جلس على عرش النوبة السفلى أمراء عباسيون منهم نصر الله.
١٦. هي حفيدة الإمام محمد بن الحنفية (ت: ٨٠هـ)، من جعفر الأصغر، انظر الجامع لصلة الأرحام في نسب السادة الكرام الإمامين الحسن والحسين للشريف أحمد وفقي بسليم، ص٢١، ١٩٩٤م، القاهرة (نقابة الأشراف بمصر).
١٧. من المؤكد أنها لحفيد المحسن بن القاسم بن جعفر الصادق، فالمحسن توفي بمصر، وله مشهد بالإمام الليثي شرقي القاهرة، انظر المرجع السابق ص ٤٣.
١٨. اسوان في العصور الوسطى، د. الحويري ص٢٢٠.
١٩. هكذا اوردها د. الحويري ومن المعلوم أنه ليس لسيدنا ابي بكر الصديق ولد يدعى هاشماً، ويبدو أنه سهو من الحويري.
٢٠. أسوان في العصور الوسطى، د. الحويري ص ٢٢٢.
٢١ و٢٢ و٢٣ . الحويري ص٢٢٢.
٢٤. الحويري ص ٢٢٣.
مازالت النوبة تطلق اسم زُهرة بالضم من اناثها
٢٥. الحويري. ص ٢٢٦.
٢٦. الحويري ص٢٢٨، خيبر ليست من ضواحي المدينة، لكنها شمال المدينة المنورة كما هو معلوم.
٢٧. الحويري. ص٢٢٨.
٢٨. الحويري. ص٢٢٧، لقد سها الحويري عند ذكره ان اليمامة شرقي شبه الجزيرة العربية، إنما هي تحديداً في الجنوب الشرقي كما هو معلوم جغرافيا.
٢٩. قبائل العرب في مصر، احمد لطفي السيد، ص ٥٢، ٥٣.
٣٠. أحمد لطفي السيد، ص١٠.
٣١، ٣٤. الحويري، ص٢٢٨، ص٢٣٠، ص٢٣١، ص٢٣٢.
٣٥. الحويري، ص٢٣٢، بئونة من الشهور القبطية يأتي فيما بين ٨ يونيو حزيران، ٧ يوليو تموز، وهو الشهر رقم عشرة من الشهور القبطية، كما هو معلوم عند العامة من الفلاحين والمزارعين بمصر، انظر مقال يحيى رياض، الشهور المصرية، مجلة اريف الأرمنية، ص١٩، ع٤، ابريل ٢٠٠٢م، القاهرة.
٣٦ و ٣٧. الحويري، ص٢٣٣.
٣٨ و٣٩. الحويري، ص٢٣٤.
انظر أيضاً عن الأشتر النخعي المتوفى في سنة ٣٦هـ، بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن إياس الحنفي، ص١١٤، ج١، الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٨م، القاهرة.
٤٠. الحويري، ص٢٣٤.
٤١. الحويري، ص٢٣٥، هنالك شارع يحمل اسم المراداب في اسوان، كما أن نجعاً بقرية الأعقاب شمال أسوان اسمه المراداب، بحوالي ١٧ كيلو متراً.
يلاحظ هنا المقطع «اب» لعله من تأثير البيئة المحلية، حيث تضيف معظم قبائل جنوب الصعيد هذا المقطع البجاوي الآتي من الصحراء الشرقية، نسبة للقبيلة بدلاً عن ياء النسبة العربية.
٤٢ و ٤٣. الحويري، ص٢٣٦.
٤٤ و٤٥. الحويري، ص٢٣٧.

والقلاع، والحصون، التي طمرتها رمال الصحراء.

أمل أن تتجه البعثات العلمية من الجامعات وعلماء الآثار من السعودية واليمن والسودان ومصر صوب البحر الأحمر حتى وادي النيل، في مجموعات علمية منظمة، وستجد كثيرا من القطع الأثرية المدفونة، التي ستعيد قراءة تاريخ العرب في هذه المنطقة الكبيرة من وادي النيل حتى البحر الأحمر، حتى لا ننتظر من بعض المستشرقين كتابات غير دقيقة حول المنطقة ونعض بنان الندم يوم لا ينفع الندم.

٤٦ و٤٧ و٤٨. الحويري، ص١٢٣
٤٩. الحويري، ص٢٣٩، حيث يشير عنه د. الحويري إلى نجران بنواحي اليمن لكنها الآن جنوبي المملكة العربية السعودية.
٥٠. الحويري، ص٢٤٢-٢٤٣
٥١. قبائل العرب في مصر، احمد لطفي السيد، ص٦٠.
٥٢. البرديات العربية في مصر الإسلامية، د. سعيد مغاوري محمد، ص١٨٣، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠، ط٢، ١٩٩٨م، القاهرة
موسى بن كعب والي مصر العباسي ١٤١-١٤٣هـ/٧٥٨-٧٦٠م. كتبت هذه البردية لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة احدى واربعين ومئة، وهي محفوظة حاليا في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم سجل (١٣٤٤٩)، د. سعيد مغاوري ص١٧٩
٥٣. اسوان في العصور الوسطى، د. الحويري، ص٢٤١
٥٤. تاريخ الثقافة العربية في السودان، د. عبدالمجيد عابدين، ص٨٣
٥٥. مدينة اسوان وآثارها في العصر الإسلامي، د. سعاد ماهر محمود، ص٤٠.
❖ لقد قمت بتحويل التاريخ الهجري الى الميلادي في شواهد قبور كتاب مدينة اسوان في العصر الإسلامي، للدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار بجامعة القاهرة، عليها سحائب الرحمة وشآبيب المغفرة على حاسوب صخر ٢٧ ربيع الآخر ٢٥٤هـ/٦ يوليو ٨٦٨م
❖ ٢١ مارس ٨٦٧م
❖ ١٥ مارس ٨٦٨م
❖ ١٩ فبراير ٨٦٨م
❖ ٣٠ يونية ١٠٢٦م
❖ يونية ١٠٣٠م
٢٢ نوفمبر ١٠٤٤م
٤ اغسطس ١٠٢٩
٢٩ مارس ١٠٣٨م
يعد شاهد القبر هذا مهما من الناحية التاريخية، فهي ابنة احمد المعروف بقسطنطين مولى هبة الله بن محمد بن علي بن ابي يزيد الحسني، وهو والد هبة الله ابو المكارم المؤسس الحقيقي لامارة كنز الدولة الذي لقب بكنز الدولة في ٣٩٧هـ/١٠٠٦م باسمه المسيحي كما ورد في الشاهد. وكنز الدولة قد توارث ابناؤه واحفاده عرش النوبة السفلى والعليا بمصاهرتهم النوبة والأشراف حتى بعد القرن التاسع الهجري، واصبح كنز الدولة لقبا فخريا على الأسرة المالكة الحاكمة على عرش دنقلة، والنوبة السفلى بمصر. وقد جمعت عدة وثائق من شعر التي تروي هذه الحقبة من تاريخنا العربي. (الأماجد الكنزية النابية ١٣١٩هـ - ١٧٤٢م)
٥٦. تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، د. عطية القوصي، ص٤٦.
ناقة Laplia جنوب قرية امباركاب شمالي النوبة، لاحظ اسم القرية مبارك ذا الدلالة العربية، وشاهد قبر ناقة موجود الآن في متحف النوبة باسوان. انظر كتاب متحف النوبة، ص٦٨.
٥٧. د. القوصي، ص٤٦، لم نقف على نص الشاهد.
٥٨. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي المقريزي، ص١٩٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر ٤٩، ج١، ١٩٩٩، القاهرة
٥٩. تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، د. جيوفاني فانتيني، ص٨٤، ١٩٧٨م، الخرطوم.
٦٠. رحلات في بلاد النوبة، جون لويس بوركهارت، ترجمة فؤاد اندراوس، ص٩، ١٩٥٩، القاهرة.
لا ندري شيئا عن هذه الشواهد لعلها نقلت الى متاحف مصر الإسلامية.
٦١. قبائل العرب في مصر، العقيلات، احمد لطفي السيد، ٩٢، ٩٣
٦٢. المرجع السابق، ص٩٣.
٦٣. تعداد سكان القطر المصري، مصلحة عموم الاحصاء، ص٣٤٣، ٣٤٤، ج١، ١٩٠٧م، القاهرة
٦٤. اسوان في العصور الوسطى، د. الحويري، ص٢٥١.
❖ السيالة قرية نوبية تبعد عن جنوب اسوان بحوالي ٤٥كم في النوبة القديمة، اما الآن فهي تبعد عن اسوان شمالا ١٠كم وعن كوم امبو ٤٥كم، وهي قرية العباسية، يقطن بها اسرة عبادية كبيرة العدد (حوالي ٣٠٠ نسمة) وقد كانوا من تجار الجمال بين مصر والسودان، وهم اصهار الباحث في آل مصاهرة نوبية عربية بالقرية الجديدة السيالة في مطلع الثمانينيات، وهم الآن يتكلمون النوبية بعد العربية خاصة كبار السن.
٦٥. الحويري، ص٢٥١
٦٦. كتابات سودانية، بلاد النوبة في العصور الوسطى، س. ل. شيني، ترجمة محيي الدين محمد شريف، ص١٨، ع٣٦، يونيه ٢٠٠٦م، القاهرة
دورية تصدر عن مركز الدراسات السودانية بالقاهرة
وانظر الشمال الشرقي الافريقي في العصور الوسيطة المبكرة، يوري ميخايلوفيتش كوبيشانوف، ص٢٣٤، ترجمة د. صلاح الدين عثمان هاشم، ١٩٨٨م، الاردن (مطبوعات الجامعة الاردنية)
٦٧. الحويري، ص٩٠.



صفحة سوداء من صفحات الحروب الصليبية

الأسبتارية وفرسان المعبد

سمير عطا

القاهرة ـ مصر

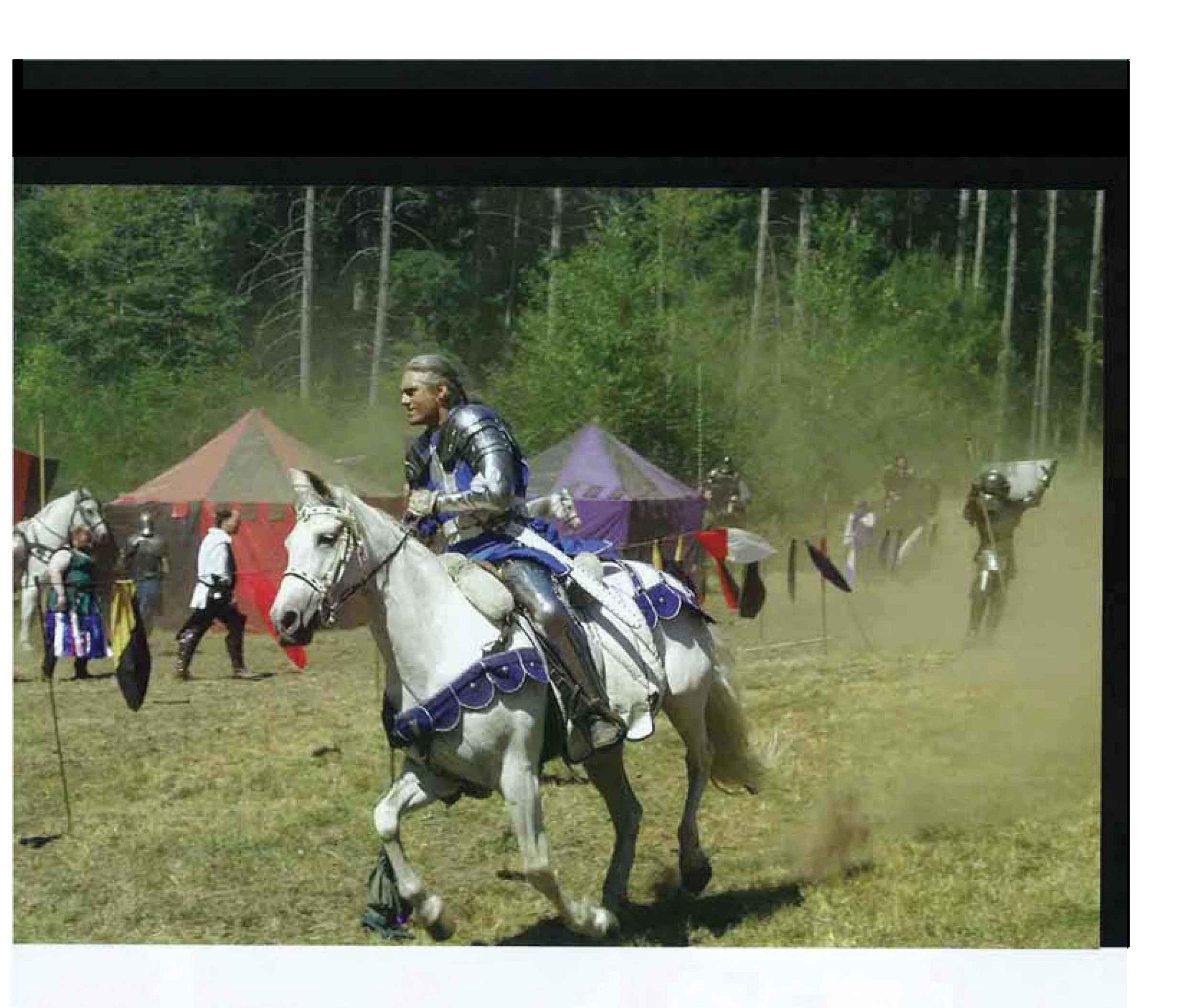
الفارس في أبسط تعريف له: هو كل من قاتل وحارب وهو على ظهر فرسه. وقد عرف نظام الفروسية في الحضارات القديمة لدى قدماء المصريين والآشوريين والفرس. وكان الفارس عادة نبيلاً من الطبقة الثانية غير أنه دون طبقة الشيوخ (السيناتورز) في روما. . وكان الفارس يجهز نفسه للحرب. ويفقد رتبته إذا قلت ثروته عن نصاب معين.

وقد تميزت الفروسية بنظم وقواعد وتقاليد معينة في أوربا خاصة بهم، من دون غيرهم من فئات المقاتلين الآخرين.. وأوضح مثال على نظام الفروسية في العصور الوسطى الأوربية نظام فرسان المائدة المستديرة Knights of the Round table المرتبط بالأسطورة الخاصة بالملك آرثر. ووصف نظامهم بالتفصيل السير توماس مالوري Thomas Mallory في كتابه «La morte D'Arthur» (١٤٨٥). وكان عدد فرسانه ١٣٠، وفي روايات أخرى بلغ عددهم ١٦٠٠ فارس.

اشتهر منهم لانسيلوت Lancelot، وجالا هاد Galahad، وكان النظام يعرف - أحيانًا - باسم «نظام إخوة لانسيلوت - جالا هاد».

وقد عرف العرب والمسلمون، في كل مراحل تاريخهم، نظام الفروسية، حتى كان الفرس والفارس صنوين يذوب كل منهما في الآخر، وحفلت أشعار العرب بمدح الفرس - رفيقهم الدائم في الحروب.

وعلى النطاق الدولي استمر تميز الفروسية على الرغم من اختراع البارود، واستخدامه في الحرب،



مثل الحرب الأهلية الأمريكية، وحتى في الحرب العالمية الأولى، وحروب الجبال الخاصة، لكنها فقدت معظم أهميتها في ظل صعود الدبابات وظهور العربات المصفحة، وإن ظل كثير من جيوش العالم يطلق على هذا الفرع من فروع الجيش الذي يضم الدبابات، وغيرها اسم سلاح الفرسان. وكان هذه المخترعات الحديثة هي امتداد لقوة الفرس وفائدته. بينما ألغت بعض الدول سلاح الفرسان كسلاح مستقل في ظل التطور الحديث لوسائل القتال. وفي

إنجلترا لم تعد الفروسية من ألقاب النبالة، بل أصبحت منحة لمن يقوم من العامة أو النبلاء بأعمال مجيدة، سواء عسكرية أو مدنية.

ومع ظهور الإرهاصات الأولى للحروب الصليبية. ظهرت جماعات نسبت نفسها إلى نظم الفروسية التي كانت . حتى في أشد العصور قتامة . تتسم بروح البطولة والفضيلة والشهامة والشجاعة . واستغلتها في تحقيق أغراض. هي أبعد ما تكون عن هذه المعاني.. تلك هي جماعات الفرسان الصليبيين.



نظام المائدة المستديرة ارتبط بالملك آرثر

وأهمها فرسان القديس يوحنا، وفرسان المعبد، والفرسان التيوتون.

وكان أربان الثاني - بابا روما - يتحين الفرصة الملائمة لإثارة الغرب ضد القوى الإسلامية لاستخلاص بيت المقدس من أيديهم، والسيطرة على سواحل الشام؛ ضمانًا لتدفق الحجاج المسيحيين، والتجار الأوربيين إلى الأراضي المقدسة، بما يعني زيادة سلطة البابوية في أوربا الكاثوليكية. وفي ١٨ نوفمبر عام ١٠٩٥م دعا البابا إلى عقد مؤتمر «كلير مونت» فخطب فيه خطبته المعروفة: مما ظهر أثره في صيحة المستمعين جميعًا «هكذا أراد الله Deus Vult»، وجاء إليه أديما دي مونتيل - أسقف بوي - وركع عند قدميه، وكان أول من حمل الصليب، فجعله البابا قائد الحملة الروحي.

ولم يقتصر البابا على مؤتمر «كلير مونت»، بل

تعددت المجامع التي خطب فيها من أجل حمل المسيحيين على الانخراط في الجيش الماضي إلى فلسطين، وراح يذرع ارجاء فرنسا مكررًا الدعوة التي استولت على نفسه. وطبيعي أن تجد هذه الدعوة آذانًا مصغية، خصوصًا عند طبقات الشعب الدنيا، وهم أغلبية السكان. هذا إلى أن بعضهم كان يطمع في أن يتحرر من ملازمته ارض السيد، حسب النظام الإقطاعي المألوف وقتئذ، بل إننا نرى في الفئة الأولى من الحملة جماعات من اللصوص والمجرمين.

ومما ساعد على إثارة النعرة الصليبية عوامل أخرى كثيرة، من أهمها أن انشغال أوربا بحروب خارجية ـ تحت ستار ديني ـ من شأنه القضاء على الحروب المستمرة التي كانت تنشب – دائمًا – بين ملوك أوربا وأمرائها ونبلائها وإقطاعييها، وما ارتأته الدويلات التجارية البحرية في إيطاليا من فرصة لزيادة نشاطها التجاري والبحري. فضلاً عن روح التصوف الديني ـ بمفهومه الأسطوري ـ الذي ظهر عند بعض الكهنة ورجال الدين، وعلى رأسهم بطرس الناسك، الذي كان له تأثير شديد في سامعيه، خصوصًا من الطبقات الدنيا، فقد كان يظهر بمظهر الزاهد المتقشف، الذي يسير حافي القدمين، ويرتدي ثيابًا قذرة مهلهلة، حتى إنه وصف بأنه «نصف ملهم من الرب»..

ومنذ نوفمبر عام ١٠٩٦م وصيحة الحرب تصم الآذان، حتى إذا جاء الخامس عشر من يوليو عام ١٠٩٩م سقط بيت المقدس في يد الصليبيين، وأقيمت أول مملكة لاتينية في الشام، ولم يمض وقت طويل حتى كشفت النعرة الصليبية عن وجهها الحقيقي، وأصبح حلم السيطرة الاستعمارية، واستلاب مغانم الشرق له المقام الأول في الهجمة الصليبية، مغلفة بالمظهر الديني، والشعارات الكهنوتية المفتعلة، وهذا ما نعرضه في هذه الدراسة عن موقف فرسان القديس يوحنا.

ممثل يجسد شخصية لانسلوت

الأسبتاري: هو اللفظ الذي جرت العادة على إطلاقه على أي فرد، رجلاً كان أو امرأة، ينتمي إلى النظم الدينية العسكرية، التي ظهرت إبان الحروب الصليبية، وإن كان قد استأثر به أول طائفة من هذا النوع من المنظمات، وهي جماعة القديس يوحنا

وفرسان المعبد، والفرسان التيوتون، التي بدأت حياتها جميعًا بمظهر ديني وخيري، ثم لم يطل بها الأمر حتى تحولت إلى جماعات عسكرية، كل همها في النهاية جمع الثروات والسلطان، حتى لو أدى - وهو ما حدث - إلى مجابهة السلطات المدنية في أوربا نفسها التي كانت لا تني عن مساعدتها من قبل بكل السبل..

ولم يكن تاريخ هذه الجماعات غير صفحات سوداء إبان الحروب الصليبية ضد المسلمين أولاً.. ثم ضد المسيحيين أنفسهم آخر الأمر بعد أن تعرت وكشفت النقاب عن وجهها الحقيقي.

فرسان القديس يوحنا

الأسبتاري Hospitaller: هو اللفظ الذي جرت العادة على إطلاقه على أي فرد، رجلاً كان أو امرأة، ينتمي إلى النظم الدينية العسكرية، التي ظهرت إبان الحروب الصليبية، وإن كان قد استأثر به أول طائفة من هذا النوع من المنظمات، وهي جماعة القديس يوحنا Knights of Saint John، وكانت تسمى أولاً «فرسان مستشفى القديس يوحنا المقدسي» أو «إخوة القديس يوحنا».. ثم عرفت في فترات لاحقة باسم فرسان بيت المقدس، والفرسان الأسبتارية Knights Hospitalers، وأطلق عليهم العرب اسم «الأسبتارية». ثم عرفت بعد ذلك باسم «فرسان رودس»، وأخيرًا «فرسان مالطة Knights of Malta»، وهو الاسم الذي لازمها حتى القرن التاسع عشر. . وكانت طوال عمرها تابعة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

وقد نشأت هذه الجماعة أو المنظمة في كنف مستشفى أسس في القرن الحادي عشر الميلادي ملحق بأحد الأديرة بالقدس؛ بغرض العناية بالحجاج المسيحيين، الذين يفدون إلى الأراضي المقدسة.. وكان الدير ينتسب إلى النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام، الذي يطلق عليه المسيحيون يوحنا المعمدان، وهو ابن خالة عيسى المسيح عليه السلام. وكان المشرف على المستشفى راهبًا يسمى جيرارد Gerard في أثناء حصار جودفري البوييوني Godfrey de Bouillon لبيت المقدس في الحرب الصليبية الأولى - الذي أصبح ملكاً على القدس فيما بعد - ومن موقعه هذا أسس جيرارد عام ١١٠٨ منظمة إخوة للقيام بالأعمال الخيرية. .

وخلال رئاسته للجماعة توسع نفوذها حتى داخل أوربا حيث ابتني عدد من المستشفيات التابعة للمنظمة بطول طريق الحج من أوربا إلى بيت المقدس.

وفي ١٥ فبراير عام ١١١٣م اعترف البابا «باسكال الثاني Pope Paschal II» بالمنظمة، وأضفى عليها حماية البابوية. وعندما تولى رئاسة المنظمة ريمون دي بوي Raymond du Puy خلفًا لجيرارد طوّر وضع المنظمة لكي تكون منظمة عسكرية، إلى جانب وضعها الديني للاشتراك في الحملات ضد المسلمين.

في الوقت نفسه زادت ثروة المنظمة بسبب ما أغدق عليها من هبات؛ وهذا ما مكنها من زيادة فروعها في أوربا بوضعها الجديد، وأصبحت بمرور الأعوام الحارس

أيد الكتاب المعاصرون بشكل عام أن "التجديف كان يشكل جانبًا من مراسم التعميد، ربما كنوع من اختبار الطاعة، وأنه لا يستبعد أن تكون هناك ممارسات جنسية شاذة بين آلاف من الفرسان محظور عليهم صحبة النساء"

الأول لأوربا المسيحية ضد الإسلام، كما سوف نرى.. ومع زيادة قوتها، ووفرة ثرائها أعيد تشكيل المنظمة بصفة تتلاءم مع هذا النفوذ، فتقسمت إلى ثلاثة عناصر حربية ودينية ومالية، أولها: الإخوة ـ المحاربون Soldier - Brothers، وأحيانا يسمون فرسان العدالة Knights of Justice، ثم الإخوة المساعدون Servant - Brothers، ثم المحاسبون المسؤولون عن النواحي المالية Chaplains.

وعلى الرغم من اتفاقهما في الهدف مع منظمة فرسان المعبد، التي تشكلت بعدها مباشرة؛ وذلك للاشتراك في الحرب ضد المسلمين، وأصبح لكلتا المنظمتين وضع مميز، بل وضع سيادة على سير هذه العمليات، حتى بات الملوك والأمراء اللاتين يهرعون إليهم لنجدتهم، وطلب مساعدتهم.. مع ذلك دخلت المنظمتان في صراع تنافسي شديد لزيادة نفوذ كل منهما سياسيًا وعسكريًا وماليًا، بل حاولت الأسبتارية التدخل في شؤون منظمة أخرى ظهرت بعد هاتين المنظمتين هي الفرسان التيوتون والسيطرة عليها؛ مما زاد في حدة الخلافات بين المنظمات. ومع أن فرسان المعبد قد تمتعوا بمكانة أعلى في سباق التنافس، خصوصًا من الناحية المالية، إلا أن ما حاق بفرسان المعبد بعد ذلك في سنوات لاحقة أدى إلى أن ترثها

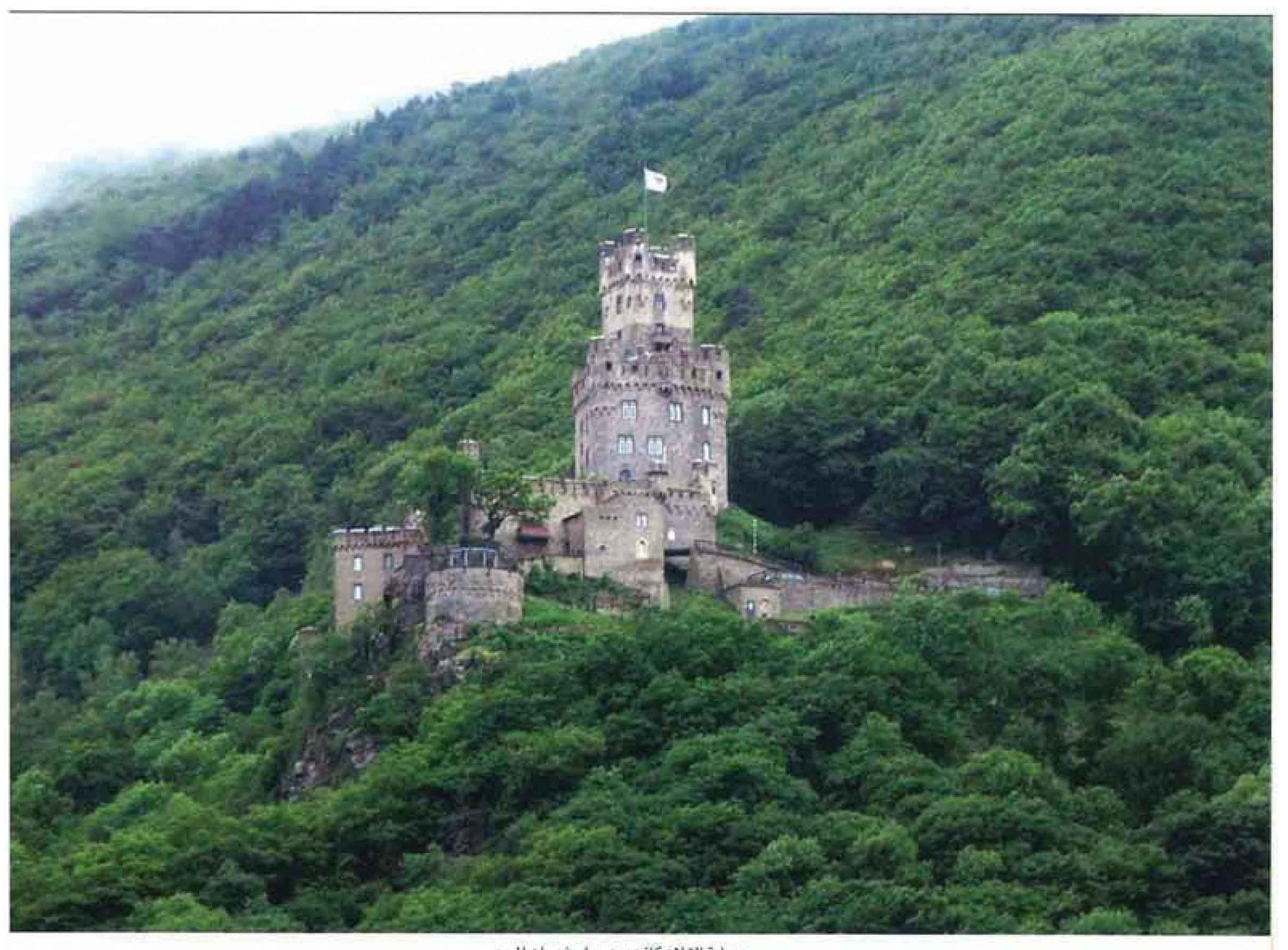
بدأت عمليات منظمة إخوة السيف بمحاربة القبائل الوثنية في وسط أوربا، وتحويلهم إلى المسيحية في أقاليم ليفونيا، وقد اتبعت هذه الإخوة أسلوبًا وحشيًا في الدعوة إلى المسيحية، غير أنهم لقوا هزيمة منكرة عام ١٢٣٦م على يد القبائل اللتوانية

الأسبتارية، وتستمر على سطح الأحداث حتى القرن التاسع عشر، في حين قضي على «فرسان المعبد» في أحداث درامية سوداوية.

فرسان المعبد ـ الداوية

بعد تأسيس «فرسان القديس يوحنا» بعشر سنوات؛ أي: عام (١١١٨م) قام تسعة فرنسيين، برأسهم الراهب هوج دي بايان Hugues de Payens، وجودفري دي سانت أومار Godfrey de St .Omer، بتكوين جماعة، قيل: إنهم استلهموا نظامها من نظام جماعة الحشاشين الإسماعيلية الخارجين على الإسلام، وسموا أنفسهم فرسان المعبد، أو فرسان الهيكل Knights Templars، وسماهم العرب «الداوية».. وكان ملك بيت المقدس – حينذاك – هو «بولدوين الثاني»، الذي خلف جودفري البويوني، فقدم للجماعة منزلاً يقيمون فيه بالقرب من الموقع الذي كانوا يقولون عنه: إنه موقع هيكل سليمان، وأطلقت الجماعة على نفسها اسم الجنود الفقراء لمعبد سليمان؛ بغرض استكمال ما يقوم به «فرسان القديس يوحنا» من عمل خيري.. فبينما كان فرسان القديس يوحنا ـ الأسبتارية يهتمون بمساعدة زوار بيت المقدس وحجاجه، ولاسيما المرضى، كانت مهمة الجنود الفقراء لمعبد سليمان هي حماية هؤلاء الزوار والحجاج، وهم في طريقهم إلى الأراضي المقدسة، وعند مغادرتهم لها، ومن ثم أطلق عليهم بعد ذلك اسم فرسان المعبد..

وعلى الرغم من مصادقة «مجلس تروى المقدس» على إنشاء المنظمة، فقد ظل البابا لا يعترف بها حتى تعبر عن أهدافها ونظمها؛ وذلك مقدمة لاحتوائها بعد ذلك، فقام أستاذهم الأعظم Grand Master هوج دي بايان بإصدار وثيقة أقسم أعضاء المنظمة فيها بالتزام العفة، والفقر، والطاعة بوصفها شعارًا لهم.



حماية القلاع كانت من مهام فرسان المعبد

وقد أدرك هـوج أهمية تغليف الطقوس والالتزامات التي حوتها الوثيقة، وهي ٦٢ بندًا بقدر من السرية؛ تمييزًا للمنظمة من غيرها من النظم الخيرية أو العسكرية.

ولما كـان من بين هـذه البنود التـزام العـيش على الصدقات، فقد انهالت عليهم الهبات والعطايا من كثير من الجهات الأوربية، أو ممن جاؤوا في أعقاب الحملة الصليبية الأولى، واستوطنوا الممالك الصليبية الناشئة. وأصدر البابا قانـون Bull، يسمح لهم بتملك مـا يؤول إليهم من هبات، فضلاً عن وضع أيديهم على ممتلكات الحجاج الذين يقضون نحبهم في أثناء الحج. وسـاعـد على زيادة هذه الهبـات مـا عـرف عن التـزام أعـضــاء هذه المنظمـة في بداية أمـرهـم من الزهد

والتقشف والشجاعة، وكان من دواعي فخرهم «ألا يبدلوا ملابسهم حتى تتهرأ، أو تمزقها سيوف الأعداء».. وفي ذلك كتب سان برنار St.Bernard (كبير الرهبان في دير كليوفلو): «تراهم يمتنعون عن تمشيط شعورهم، ونادرًا ما يغتسلون، يعلوهم العرق والتراب».. وكان يثني على جهدهم الدائب في جمع الأتباع من الفرسان، وجعلهم ملتزمين مبادئ المنظمة.. وكان سان برنار هو الذي أقنع الراهب الكبير هوج دي بايان بقيادة المنظمة، كما عزز من شهرتها ونموها كتابات سان برنار، ومواعظه في أثناء الحملة الصليبية الثانية..

ومع ذلك فقد بدأت الأهداف السرية للمنظمة منذ أول وهلة حين اقتصرت على قبول الفرسان فقط الانضمام إليها، ثم عادت درءا للشكوك، فقبلت التحاق القسس بها: للقيام بالشعائر الدينية للفرسان والرقباء. وحين أعلنت المنظمة أن مقصدها الأصلي هو مواجهة أي تهديد للمسيحية، وضعها البابا تحت حمايته، أسوة بمنظمة فرسان القديس يوحنا.. وبعد أن أضفى بركته عليها هدد كل من لا يعترف بها، أو لا يساعدها بإصدار فرمانات بخروجهم على الكنيسة: وهذا الأمر كان اللبنة الأولى في تخوف ملوك أوربا وأمرائها - فيما بعد - من ازدياد نفوذ هذه المنظمة، ولاسيما بعد أن فتحت أبوابها فيما بعد لقبول كل الجنسيات، وعلى كل من يتم إلحاقه بها أن يتخلى - تمامًا - عن جنسيته وانتمائه إلا للمنظمة وقادتها.. فضلاً عما قام به فرسان المنظمة بدور رئيس في الحملات الصليبية، التي وإن كانت تخدم أهداف القادة الصليبيين، إلا أنها زادت من مخاوفهم، فسعى الجميع إلى استرضائها لحاجتهم إليها، ولتخوفهم منها في آن واحد.

وكان طبيعيًا ألا يمضي هذا الموقف من دون معارضة علنية فيما بعد، فقد عارض الأساقفة والكهنة هذه السلطة، التي أصبح يتمتع بها فرسان المعبد، وهذا الأمر دفع البابا إلى إضفاء المزيد من الحماية والعون لها: سعيًا إلى تقوية النفوذ المسيحي الكاثوليكي في الأراضي المقدسة، بما كان يوفره فرسان المعبد من خلال اشتراكهم في كل الحملات الصليبية ضد المسلمين، أو قيامهم منفردين بمثل هذه الحملات، وشدد البابا على تهديده بالحكم بالطرد من الكنيسة لكل من تسول له نفسه مهاجمة فرسان المعبد.

وقد استغل هوج هذا الموقف البابوي، فكان يقوم بجولات أوربية بين الحين والآخر: نصرة للمنظمة، فيتنافس الملوك والأمراء والبارونات في دعمها بإهدائها صكوك ملكية أراض وغابات ومزارع وقلاع، بل وقرى كاملة.. ولم تمض سنوات إلا وكان للمنظمة الحق في أن يكون لها كنائسها الخاصة، وكهنوتها الخاص، إضافة إلى إعفائها من مكوس الكنيسة، وأية ضرائب مدنية، وانفردت المنظمة بالاستيلاء على المغانم والأسلاب، التي تقع بين أيديهم: نتيجة للحروب التي تخوضها ضد المسلمين، فكثرت أموالهم

قام الألمان بتشكيل جماعة دينية خاصة بهم باسم الفرسان التيوتون، وعلى الرغم من احتواء البابا لها فقد قاوم فرسان القديس يوحنا أن يكون للتيوتون كيان خاص بهم. فعرضوا فكرة أن يتم اندماج بين المنظمتين، على أن يكون من حق فرسان القديس يوحنا اختيار الأستاذ الأعظم للفرسان التيوتون، غير أن الألمان رفضوا ذلك

وممتلكاتهم إلى حد يفوق كل ما كان يمكن أن يتوقعه سادة الحروب الصليبية على اختلاف عناصرهم، ومن ثم نبذوا أسلوب الفاقة الذي عرفوا به أول الأمر.

وكان من الطبيعي - إزاء ذلك - أن تتوسع المنظمة في تجنيد كثير من المقاتلين لتعويض من يقتل منهم، وأصبح من المناظر المألوفة أن يسير عدد من فرسان المنظمة في شبه موكب يدعون المسيحيين في أوربا والشرق إلى أن يخرج وراءهم كل قادر على حمل

بعد تأسيس "فرسان القديس يوحنا" بعشر سنوات؛ أي: عام (١١١٨م) قام تسعة فرنسيين، يرأسهم الراهب هوج دي بايان، وجودفري دي سانت أومار، بتكوين جماعة، قيل: إنهم استلهموا نظامها من نظام جماعة الحشاشين الإسماعيلية الخارجين على الإسلام، وسموا أنفسهم فرسان المعبد

شابان بزي فرسان التيوتون





ريتشارد قلب الأسد

السلاح، واعدين إياهم بكثير من العطايا والأسلاب بعد هزيمة أعدائهم المسلمين، حتى بلغ عدد أفراد المنظمة ما يقرب من ثلاثين ألف مقاتل. وهذا الأمر دفع بعض البارونات من الصليبيين أن يعهدوا إليهم، وإلى فرسان القديس يوحنا بالدفاع عن حصونهم وقلاعهم في الشرق، بل وداخل أوربا نفسها، كما لجأ غيرهم إلى استشارتهم في كل ما يعن لهم من إدارة القلاع، ونظم الإغارة على المسلمين، ونهب أموالهم. وانفرد فرسان المعبد بالإشراف الكامل على قلعتي «صافيتا»، و«طرسوس»، وكان جيرارد دي ردفورد Ger-ard de Redford (رئيس فرسان المعبد) مستشارًا خاصًا لكونتيسة يافا، بما يعني السيطرة على كل الأمور في الكونتيسة، بينما انفرد الأسبتارية فرسان القديس يوحنا بالإشراف على حصن الأكراد، وكان أمنع حصون الشام بأسرها في جبل النصيرية، وهذا الأمر أدى إلى زيادة اشتعال المنافسة والخلاف بين روجور دي ميلان (كبير الأسبتارية) وجيمس دي ميلي (كبير الداوية) رغم اتحادهما في الهدف ضد المسلمين؛ سعيًا وراء الأسلاب والمغانم والنفوذ.

وبسبب تكدس أموال فرسان المعبد، وزيادة ممتلكاتهم، وقد فاقوا كثيرًا منافسيهم الأسبتارية، أصبحوا في واقع أمرهم رجال أعمال يمتد نشاطهم إلى ما بين أوربا والشرق، وبفضل قلاعهم المتناثرة الشديدة التحصين أصبح فرسان المعبد في وضع مثالي لحراسة الأموال ونقلها، وبلغوا من الثراء حدًا أن استدان منهم بعض نبلاء أوربا وأمرائها وملوكها، ومنهم ملك فرنسا فيليب الرابع، الذي عرف في التاريخ باسم فيليب الجميل، الذي جاءت نهايتهم على يديه، كما لم يتورعوا في الوقت نفسه عن عقد صفقات مع المسلمين في أوقات الهدنة.

هكذا انقلب وضع فرسان المعبد، فبدلاً من حماية إخوانهم في الدين، أصبح كل همهم الآن السيطرة عليهم بسلاح المال، بل ومحاربتهم وخيانتهم، فقيل: إنهم أقاموا علاقات وثيقة بحامية دمشق الإسلامية؛ إذ كانوا يبلغونها أولاً بأول بكل تحرك صليبي ضدها، نظير أموال تدفعها الحامية لهم؛ وهذا الأمر أدى إلى إخفاق الإمبراطور كونراد الثالث في الاستيلاء عليها عام (١١٤٩م)، وأنهم في عام ١١٤٥م باعوا المسلمين أميرًا مسلمًا أراد أن يتنصر، ثم سلموا بطريق الخيانة عام (١١٦٦م) أموري (ملك بيت المقدس) إلى الملك

نور الدين. فشنقه نور الدين، كما نسب إليهم أنهم كانوا على اتصال دائم بإسماعيلية الشام الحشاشين، وشركاء لهم في تدبير عدد من جرائم الاغتيال، التي ذهب ضحيتها عدد من أمراء الفرنج، وكبار فرسانهم.

وحين استعاد صلاح الدين بيت المقدس في واقعة حطين، وأسر كثيرًا من أمراء الصليبيين ونبلائهم، ومنهم الأستاذ الأعظم لفرسان المعبد في (١١٨٧/٧/٤م) (ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هجرية) كان من أول ما فعله هو تطهير المدينة من فلول هؤلاء الفرسان.

ولكن كان من أثر حطين أن سارع الصليبيون إلى شن ما عرف باسم الحرب الصليبية الثالثة.. وتوجه فيليب أغسطس (ملك فرنسا) في ذلك الوقت، وريتشارد قلب الأسد (ملك إنجلترا) إلى الشام بعد أن تعاهدوا على نبذ الخلافات بينهم لمواجهة المسلمين، غير أن الجفاء والعداء بين الملكين عاد مرة ثانية بعد أن تبخرت أحلامهما في القضاء على صلاح الدين، واسترداد القدس.. ولم يبق في الشام من الشخصيات الصليبية الكبرى غير ريتشارد، ورؤساء الأسبتارية، والداوية إلى أن اضطر ريتشارد إلى العودة إلى بلاده عام (١١٩٢م) لإفشال محاولة استيلاء أخيه على عرش إنجلترا، وهذا الأمر أضعف من موقف الداوية فرسان المعبد. فطلبوا من ريتشارد (قبل رحيله) شراء قبرص منه، ووافق الملك مقابل مئة ألف دينار إسلامي.

ويقص علينا مؤرخ معاصر هو «وليم الصوري» ما حدث لفرسان المعبد في قبرص، فيقول: إنهم أساؤوا معاملة الأهالي حيث جاؤوا كسادة وغزاة لهم، وليسوا حلفاء للدفاع عنهم، وهذا الأمر دفع بأهالي قبرص إلى الثورة عليهم ومحاصرتهم في قلعة «نيقوسيا» مما اضطر «فرسان المعبد» إلى الاشتباك معهم، وأنزلوا باليونان (أهل قبرص حسب تعبير وليم الصوري)

انقلب وضع فرسان المعبد، فبدلاً من حماية إخوانهم في الدين، أصبح كل همهم الآن السيطرة عليهم بسلاح المال، بل ومحاربتهم وخيانتهم، فقيل: إنهم أقاموا علاقات وثيقة بحامية دمشق الإسلامية؛ إذ كانوا يبلغونها أولاً بأول بكل تحرك صليبي ضدها، نظير أموال تدفعها الحامية لهم

كثيرًا من صور العسف والقتل والتنكيل، ثم غادروا الجزيرة آخر الأمر، وعادوا إلى عكا، التي كانت لا تزال في قبضة الصليبيين، وكانت نقطة فاصلة في تاريخ فرسان المعبد حين تخلوا عن صفتهم الحربية، واكتفوا بأن يكونوا «صيارفة أوربا» بفضل الأموال التي في حوزتهم. وابتنوا لهم مؤسسات مالية ثرية، خصوصًا في إنجلترا وفرنسا. وأصبحت مقارهم بيوتات العالم المسيحي المالية، وهذا الأمر كان سببًا في أن يقعوا معه فريسة للحقد والحسد والتآمر.

وعندما تعرض الملك فيليب الجميل (ملك فرنسا) لأزمة مالية أوقع نفسه فيها. وكان مدينًا في الوقت نفسه بمبالغ ضخمة لفرسان المعبد. وحان الوقت ليطالبوه برد الدين. رأى فيليب أن من الأفضل العمل على القضاء عليهم، وعلى نفوذهم؛ وهذا ما سيتيح له عدم رد الدين.

وبدأ خطته بمحاولة دمج فرسان المعبد - الداوية بفرسان القديس يوحنا - الأسبتارية في نظام واحد، يعرف باسم فرسان أورشليم، على أن يكون الأستاذ الأعظم لهما بعد اندماجهما من البيت المالك الفرنسي، وهذا الأمر كان من الطبيعي أن ترفضه

المنظمتان. ويضاف إلى ذلك ازدياد سوء سمعة فرسان المعبد، الذين غدوا موضع ريب في نظر العامة، ورجال الدين، بعد أن نسبت إليهم أمور وفضائح كثيرة، كالإدمان على شرب الخمور والتهتك، وحامت حول مبادئهم الدينية، ومعتقداتهم السرية شبهات كثيرة. جاءت الفرصة المواتية للملك فيليب على يد أحد الأعضاء المنشقين عن المنظمة، ويدعى إيكيو دي فلورين، حين نقل إلى الملك حكايات شنيعة عن فضائحهم، فعهد الملك إلى وزيره الماكر غليوم نوجاريت Guillaume de Nogaret بجمع الأدلة التي يمكن أن تدين أفراد المنظمة. فقام نوجاريت بزرع بعض الجواسيس داخل المنظمة؛ ليكونوا عينًا له ينقلون إليه كل ما تصل إلى آذانهم من أنباء أو شواهد تؤخذ عليهم.. وفي الوقت نفسه سعى الملك فيليب إلى أن يحظى بتأييد البابا كليمنت الخامس، الذي كان يدين للملك فيليب ببقائه على الكرسي البابوي فأعطاه البابا الضوء الأخضر لاتخاذ ما يراه حيالهم، والتحقيق معهم فيما ينسب إليهم. فأمر فيليب بالقبض على كل أعضاء المنظمة المقيمين في فرنسا (وهم الأغلبية في المنظمة)، وفي مقدمتهم أستاذهم الأعظم جاك دي مولاي Jacque de Molay، وبدأت عملية التحقيق معهم بعد أن وجهت إليهم التهم الآتية :

- أن رسوم الالتحاق بالمنظمة تقترن بإهانة الصليب، وإنكار المسيح.
- أنهم يتبعون طقوسًا شيطانية تتضمن البصق على الصليب، وتقبيل فم الشخص وسرته ومؤخرته الذي يقوم بتعميد طالب الالتحاق بالمنظمة؛ ليصبح واحدًا من أفرادها.
- ممارسة الشذوذ الجنسي، وعبادة صنم يقولون: إنه صورة للإله الحقيقي، وفي اتهام آخر أنهم يعبدون الشيطان في هيأة قطة سوداء.
- أنهم يزاولون حق منح الغفران طبقًا لهذه الطقوس الشيطانية.
- أنهم يستخدمون دماء الأطفال في طقوسهم السحرية.

وتم استجواب من قبض عليهم وتعذيبهم على أيدي المحققين للحصول على اعترافاتهم بما ينسب إليهم، واعترف بهذه التهم كثير منهم، وعلى رأسهم الأستاذ الأعظم جاك دي مولاي، وقرر بعضهم أنه عند التحاقهم بالمنظمة يقدم إليهم صليب نصب عليه تمثال للمسيح، ويسألون هل يعتقدون في ألوهيته، فإذا أجابوا بنعم قيل لهم: إنهم على ضلال؛ لأن المسيح ليس إلهـًا، بل هو نبي زائف، كما يطلب منهم البصق على الصليب، أو قريبًا منه ضمن مراسم تعميدهم، وإن تضاربت الأقوال بشأن عبادتهم للشيطان.

وقد أيد الكتاب المعاصرون بشكل عام أن «التجديف كان يشكل جانبًا من مراسم التعميد، ربما كنوع من اختبار الطاعة، وأنه لا يستبعد أن تكون هناك ممارسات جنسية شاذة بين آلاف من الفرسان محظور عليهم صحبة النساء».. وإن كان هناك من الكتاب من قرر أن الأدلة التاريخية لم تثبت سوى تهمة «عدم الأمانة».

ولم تقتصر المحاكمات على الفرسان الفرنسيين

بسبب تكدس أموال فرسان المعبد، وزيادة ممتلكاتهم ـ وقد فاقوا كثيرًا منافسيهم الأسبتارية ـ أصبحوا في واقع أمرهم رجال أعمال يمتد نشاطهم إلى ما بين أوربا والشرق، وبفضل قلاعهم المتناثرة الشديدة التحصين أصبح فرسان المعبد في وضع مثالي لحراسة الأموال

فقط. بل امتد ذلك إلى عدة مدن ايطالية. وإلى ألمانيا. وإسبانيا. والبرتغال. كما قبض إدوارد الثاني (ملك إنجلترا) على جميع فرسان المعبد القاطنين في إنجلترا. وحقق معهم. فاعترف بعضهم بما نسب إليهم من تهم. شهد بصحتها شهود من الخارج. وأخيرًا أصدر البابا قرارًا يندد فيه بجرائم الكفر الشنيع. الذي ارتكبه فرسان المعبد. ثم اتخذ خطوة حاسمة أخرى فأصدر في ختام مؤتمر لمجلس فيينا المقدس عام (١٣١٢م) قرارًا بحل المنظمة. ونتيجة لذلك أحرق عدد من فرسان المعبد احياء. بمن فيهم أستاذهم الأعظم جاك دي مولاي في (مارس عام ١٣١٤م).

وبحل منظمة «فرسان المعبد» والقضاء على أتباعها ارتفع شأن منظمة القديس يوحنا الأسبتارية التي ظلت على علاقة طيبة وتبعية مطلقة للبابا، فوهبها البابا معظم أموال فرسان المعبد ، الداوية وممتلكاتهم. ووزع الباقي على جماعات عسكرية أخرى صغيرة في فرنسا والبرتغال.

وإزاء هذه الأحداث الدرامية. فقد اختلف المؤرخون حول حقيقة ما اتّهم به فرسان المعبد. وإن كان هناك ميل إلى الاقتناع بأنهم . في إطار التعاليم السرية التي كانت تحكم المنظمة . كانوا مانويي النزعة (أي يتبعون طقوس الديانة المانويّة). ويعرف لوازلير نظريتهم في الإلوهية بقوله: إنهم كانوا يقولون بوجود إله خير لا يصل البشر إليه. وليست له أشكال مادية ظاهرة. وإله شر يمثلونه بصنم مرعب الشكل. وهو إله العالم المادي الذي نفث الشر في الخليقة.

ثم ظهر تفسير آخر في منتصف القرن التاسع عشر بشأن مذهب فرسان المعبد. خلاصته أن الفرسان كانوا يعتنقون نظرية يهودية تنسب إلى القديس يوحنا الرسول. ونبذوا عقيدة القديس بطرس. وانقلبوا «يوحنويين». وقد ظهرت هذه النظرية في كتابين عن فرسان المعبد. أصدرتهما جمعية تسمى جمعية المعبد. تدّعي أنها سلالة الجمعية الأولى للمنظمة. وجاء في الكتابين أن منظمة فرسان المعبد لم تنته بنهاية أستاذهم الأعظم جاك

أساء فرسان المعبد معاملة الأهالي في قبرص حيث جاؤوا كسادة وغزاة لهم. وليسوا حلفاء للدفاع عنهم. وهذا الأمر دفع بأهالي قبرص إلى الثورة عليهم ومحاصرتهم في قلعة "نيقوسيا" ما اضطر "فرسان المعبد" إلى الاشتباك معهم

استباري باللباس التقليدي الكامل





تشكيلات ومهام محددة للفرسان الأسبتارية

مولاي: لأنه قبل إحراقه عين خلفًا له هو «جاك دي لارميني»، الذي أخذ يجاهد في سبيل إحياء المنظمة حتى نهاية القرن الثامن عشر. لكنه لم ينجح في مجهوداته، فأعلن حل المنظمة. لكنها أعيدت بعد أعوام قليلة عام (١٨٠٤م) برئاسة أستاذ أعظم آخر هو فابري بالايرا، الذي أقر في رسائل له أن التعاليم والطقوس الدينية السرية بما فيها التجديف والهرطقة إنما كانت لاختبارات دينية قبل الوصول إلى مراتب الالتحاق.

هكذا كانت حياة فرسان المعبد صورة دراماتيكية لمنظمة إلحادية تعمل في الخفاء على سحق المعتقدات الدينية من أساسها، على الرغم من الصبغة الدينية التي انتحلتها في البداية. واستغلال الدين ستارًا لما يصبون إليه من تحقيق سيطرة هدامة عن طريق سلطة المال.. وهذا الأمر يدفع بنا إلى القول: إنه ليس من المستبعد أن الأفكار اليهودية كانت هي عصب الفكر والحركة الهدامة التي اتسم بها تاريخ هذه المنظمة.

الفرسان التيوتون وفرسان السيف

لم تكتف البابوية بما يقوم به فرسان القديس يوحنا، وفرسان المعبد من انشطة عسكرية تحت ستار الدين. بل ساعدت على إنشاء منظمات أخرى تسير على منوال هاتين المنظمتين، وتكون سندًا لها في نشر المسيحية الكاثوليكية في أوربا الوثنية. وهذا الأمر

يدعم النشاط الصليبي في المشرق، ولا سيما بعد استرداد المسلمين القدس عام (١١٨٧م).

ومن هذه المنظمات ما عرف باسم منظمة الفرسان التيوتون Teutonic Knights، ومنظمة فرسان السيف Knights of the sword.

وكان الألمان الصليبيون حتى عام ١١٩١م لم يكن لهم دار استشفاء في الشام خاصة بهم؛ إذ كان فرسان القديس يوحنا يحتكرون وجود المستشفيات، ولاسيما في القدس، وعكا بادعاء أنهم وحدهم يختصون بهذا النشاط من دون سواهم، وهذا الأمر أوقع خلافًا شديدًا بينهم وبين الألمان الصليبيين.. وأخيرًا قام الألمان بتشكيل جماعة دينية خاصة بهم.. وعلى الرغم من احتواء البابا لها فقد قاوم فرسان القديس يوحنا أن يكون للتيوتون كيان خاص بهم، فعرضوا فكرة أن يتم اندماج بين المنظمتين، على أن يكون من حق فرسان القديس يوحنا اختيار الأستاذ الأعظم للفرسان التيوتون، غير أن الألمان رفضوا ذلك، واتجهوا إلى تحويل منظمتهم إلى منظمة دينية عسكرية مثلما فعلت المنظمتان الأخريان «الأسبتارية والداوية»، إلا أنها وجهت نشاطها أول الأمر إلى نشر المسيحية في أوربا، وعمل أعضاؤها على فرض سيطرتهم على المنطقة، التي أصبحت تضم بروسيا، ولاتفيا، ولتوانيا، وإستونيا فيما بعد، وارتكبوا كثيرًا من المجازر، ولاسيما في بروسيا عام ١٢٢٦م حتى تم لهم إبادة العنصر البروسي، وأحلوا محلهم جاليات ألمانية.

وفي الوقت نفسه ظهرت إلى الوجود منظمة فرسان السيف Knights of the swordبرعاية البابا، وكانوا يعرفون أولاً باسم إخوة السيف Brothers of the sword.

وينتهجون النظام الكهنوتي والعسكري لفرسان المعبد، وبدأت عمليات المنظمة بمحاربة القبائل الوثنية



فارس يحمل شعار الحروب الصليبية

في وسط أوربا، وتحويلهم إلى المسيحية في أقاليم ليفونيا Livonia(الآن شمال لاتفيا وجنوب إستونيا). وقد اتبعت هذه الإخوة أسلوبًا وحشيًا في الدعوة إلى المسيحية، غير أنهم لقوا هزيمة منكرة عام ١٢٣٦م على يد القبائل اللتوانية. وفي عام ١٢٣٧م تم دمج نظامهم بنظام الفرسان التيوتون. وظل النظام الجديد قائمًا برعاية البابوية لثلاثة قرون، إلى أن تحول كثير من أعضائه عام (١٥٢٥م) إلى البروتستانتية، وكان ذلك إيذانًا بحل المنظمتين بعد سنوات قلائل.



رسم متخيل لفارس أسبتاري

فرسان مالطة

لم تنته قصة الفرسان الصليبيين بالقضاء على فرسان المعبد، وانحلال الفرسان التيوتون، وفرسان السيف، وإنما واصل فرسان القديس يوحنا - الأسبتارية مسيرتهم. وقد كانت النهاية المأساوية التي انتهت بها منظمة فرسان المعبد في مصلحة فرسان القديس يوحنا، سواء من تزايد الارتباط بالبابوية، أو اتساع رقعة أملاكهم وحصونهم، ولاسيما في أوربا. ونالوا من الثراء أكثر مما سبق أن ناله منافسوهم فرسان المعبد؛ ذلك لأنهم تجنبوا الوقوع في أخطاء مشابهة لما وقع فيه فرسان المعبد، وكان سبيلهم إلى زيادة ثبات أوضاعهم، بل وتزايد سلطانهم أنهم جمعوا قوتهم لمنع أي توسع إسلامي في أوربا.

وبعد انهيار الممالك والحصون اللاتينية في الشام عام (١٢٦١م)، وسقوط عكا في يد المسلمين عام (١٢٩١م) نقلت المنظمة مقرها الرئيس إلى قبرص، ثم استطاعت انتزاع جزيرة رودس من السلاجقة المسلمين، والترك عام (١٣٠٩م) . ونقلوا مقرهم إليها، وجعلوا منها حصنًا قويًا ضد التقدم الإسلامي. وهناك أعادوا تنظيم أنفسهم حسب لغة كل فارس محارب، فهناك طائفة بروفانس Provence، وطائفة أوفرنيAuvernge، وطائفة الفرنسيين، وطائفة الإيطاليين، وطائفة أراجون Aragon، وطائفة إشبيلية، وطائفة البرتغاليين، وطائفة الألمان. وسميت كل طائفة باسم Langues، فيقال Langue de Provence: أي: طائفة المتحدثين بلغة Provence . وكان لكل طائفة رئيس يتم اختياره من بين أعضاء طائفته، ويختار الرؤساء أستاذهم الأعظم مع الارتباط المطلق بالكنيسة الكاثوليكية. واتخذت المنظمة لها رمزًا صليبًا أبيض على رقعة سوداء، وتسموا منذئذ باسم فرسان رودس.

وكان المسلمون يرون في هذا الحصن المنيع في رودس عائقًا كبيرًا أمام تقدمهم إلى إيطاليا. فلم ينوا يهاجمون رودس بين الحين والآخر، في حين يدافع «فرسان رودس» عنها بشراسة تحت قيادة كبيرهم بيير دي بوسون. ولكن انتهى الأمر باستيلاء السلطان العثماني سليمان الفاخر عليه عام (١٥٢٢م) فغادرت المنظمة رودس. ونقلت مقرها ثانية إلى جزيرة مالطة تحت حماية الإمبراطور (شارل إمبراطور فرنسا) وسلطته عام (١٥٣٠م). وعرفوا منذ ذلك

الوقت بالاسم الذي لازمهم بعد ذلك. وهو فرسان مالطة. وكان سليمان الفاخر - بعد خمسة وثلاثين عامًا من استيلائه على رودس - قد وجه عنايته إلى مهاجمة مالطة. إلا أنه لم يستطع استخلاصها منهم. وظلت الجزيرة تحت سيادتهم، ومقرًا لهم، حتى هاجمها نابليون بونابرت. وارتبطت حملته على مالطة عام (١٧٩٨م)، وهو في الطريق إلى غزو مصر بسياسته الإسلامية التي لجأ إليها ادّعاءً تقربًا إلى المسلمين.

ومع ذلك فقد كان الاستيلاء على مالطة بعدُ مشروعًا قديمًا من مشروعات بونابرت. وقد خطط لذلك بعد استيلائه على الجزر الأيونية. وكانت الجمعية التأسيسية الفرنسية تحظر على الفرنسيين الانتماء إلى فرسان مالطة. وصودرت ممتلكات المنظمة في كل أنحاء فرنسا. كان نابليون يرى أن مالطة يجب أن تكون القاعدة الرئيسة للعمليات في شرق البحر الأبيض المتوسط. خصوصًا أن المنظمة قد ردت عليه بتحالفها مع روسيا، والنمسا ضد الطموحات الفرنسية. فأوفد نابليون مبعوثًا من لدنه هو بوسيليج (الأمين الأول للمفوضية الفرنسية في جنوا) لتفقد ثغور شرق البحر الأبيض المتوسط على وجه عام، لكن الهدف الرئيس كان معرفة دفاعات جزيرة مالطة وتقويمها. فثبت له أن قوة المنظمة وسلطانها قد تدهورا فعليًا. على الرغم من تحالفها مع روسيا، والنمسا، ولم تعد بما كانت عليه من القوة في القرن السادس عشر.. ومع ذلك فما زالت تشكل عقبة في طريق الخطة الفرنسية لإنشاء إمبراطورية شرقية لموقعها الإستراتيجي في الطريق إلى الشرق.

وفي ٩ يونيو عام ١٧٩٨م نزلت القوات الفرنسية مالطة، وتم توقيع معاهدة بين المنظمة والقوات الغازية. تتنازل فيها المنظمة لفرنسا عن جميع حقوقها في السيادة على مالطة وتوابعها. وأن يقر الفرسان ورجال الدين في المنظمة بالامتناع عن الاعتراف بسلطة البابا. في حين يحصل اليونان والأرثوذكس واليهود على حق ممارسة شعائرهم الدينية بحرية. ونتيجة لهذا الغزو قامت القوات الفرنسية بنهب جميع دور الخزانة، وكنائس المنظمة للاستفادة منها في حملتهم على مصر. وأصبح المفوض الفرنسي هو الذي يملك كل السلطات في حكم الجزيرة.

وفي مصر حاول نابليون أن يستفيد من هذه الأوضاع الجديدة في مالطة في سياسته الإسلامية للتقرب من المصريين. وحالما استقر أمره في الإسكندرية وجه خطابًا إلى المصريين قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه.. أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجربجية وأعيان البلد.. إني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإني أكثر من المماليك إسلامًا، أعبد الله سبحانه وتعالى، وأحترم نبيه، والقرآن العظيم. قولوا لأمتكم: إن الفرنساوية هم أيضًا مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم نزلوا رومية الكبرى.

> **أصدر البابا قرارًا يندد فيه بجرائم الكفر الشنيع، الذي ارتكبه فرسان المعبد. ثم اتخذ خطوة حاسمة أخرى فأصدر في ختام مؤتمر المجلس فيينا المقدس عام (١٣١٢م) قرارًا بحل المنظمة. ونتيجة لذلك أحرق عدد من فرسان المعبد أحياء، بمن فيهم أستاذهم الأعظم جاك دي مولاي في (مارس عام ١٣١٤م)**



صلاح الدين الأيوبي

وخربوا كرسي البابا، الذي كان دائمًا يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة، وطردوا منها الكوالرية (فرسان مالطة)، الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين.

ولم يقتصر هذا التوجه على المصريين فقط، بل فوض نابليون مبعوثيه في تونس والجزائر ومراكش بإذاعة مثل هذا النص.

غير أن نابليون في النهاية لم يحقق غرضه بعد أن استعصت عليه عكا، وسدت عليه بريطانيا كل السبل، وهزمت أسطوله في أبو قير بالإسكندرية، ووضع البريطانيون أيديهم على مالطة. وفي معاهدة أميين Amiens عام (١٨٠٢م) تعهد البريطانيون أن يعيدوا لفرسان مالطة وضعهم السابق، فعاد عدد من أعضاء المنظمة السابقين إلى مالطة بناء على هذا التعهد. لكن سرعان ما نقض البريطانيون تعهدهم، وأعلنوا مالطة مستعمرة إنجليزية بموجب معاهدة باريس عام (١٦١٤م). فغادر آخر من بقي من فرسان مالطة الجزيرة، وتوجهوا إلى مسينا بإيطاليا، ثم استقروا في روما عام (١٨٣١م) بعد تشتتهم بين مدن إيطاليا: مسينا، وكاتانيا، وفرارا. وفي عام ١٨٧٩م عاد بابا روما ليو الثامن إلى بسط حمايته على المنظمة، وقد أصبحت رمزًا أكثر منها قوة فاعلة، وعلى أن يكون البابا هو الأستاذ الأعظم لها من دون غيره. واقتصر دورها على تقديم بعض الخدمات الصحية والاجتماعية للمحتاجين في أوربا.

كانت تلك صورة من صور الخداع الغربي الذي حاول أن يصور الحروب الصليبية وكأنها حروب دينية، من أجل الصليب، بينما هي صراعات فرضها الفرنجة على المسلمين لأغراض استعمارية في حقيقتها؛ سعيًا وراء سلطات دنيوية، ومغانم وأسلاب مالية. حتى انقلبت في بعض جوانبها إلى صراع بين القوى الغربية نفسها شابها كثير من المجازر الوحشية وفرضت بقوة السيف الدعوة إلى المسيحية، وهي الصورة التي يحاول الصليبيون الجدد إلصاق مثلها بالإسلام.

المراجع

- تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق: محمد عبد الله عنان، دار ام اليتين، القاهرة.
- جماعات وعقائد عجيبة: راجي عنايت، مكتبة الشروق، القاهرة.
- الحملة الفرنسية على مصر (بونابرت والإسلام): هنري لوراس وآخرون، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة.
- الحرب الصليبية الأولى: أ.د. حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الحروب الصليبية، المقدمات السياسية: د. علية عبدالسميع الجنزوري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ذيل وليم الصوري: أ.د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الموسوعة العربية الميسرة / ٢ دار الجيل، القاهرة.
- الموسوعة العربية العالمية ج ١٧ الطبعة الثانية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض.
- The World Book Encyc.
- The Knights of St John in Jerusalem & Cyprus J.Riley . Smith . London
- مجلة المجلة المصرية، عدد ٥ مايو عام ١٩٥٧م.



خزائن مخطوطات في أحضان العالم العربي

إبراهيم خليل مظهر

المدينة المنورة ـ السعودية

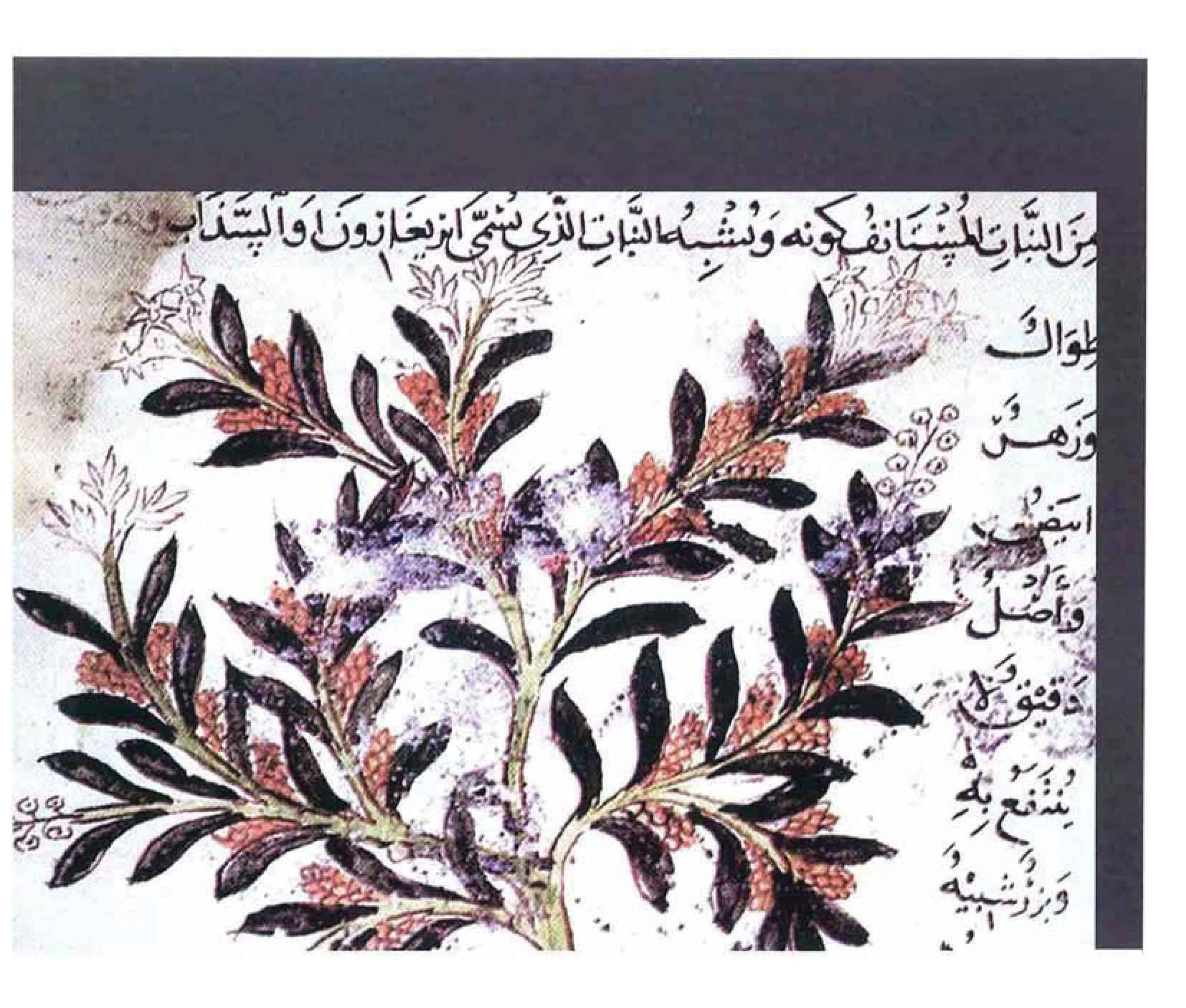
لما كانت المخطوطات شاهد حضارة الأمم، وأوعية علومها وفنونها وثقافتها، وحصيلة ما أنتجه مفكروها ومبدعوها، استهلت بذلك صفحة الحضارة، واقترنت بعنوان النهضة والرقي، فصارت مقصد الباحثين والمثقفين والعلماء من كل الأمم، يهرعون لاقتنائها واستنساخها سعياً خلف سحرها، وظفراً بما تحتويه من كنوز المعرفة، ومباحث العلوم والفنون.

وتحفل التركة العربية بموروث خطي نفيس، تركه العرب عبر توالي عصورهم ودولهم المختلفة، سطروا في صفحاته مختلف العلوم والفنون النظرية منها والعلمية، واهتموا بجمال نسخهم بتذهيبها وزخرفتها وخطها بأجمل الخطوط لتكون تحفة بأيدي من يطالعها ويقرؤها، فصارت محط أنظار الغرب والشرق بالدرجة الأولى.

وقد كانت المساجد ودور العلماء المكان الطبيعي لوجود المخطوطات إلى أن انتشرت المكتبات العامة في البلاد العربية، والحقت بها ما في المساجد من مخطوطات، كما أهدى بعض العلماء خزائنهم الخطية للمكتبات العامة حفاظاً عليها من الضياع والإهمال.

إلا أن كثيرًا من العلماء عهدوا أمر خزائنهم إلى أبنائهم وذويهم، وورثوهم تراث أمتهم ومجدها، فبقيت لديهم عشرات ومئات من السنين في حوزة الخزائن بعيدةً عن قاصديها، ومنهم من فرّط ببيعها، ومنهم من نظّم سبيلاً للاستفادة منها.

وقد اشتهرت بعض خزائن العلماء بنفاستها وجودة انتقاء أصحابها لكتبهم، وحرص أصحابها على الاقتناء



والمحافظة، وبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل تحصيلها، بل ضربوا في شرق البلاد وغربها، وتحملوا معاناة الأسفار في سبيل الحصول على نسخة أو كتاب.

وأعرض هنا لبعض خزائن علماء القرنين الثالث عشر والثاني عشر الهجري لكونهم أقرب عهداً بحاضرنا فيكون إمكان التعرف إليها ووجودها أكبر.

خزائن العراق

ونبدأ بخزائن العراق، إذ هي الأسبق ظهوراً في العالمين العربي والإسلامي، فقد ابتدأت نشأتها زمن الخلافة العباسية، وتضم خزائنها أندر المصنفات وأجلها، وقد عانت، ولا تزال من ويلات الحروب ودمارها الكثير والكثير. فمن خزائنها:

الخزانة النعمانية ببغداد، التي أسسها أبو الثناء الآلوسي، الذي توفي سنة ١٢٧٠هـ، ثم رعاها ابنه الأستاذ نعمان بن محمود الألوسي المتوفى سنة ١٣١٧هـ، الذي كان مشغوفاً منذ صباه بالمطالعة، وجمع الكتب النادرة، فوفق بجمع خزانة حافلة عرفت



نوادر المخطوطات محفوظة في خزائن العالم العربي والاسلامي

مختلف العلوم. فمنها «مقاييس اللغة» وكتاب «المجمل» لابن فارس (٣).

وخزانة الميرزا حسين بن محمد النوري المتوفى سنة ١٣٢٠هـ. وكان له ثلاث خزائن: واحدة في النجف، والثانية في طهران، والثالثة في هندستان. كان فيها من أجلّ المصنفات شيء كثير. وكلها خطية نادرة (٤).

وخزانة الشيخ عبدالحسين الطهراني في كربلاء، الذي عني بجمع مخطوطات بخطوط مصنفيها، إضافة الى كثير من نوادر المخطوطات. فمنها كتاب «العين» للخليل بن أحمد، و«المحيط» للصاحب بن عباد، و«التفهيم» للبيروني. وقد خط في القرن السادس للهجرة (٥).

وخزانة السيد محمد السماوي في سماوة، الذي عني بمخطوطات علم الفلك والرياضيات، ومن نوادرها نسخة من كتاب «المجسطي» منقولة من نسخة المصنف، و«المدخل» لكوشيار كتب سنة ٨٠٠ هـ (٦).

وخزانة السيد عيسى بن موسى البندنيجي في بغداد، الذي توفي سنة ١٢٨٣هـ، ومن ثم انتقلت خزانته الى ابنه، وفيها تراجم رجال ووصف بلدان وتاريخ يعز وجودها (٧).

وخزانة السيدة عاتكة بنت السيد علي النقيب، باسم «المرجانية»، حوت امات الكتب الخطية، منها «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، و«تاريخ الذهبي»، و«جامع التعريب بالطريق القريب»، وغيرها من أمات المخطوطات، التي بلغت ١٤٠٠ مخطوط (٨).

وخزانة الشيخ علي بن محمد رضا في النجف، ويعرف بابن كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، وقد حوت خزانته امات الكتب، ويتيمات المصنفات في

ما تخبئه الخزائن من مخطوطات هو في حقيقته حضارة الأمة، وسجل مجدها، وثمرة إنتاج علمائها، وهي أمانة الأجداد استودعوها أحفادهم، وهنا نشير إلى الجهود الذي يبذله معهد المخطوطات العربية بالقاهرة في حصر هذه الخزائن، والتعرف إلى أماكنها ومحتوياتها

ومقرها بغداد، وقد توفيت سنة ١٢٣٩هـ. وقد كانت محبة للعلم، وقفت جل ما تملك في سبيل نشر العلم والمعرفة. فأسست مدرسة عرفت باسم «المدرسة الخاتونية»، وقد أرسلت الحاج محمد سعيد عبدالكريم دله زاده إلى مصر والشام وإستانبول، وزودته بالمال لكي يمد خزانتها بنوادر المخطوطات، ومجاميع الكتب (٧).

وخزانة السيد عبدالرحمن بن علي النقيب المتوفى سنة ١٣٤٥هـ (نقيب الأشراف ببغداد)، وقد كان له شغف شديد بالكتب، بذل كل نفيس في سبيل جمعها، وكان يبعث لشراء الكتب وفوداً إلى الشام، ومصر، والهند، وإستانبول، والمغرب فأصبح عدد مخطوطاتها يزيد على ٧٥٠، ومطبوعاتها تزيد على ٣٠٠٠، بيعت مجموعة كبيرة منها بعد وفاة صاحبها بالمزاد العلني، قام ببيعها السيد قاسم محمد الرجب المتوفى سنة ١٩٧٥م (صاحب مكتبة المثنى)، وفي عام ١٩٥٤م قام السادة أولاد المرحوم عبدالرحمن النقيب بجعل ما بقي من كتب خزانته وقفاً على الخزانة القادرية، وسجلت في المحكمة الشرعية (٨).

وخزانة السيد محمد حسين آل كاشف الغطاء الكبير بالنجف، وتضم ١٨٠٠ مخطوطة في مختلف الفنون (٩).

اشتهرت بعض خزائن العلماء بنفاستها وجودة انتقاء أصحابها لكتبهم، وحرص أصحابها على الاقتناء والمحافظة، وبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل تحصيلها، بل ضربوا في شرق البلاد وغربها، وتحملوا معاناة الأسفار في سبيل الحصول على نسخة أو كتاب

خزائن بلاد الشام

وفي بلاد الشام التي تعدّ حلقة الوصل بين الجزيرة العربية وتركيا، ومصر، والعراق، والتي حفلت بكثير من العلماء والمفكرين ممن اهتموا بجمع الكتب واقتنائها، فانتشرت بها خزائن العلماء، وصارت مقصد الباحثين والمهتمين في كل مكان.

فمن خزائنها خزانة الإمام محمد أمين عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢هـ، وخزانته بدمشق، وقد أغرم بالكتب، فجمع خزانة عظيمة، وكتب بخطه الكثير، وكان والده يشتري له ما يريد من الكتب، ووهبه خزانته، التي ورثها عن آبائه (١٠).

وخزانة الشيخ بدر الدين الحسني بدمشق، الذي أولع في الدنيا باثنتين: الكتب، وأواني الخزف الصيني، فكان يشتري الكتاب يسمع به، ولو كان مطبوعاً في أقصى البلاد، ويشتري المخطوط بأغلى الأثمان، إلى أن توافرت له خزانة عظيمة حوت نفائس المخطوطات (١١).

وخزانة الشيخ أحمد بن محمد الزرقا المتوفى سنة ١٣٥٧هـ، وخزانته بحلب حوت نوادر المطبوعات القديمة والحديثة في علوم الفقه والأدب والعربية، كما حوت ألف كتاب مخطوط من نفائس الكتب، منها ما خط بيد مؤلفه، ومنها ما خطه أكابر العلماء والخطاطين، ولما شاع أمر هذه الخزانة كان للسفارات والقنصليات الأجنبية سعي دؤوب لشرائها، وبذلوا فيها الأثمان المغرية، لكنه رفض بيعها لمن يخرجها لبلاد أجنبية، إلى أن باعها بواسطة السيد أمين الخانجي (الكتبي المعروف) لمكتبة الإسكندرية العامة بثمن أقل جداً مما دفعه عملاء الجهات الأجنبية.

وكان بعد ذلك كلما ذكرها أو ذكر بعض النفائس التي كانت فيها، وتكحلت عينه بمطالعتها، وجميل خطوطها، يتمثل قول الشاعر أبي علي القالي لما باع نسخته من

كتاب «جمهرة اللغة» لابن دريد، وكتب عليها أبياتاً، منها:

أنست بها عشرين عاماً وبعتها ... وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من ربّ بهنّ ضنين [١٢].

وخزانة آل طلس التي أسسها الشيخ مصطفى محمد شاهين المتوفى سنة ١٣١٥هـ، ومقرها في حلب، وتضم ما يزيد على ١٥٠ مخطوطاً في مختلف الفنون[١٣].

وخزانة السيد جرمانوس فرحات مطران في حلب بالقرن الثامن عشر الميلادي، وتعدّ من أغنى الخزائن النصرانية بها نحو ١٥٣٦ مخطوطة عربية، من أهمها: «شرح المقامات الحريرية» للشريشي، وكتاب «كليلة ودمنة»[١٤].

كتاب مخطوط نادر بعنوان «نصيحة الملوك»

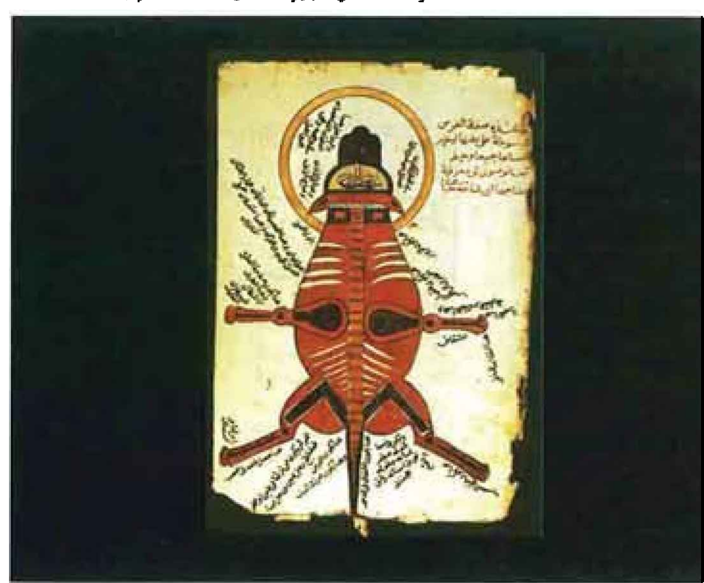


كانت المساجد ودور العلماء المكان الطبيعي لوجود المخطوطات إلى أن انتشرت المكتبات العامة في البلاد العربية، وألحقت بها ما في المساجد من مخطوطات. كما أهدى بعض العلماء خزائنهم الخطية للمكتبات العامة حفاظاً عليها من الضياع والإهمال

وخزانة الشيخ محمد بن بدر بن حبيش بالقدس المتوفى سنة ١٢٢٠هـ. بها ٦٤٤ مخطوطة، صدر لها فهرس خاص عام ١٤٠٧هـ (١٥).

وخزانة الأستاذ إقليميس يوسف داود المتوفى سنة ١٣٠٨هـ. وخزانته بدمشق، وقد تنقل كثيراً بين دمشق والموصل - مسقط رأسه - فجمع مكتبة يعز وجود مثلها لما حوته من الكتب الخطية (١٦).

المخطوطات تشمل الجهود العلمية للعلماء العرب



الجزيرة العربية

وفي الجزيرة العربية التي كانت ملتقى علماء الإسلام في كل عام في مكة المكرمة والمدينة المنورة، الذين يأتون معهم بأسفار الكتب، ومنهم من سكن بالديار الحجازية، فازدهرت بهم الجزيرة كلها، إضافة لما في نجد والخليج من خزائن العلماء.

فمن هذه كلها خزانة شيخ الإسلام عارف حكمت بك المتوفى سنة ١٢٧٥هـ، وخزانته في المدينة المنورة، جمع فيها أنفس المخطوطات وأندرها، وقد تجاوز ما فيها من المخطوطات خمسة آلاف مخطوط، إضافة إلى نوادر المطبوعات، أوقفها ببنائها عام ١٢٧٠هـ. ومن نوادر مخطوطاتها كتاب «المحاضرات» للسيوطي بخط المؤلف، وكتاب «التشبيهات» لأبي اسحاق البغدادي، كتب بخط مشرقي سنة ٤٦٦ هـ، وغيرها، وهي حاليًا ضمن مجموعة مكتبات تضمها مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة (١٧).

وخزانة الأستاذ الخطاط محمد ماجد الكردي المتوفى سنة ١٣٤٩هـ، وخزانته بمكة المكرمة، عرفت بالمكتبة الماجدية، وتعدّ من أهم خزائن الحجاز شملت النوادر من المخطوطات والمطبوعات الأوروبية والعربية، ويقدر عدد مقتنياتها بسبعة آلاف مجلد اشتراها السيد عباس قطان من أبناء صاحب الخزانة على أن يضعها في موضع يقال إن ولادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت فيه فنقلت الخزانة إلى هذه الجهة، ومن ثم ألحقت بالمكتبات الوقفية التابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف (١٨).

وخزانة الشيخ محمد نصيف المتوفى سنة ١٣٩١هـ، وخزانته في جدّة، وقد أولع بالكتب، فخلف خزانة حافلة

بالمخطوطات والمطبوعات، ويقدر ما بها من المخطوطات بـ ٢١٧ مخطوطة، ضمت فيما بعد مع مجموعة من الخزائن إلى مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز.

وخزانة رباط الشيخ محمد مظهر الفاروقي بالمدينة المنورة، التي أسست سنة ١٢٩١هـ، وقد بلغ عدد كتبها ١١٠٠ كتاب منها مخطوط «تاريخ المدينة المنورة» لأبي زيد عمر بن شبة النميري المتوفى سنة ٢٦٢هـ.

وخزانة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود، التي بذل فيها جهداً كبيراً في الحصول على مقتنياتها عن طريق الشراء والإهداء، فاستطاع تكوين خزانة خاصة تحتوي على ٣٥٧٤ عنواناً في ٦٠٠٠ مجلد في مختلف الفنون، أهديت بعد وفاته إلى جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض سنة ١٣٩٧هـ، وقد كان له ولع خاص باقتناء النادر من الكتب المخطوطة والمطبوعة، فتعززت خزانته بكثير من النسخ الوحيدة في العالم، منها الجزء الأول من كتاب «تاريخ الإسلام» للحافظ الذهبي، وغيره من النفائس.

وخزانة الشيخ محمد بن عبدالرحمن العبيكان بالرياض، التي طبع لها فهرس خاص بمحتوياتها سنة ١٣٩٠هـ بلغ مجموع ما فيه من المخطوطات ٢٢٧مخطوطاً في مختلف العلوم، ومن أنفسها «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل» للزمخشري بخط أحمد الهمذاني سنة ٦٦١ هـ، وكتاب «ذخيرة العطار من مفردات ابن البيطار» في علم الطب لسعيد بن إبراهيم المغربي خط سنة ١٠٠١ هـ.

وخزانة الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ التي امتلأت بالمخطوطات بخطوط العلماء، كالحافظ ابن حجر العسقلاني، والشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب، وتضم هذه الخزانة ١٢٧٤ عنواناً آلت بعد وفاة الشيخ إلى جامعة الملك سعود، بإهداء كريم من ورثته.

تعدّ بلاد الشام حلقة الوصل بين الجزيرة العربية وتركيا، ومصر، والعراق، وقد حفلت بكثير من العلماء والمفكرين من اهتموا بجمع الكتب واقتنائها، فانتشرت بها خزائن العلماء، وصارت مقصد الباحثين والمهتمين في كل مكان

وخزانة الشيخ يوسف بن راشد المبارك أحد مؤرخي منطقة الأحساء، وتبلغ محتوياتها نحو ٢٠٠٠ كتاب، أكثرها في العلوم الدينية، ومن أنفس محتوياتها «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق».

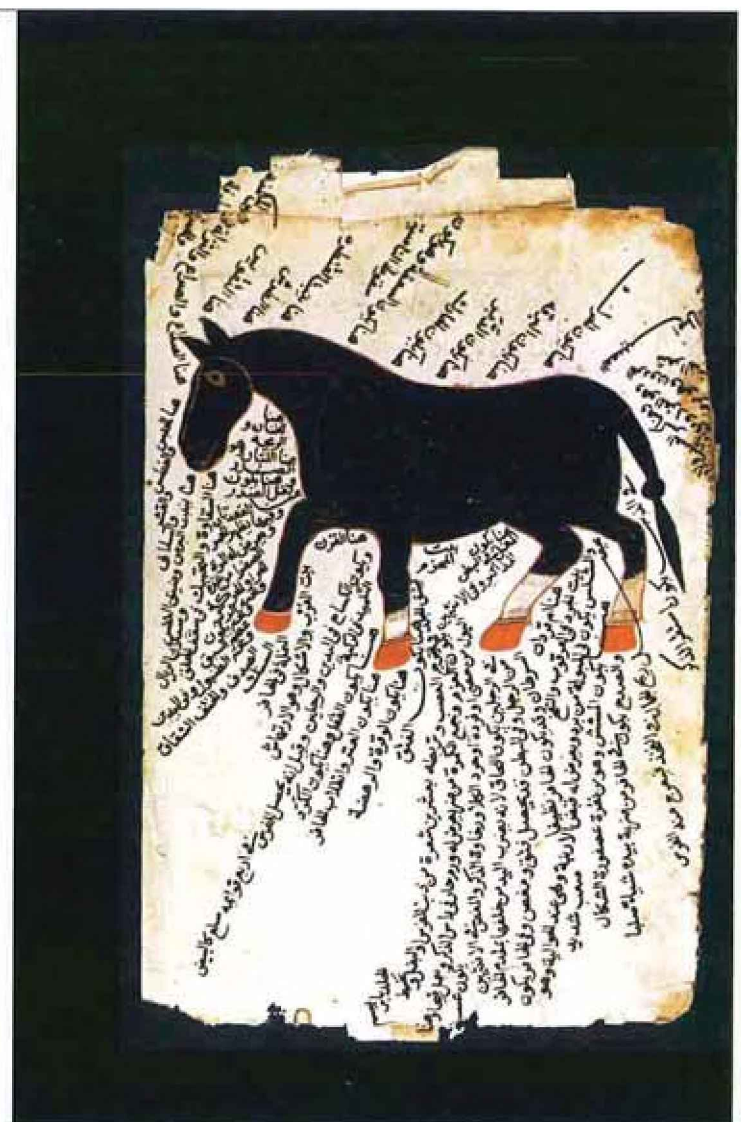
وخزانة الشيخ محمد بن صالح المقبل التي أنشئت بمنزل الشيخ سنة ١٤٠٦هـ، وفي سنة ١٤٠٧هـ تم بناء مقر لها، وضمت إلى وزارة الشؤون الإسلامية، وبها نحو ٨٠٠ مخطوطة.

وخزانة معالي الأستاذ محمد سرور الصبان (وزير مالية سابق في الدولة السعودية)، وتضم ٢٠٢ مخطوطات أهديت بعد وفاته لجامعة أم القرى بمكة.

وخزانة الشيخ محمد عابد السندي المتوفى سنة ١٢٥٧هـ، وخزانته في المدينة المنورة نفيسة المحتوى، نادرة فريدة، أوقفها بالمدينة المنورة في حياته، وقد اشتملت على نفائس وأصول عتيقة عليها سماعات أعلام الحفاظ، ومن أهمها سفر واحد اشتمل على كتاب «الموطأ»، وكتب الحديث الستة، و كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح.

وفي اليمن حيث كان الترحال والتنقل للتجارة والعلم ديدن لكثير من علماء اليمن، الذين عادوا إليها بأحمال الكتب، فاشتهرت خزائنهم بالنفائس من المخطوطات.





المخطوطات تبرز التراث العالمي العربي

فمنها خزانة الأستاذ الكبير محمد بن علي بن الأكوع المتوفى سنة ١٤١٩هـ. وخزانته في تعز بها نوادر من المخطوطات (١).

وخزانة المؤرخ محمد بن جبارة في صنعاء. وقد ضمت مجموعة نادرة من مخطوطات التاريخ والأدب والتراجم. صنع فهرس مخطوطاتها الأستاذ عبدالله الحبشي. ونشرته مجلة معهد المخطوطات العربية عام ١٢٩٣هـ (٢).

وخزانة الشيخ حسين بن محمد الحبشي المتوفى سنة ١٢٣٠هـ. وخزانته في حضرموت. وقد تنقل في بلاد اليمن. ورحل إلى مكة فجمع من نفائس المؤلفات في مختلف الفنون (٣).

وخزانة الشيخ محمد بن محمد بن إسماعيل المنصور بصنعاء، أعد فهرسها الأستاذ عبدالله الحبشي، ونشرته مجلة معهد المخطوطات العربية عام ١٣٩٨هـ (٣١).

خزائن العلماء في مصر

وفي مصر التي ضمت عددًا من أشهر خزائن العلماء في العالمين العربي والإسلامي، والتي كان للأزهر فيها دور مهم في استنساخ المؤلفات، ووفرة الخزائن، فمنها:

خزانة الأستاذ أحمد خيري باشا المتوفى سنة ١٢٤٣هـ، وخزانته في البحيرة (منطقة قريبة من القاهرة) تحتوي على نفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة، ويبلغ عددها ١٥٠٠٠ مجلد (٣٢).

وخزانة الأستاذ أحمد زكي باشا المتوفى سنة ١٣٥٣هـ، وخزانته بالقاهرة حوت ما يزيد على عشرة آلاف كتاب جمعها صاحبها خلال ثلاثين سنة، من أهم مخطوطاتها نسخة من تاريخ ابن خلدون بخط الشيخ حسن العطار، ونسخة كاملة من صبح الأعشى كتبت عام ٨١٧ هـ، وقد أوقفها في حياته، وبعد مماته انتقلت إلى دار الكتب المصرية (٣٣).

وخزانة الأستاذ أحمد تيمور باشا المتوفى سنة ١٣٤٨هـ، وخزانته بالقاهرة بلغت كتبها ما يزيد على ٨٠٠٠ مخطوط ومطبوع، أهديت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية، وأفردت لها قاعة خاصة باسم المكتبة التيمورية (٣٤).

وخزانة الأستاذ علي حسن الليثي المتوفى سنة ١٣١٣هـ، وخزانته بالقاهرة، وقد غالى فيها، وبذل الأثمان العالية فعرفه تجار الكتب، فخصوه بكل نادر ونفيس، فكانت تحتوي على نوادر المخطوطات العربية التي لم تطبع، وبعد وفاته بقيت محبوسة لا ينتفع بها إلى أن بيعت إلى أحد تجار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٦٠م (٣٥).

وخزانة السيد عبدالحميد البكري في سراي الخرنفش بالقاهرة بها نحو ١٠٠٠ مجلد، إلا أن أكثرها مطبوع (٣٦).

وخزانة الشيخ إبراهيم الظواهري بطنطا وتحتوي على ٦٠٠٠ مجلد، منها ١٣٠٠ بخط اليد، وبها نوادر من خطوط المشاهير (٣٧).

والخزانة الأصفية، وصاحبها هو محمد بك أصف بها ٦٠٠٠مجلد، منها نحو ٤٠٠٠ باللغة العربية ما بين مطبوع ومخطوط (٣٨).

وخزانة السيد علي باشا، وبها نحو ١٠٠٠ مجلد، أكثرها مخطوطات، وقد شملت هذه الخزانة كتب رفاعة الطهطاوي الشهير (الذي هو جد صاحب الخزانة)، ومن نوادرها الجزء الثاني من كتاب «المثل السائر» لابن الأثير بخط المؤلف (٣٩).

وخزانة السيد محمد الفاتح قريب الله في أم درمان بالسودان بها نحو ١٠٠ مخطوطة (٤٠).

الخزائن بحاجة إلى من يحميها من الإهمال





المخطوطات امانة تستدعي القيام بموجباتها

خزائن المغرب العربي

وفي دول المغرب العربي حيث تعرف مخطوطاته بالخط الكوفي الجميل، وكثرة الزخارف؛مما أكسبها شهرة خاصة، فصارت خزائنها مقصد الباحثين والمهتمين من جميع أنحاء العالم.

فمنها خزانة السيد محمد بن عبدالحي الكتاني المتوفى سنة ١٣٨٢هـ، وخزانته بالرباط، وقد تنقل في بلاد مصر والشام والحجاز والجزائر وتونس وعاد بأحمال من المخطوطات إلى المغرب، وكان جمّاعًا للكتب ذخرت خزانته بالنفائس من أهمها الكاشف في أسماء الرجال، وشرح تقريب النووي للسخاوي بخطه. ولم ير قط في سوق من أسواق البلاد التي يسكنها إلا في دكاكين الكتبية لاقتناء نفائس الكتب. وقد حازت خزانته شهرة كبيرة في العالم الإسلامي والغربي، وهي الآن ضمن خزانة الكتب العامة بالرباط.

وخزانة السيد أحمد بن محمد السنوسي المتوفى سنة ١٣٥١هـ، وخزانته بطرابلس، ومن أجل ما في خزانته نسخة من صحيح البخاري بخط أبي علي الصدفي نسخها عام ٥٠٨ هـ، وهي في جلدة واحدة، كتب في أولها بخط ابن جماعة، والحافظ الدمياطي، وابن العطار، والسخاوي -هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني، وبنى عليه شرحه.

الخزانة النعمانية ببغداد، أسسها أبو الثناء الألوسي، الذي توفي سنة ١٢٧٠هـ ثم رعاها ابنه الأستاذ نعمان بن محمود الألوسي المتوفى سنة ١٣١٧هـ الذي كان مشغوفًا منذ صباه بالمطالعة، وجمع الكتب النادرة.

وخزانة السيد محمد منيع الرياني المتوفى سنة ١٢٨٠هـ. وخزانته في الريانية بليبيا بها ٨٠٠ مخطوطة، لم يبق منها سوى ٢٠٠ مخطوطة محفوظة في منزل حفيده بليبيا السيد عبدالرحمن بن محمد بن منيع، وتضم كتبًا في الفقه المالكي، والأدب العربي، والسيرة النبوية.

وخزانة السيد التهامي بن محمد المزواري المتوفى سنة ١٣٧٥هـ، وخزانته في مراكش، وقد ضمت نفائس من نوادر المخطوطات، وهي الآن ضمن مكتبة الرباط العامة.

وخزانة الأستاذ عبدالرحمن بن محمد الطرابلسي

المتوفى سنة ١٣٥٤هـ. وخزانته بطرابلس الغرب، ارتحل إلى تونس، ومصر، والآستانة، فجمع منها خزانة كبيرة قيمة [11].

وخزانة الأستاذ محمد بن خليفة المدني المتوفى سنة ١٣١٢هـ. وخزانته في مكناس، وقد رحل إلى مصر، وتونس، والقيروان، والجزائر، وفاس، والرباط، والمدينة المنورة، وكان في رحلاته جماعًا للكتب والدواوين بالشراء والاستنساخ فحصلت له خزانة عظيمة من الكتب [12].

وخزانة الشيخ عبدالرحيم بن القاسم الإدريسي بها نحو ٢٠٠ مخطوطة [13].

هذه بعض الخزائن التي عرفت في القرنين الماضيين، وغيرها كثير مما لم نوردها إذ لا يتسع المجال لذكرها، ومما انتهى أمرها بالبيع أو تقاسم الإرث أو تعرضها للتلف، فلا نعلمها.

وما تخبئه هذه الخزائن من مخطوطات هو في حقيقته حضارة الأمة، وسجل مجدها، وثمرة إنتاج علمائها، وهي أمانة الأجداد استودعوها أحفادهم، وهنا نشير إلى المجهود الذي يبذله معهد المخطوطات العربية بالقاهرة في حصر هذه الخزائن، والتعرف إلى أماكنها ومحتوياتها، ونشر ذلك في مجلاته الدورية حتى تكون معروفة لدى الباحثين. ونختم حديثنا عن خزائن المخطوطات بما سطرته لوعة الشاعر العراقي محمود سليمان في قصيدته التي عنونها بـ (مكتبة لم تكن للبيع) فيقول:

قلق بأوراقي وصمتي أقلق
أنا زورق في اللانهاية أغرق
أنا ميت في عين نفسي إنما
أنا في حساب الله حي أرزق
أنا عامري القلب عذري الهوى
إن لم أمت عشقاً فمن ذا يعشق
ضيعت مكتبتي لأحفظ مرغما
رمقاً يكاد بقعر حلقي يزهق
فديت أطفالي بها ولربما
فدى الحصيف بميتيه ومن بقوا
وأكلت أباتي رغيفاً يابسا
وشربت سماري دواء يمذق
وتقبل العربات كل وجوههم
وأداس ملقى تحتهن واسحق

المصادر:

١- الأعلام الشرقية لزكي مجاهد ٢/١٩٤، طبع دار الغرب الإسلامي عام ١٩٩٤م. تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٤/٢٠٦ طبع مطبعة الهلال عام ١٩٣١م. مراكز حفظ المخطوطات العربية وفهارسها د. عبدالله الجبوري ص١٣٢، طبع بغداد عام ١٤٢٦هـ.

٢- الأعلام للزركلي ٤/١٩، طبع دار العلم للملايين. تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٤١

٣- الأعلام ٣/٢٥٧.

٤- تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٤١.

٥- تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٤٣.

٦- تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٤٤.

٧- مراكز حفظ المخطوطات العربية ص٢١٠

٨- مراكز حفظ المخطوطات العربية ص٢١٢.

٩- دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي لمحمد عارف ص١٦٤، طبع معهد المخطوطات العربية عام ٢٠٠١م بالقاهرة

١٠- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري لنزار أباظة ومطيع الحافظ ١/٤١٥ طبع دار الفكر. هدية العارفين لإسماعيل باشا ٦/٣٦٧، طبع وكالة المعارف باستانبول عام ١٩٥٥م.

١١- رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي ص٣٨٢، طبع دار القلم.

١٢- تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي للشيخ عبدالفتاح أبو غدة ص٩١ طبع مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب عام ١٤١٧هـ. والأبيات في كتاب البلغة في أصول اللغة لمحمد صديق حسن ص١١٨، طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينية عام ١٢٩٦هـ.

١٣- دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي لمحمد عارف ص١١٦.

ما خفف الغادون وطأهمُ على
قلبي الذي بفراقهم يتمزق
هذا أبو تمام يبكي فرقتي
وأبو المحسد مستفز محنق
وأبو العلاء جررته من حبسه
فمضا على عاري الصغار تنزق
لو كنت في زمن أقل وقاحة
ما لطمتني الطرق وهو يحدق

تعبت براحلتي الدروب ولم أجد
وطنا يحن كما أحن وأصدق
عيناي جف الودق في غدرانها
فتشققت أو قاربت تتشقق
والشعر في عصر الوحوش بضاعة
كالحب مزجاة وليست تنفق
فاشرب دموعي يابن عمي إنني
قد صرت من جوعي بها أترزق (٤٨).

---

١٤. دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ص ١٢١.
١٥. دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ص ١٨٩.
١٦. الأعلام الشرقية ٢/٦١٠.
١٧. انظر شمي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم لشهاب الدين الألوسي طبع دار التراث سنة ١٤٠٣هـ.
وقد أورد ذكرها الرحالة محمد لبيب البتنوني في كتابه الرحلة الحجازية ص ٢٢٦، وأبدى إعجاباً كبيرًا بتنسيق المكتبة، وحسن ترتيبها، وجمال مخطوطاتها. طبعت رحلته بالقاهرة سنة ١٣٢٧هـ.
١٨. الأعلام ٧/١٦. المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز ص ١٨٤.
١٩. مراكز حفظ المخطوطات العربية ص ٣٠.
٢٠. المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز لسالم السالم ص ١٧٢. طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة عام ١٤١٩هـ.
٢١. المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز ص ١٧٧.
٢٢. فهرس المخطوطات بمكتبة محمد بن عبد الرحمن العبيكان طبع بالرياض سنة ١٣٩٠هـ.
٢٣. المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز ص ١٨١.
٢٤. المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز ص ٢٠١.
٢٥- دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ص ٩٢.
٢٦. المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز ص ١٨٥.
٢٧. فهرس الفهارس للكتاني ٢/٧٢٣ طبع دار الغرب الإسلامي. الأعلام ٦/١٧٩.
٢٨. مراكز حفظ المخطوطات العربية ص ٨٢.
٢٩. مراكز حفظ المخطوطات العربية ص ٧٩.
٣٠. الأعلام الشرقية ٢/٥٥٧.
٣١. مراكز حفظ المخطوطات العربية ص ٨٠.
٣٢. الأعلام الشرقية ٢/٤٣٩.
٣٣. الأعلام ١/١٢٦.
معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١/٢٢٥ طبع دار إحياء التراث العربي
تاريخ اداب اللغة العربية ٤/١٢٧
٣٤. الأعلام الشرقية ٢/٨٣٩، معجم المؤلفين ١/١٦٦.
٣٥. الأعلام الشرقية ٢/٧٥١.
٣٦. تاريخ اداب اللغة العربية ٤/١١٧.
٣٧. تاريخ أداب اللغة العربية ٤/١٢٣.
٣٨. تاريخ اداب اللغة العربية ٤/١٢٧.
٣٩. تاريخ اداب اللغة العربية ٤/١٢٨.
٤٠. دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ص١١٠.
٤١. فهرس الفهارس ١/٢٠، الأعلام ٦/١٨٨.
٤٢. فهرس الفهارس ٢/٧٠٨. الأعلام ١/١٣٥.
٤٣. دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ص ٢٢٩.
٤٤. الأعلام ٢/٨٩.
٤٥. الأعلام الشرقية ٢/٧٣٤.
٤٦. فهرس الفهارس ١/٢٨٢.
٤٧. دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ص ٦٦.
٤٨- مجلة (تراث) الصادرة عن نادي تراث الإمارات في عددها ٤١ الصادر في المحرم سنة ١٤٢٣هـ.



أبو سعدى

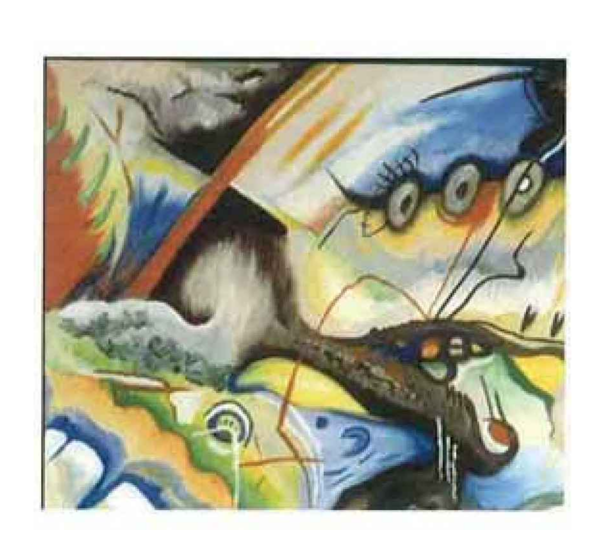
صالح هواش المسلط

الحسكة ـ سورية

ومن دم قلبها الوردي والدفلى
عجّنا حنة العرسِ
ومن سخم القدور السود
خُضّبَ شاهد الرمسِ
عروس النيل طّوفنا جنازتها
بعرض النهر
وصوت الصاحب المقرور
يغلي في مراجلنا
على الشطآن والسهل
فنلسعهُ شفاه القوم
بالقبلاتِ والضمّ
ينزُّ الصوت مقرورًا
أيا صحبي:
عليكم شقوتي الكبرى
إليكم نخوتي الحرّى
لأن نسمع شكاة الصحب
(لا تضووا)
إلى أن تبصق الأفعى
صديدًا سمّها السادي

◆◆◆◆◆

وصورة ذلك المطعون في النحرِ
رسمناها على بوابة الفجرِ
كتبنا فيها حرفين منقوشين للمنديلِ
ضحكة حزنهِ الكابي يا أحلام أحلامه)
وجرحهُ يبرق الثارات.. يفلحُ تلكم الآفاق
غيضًا ثم نيرانا..
بسهم كلومهِ المسموم: كل الصحب
قد جُرحوا..
ودمعكَ يا عصيَّ الدمع..
في العينين ما هانا..
فما معناهُ شوك الغار..؟؟
غصن الزيت..؟؟؟
طيرُ طار..؟؟؟؟
فشوك الغار أدماني..
وغصن الزيت مشلولٌ..
ومصلوبٌ على الجدران..



وأكوامُ مكدّسةٌ.. من الهذيان والغثيان..

لا حصر ولا ميزان..

فيومًا كان يا ما كان.. بملح الدم كحّلنا مآقينا..

ببولِ الإبل غسّلنا نواصينا..

بدفلى حامض السمّاق.. بالرُقيا وبالسحر..

فلا خيرٌ ولا يُسر..

ويومًا كان يا ما كان.. زيتُ الصبر يا أيوب..

دن الخمر يا خيام.... سمُّ الأفعى يا لقمان..

بلا جدوى.. وهل جدوى من السرطان والسل..

تبًا لهم الكل.. بلا جدوى..

وهل جدوى من السرطان والسل؟..

وما أحلاهُ يومًا كان.. كؤوس طلى أبي سعدى..

عزيز الكرم والبستان.. سُقيناها مثّلجة..

وفي دنٍّ من المرجان..

لتوقظ غفوة النشوان من عطر الشأم.. ومسك

(دارينا)..

وما أحلاهُ يوم كان.. أبا سعدى..

حصانًا سيد الميدان.. يركض في حشيش البحر..

سنابكهُ من الفولاذ والعقيان..

أبا سعدى.. ونقسم فيك ايمانًا..

بأنك مثل قلب الطير.. تحب الماء والبيدر..

وتقطرُ لحيتك عنبر..

فخذها يا أبا سعدى..

لتدفنها مع الجرح الذي قد مات في القصب..

وسخّم نطفة الرحم..

لئلا تُطفأ الشمسُ.. لئلا يُطفأ القمر..

فيولد جيلها نسلاً.. خنازيرًا ولا بشرا..

وما أحلاه يوم كان..

شباب النخوة العصماء..

حداء في بواديهم.. هزيج وسط واديهم..

«ربعي دوم مونسين البر.. حدّايه وشيالة موزر

ما نرجع غير يعود الحق.. ويعود لنا النصر الأكبر».

ولكن آه يا أيوب تناغي الأمُ طفلتها:

(ألا نامي هيا ريما.. وريما تنشد النوما..

على نغم ترددهُ لها الأم وتغفو عليه..

«يا جسر الأحزان أنا سميتك جسر العودة»..

وفي حلم تردده وليدتها..

جسر العودة.. جسر العودة..

يا إلهي.. يا إلهي..

مضحك شرّ البليّه..

يا سمائي.. يا سماء العنتريهْ..

فكوكبُ شرقنا الشرقي قد قالت:

بأن الصبر محدودٌ..

وخارطة بتل ابيب..

تحدُّ حدود هذا الصبر..

من نيل إلى دجلة..

فماذا يجدي الصبر؟؟

وماذا ينفع الصبر؟؟

وماذا يطعم الصبر؟؟
ويأتي رجع موال على الأرغنّ..
تنشده الصعيدية: (الصبر طيب)
(الصبر طيب)
.. حضيرتنا التي كانت..
ومنزل جارنا الطيب..
ودار الأخر المسكين يا حطبًا..
وبائع حارتي الجوّال..
و(بابا نويل) تعذّبهُ هداياهُ..
إلى الأطفال.. في الملجأ..
وفي الخيمةْ..
وخيلك يا أبا الهيجاء..
تخبُّ السير للإبحار..
تدكُّ الأرض....
تركلها سنابكها بكل العُنف..
تَنشُقُ رشقة البارود في فلسطين..
في الشطين.. في سيناء والجولان.
في لبنان..
يسائلهُ الجنود الغُر والأطفال..
أنّى موعد اللقيا؟؟
وفي دمنا عهد الأرض.. ملح الأرض..
والقدس...
فراشات تهاوت في حدائقنا..
على الفيحاء والغوطةْ..
لتجرح خدك الوردي يا شامُ..
فلا عاشت ولا سلمت.. ولا سلمت ولا عاشت..
وخيلهم تجرُّ عنانها المكظوم..
نحو عمامة (الشيخ)..
لتَحرس مرصد الأفيون..
بالخنجر.. وبالقدوم..

فتنسج جسرها الفولاذ..
من عضد الزنود السمر..
حتى تخفق الرايات في الشطين..
نجمات خماسية..
يفيض الماء تنورًا..
ليروي ساحة الصحراء..
ماءً سلسبيلا ثَر..
ليغسل دمعة الحزن..
فيا غبني ويا غبني ويا غبني..
ولا نامت عيون الذل والجُبن..
وها إني لأرفع في جبين الليل لافتة:
لشعب شاخص الأبصار..
لا دمعٌ.. ولا جزعٌ..
إلى النجم الذي سار..
إلى القمر الذي ما زال يجري..
في عروق الجيل.. دخانًا ونيرانًا..
فما زالت خيول الليل مسرجة..
إلى أن يطلع الفجر..
ولن يهدأ صهيل الخيل..
لن يرتد طرف السيف..
حتى تبصق الأفعى..
صديدًا سمّها السادي..
ويكتب في ضمير السيل لافتةً:
«تنبهوا واستفيقوا أيها العربُ
فقد طمى الخطب حتى غاصت الرُكبُ»...



هي ذي قصيدتك الجديدة..؟

فيصل علي أكرم

الرياض ـ السعودية

هي ذي خسارتك الجديدة،

ذي هزيمتك الجديدةُ،

ذي وسيلتك الوحيدةُ لاقتناص الذئب. كالأفعى التي

اقتنصت فريستها التي

ابتدعت ملاذًا بين أحضان الصخورْ

هي ذي غريزتك الكريهة في الحضورْ

وأنتَ كنتَ، وأنتَ تدري: لم تكن

إلا كما كانت دموعٌ تمسح الخدين كي تصل الصدورْ

فمن أيِّ صدر كان يغمرك الشعورْ؟

من أيِّ صدر كُنتَ تشعر بالغرورْ؟

من أيِّ صدرٍ، والصدور جميعها محفوظةٌ بيريقها

كالعظم حين يشعُّ منتشيًا بفجوات القبورْ.

من أين للظلمات هذا النور؟

كانت طيور الشرق عاكفةً على أعشاشها

فوق الجبال..

والرمل كان يسيل من تحت الذين مشوا عليه،

مشى بهم ومشوا عليه،

وكان يعجبهم حنين الرمل في أكتافهم

يدنو إلى أطرافهم

يرنو إلى الأكتاف

هو دائمًا يرنو إلى الأكتاف..

هو لا يراهن بالغيوم، ولا يحضّ على الجفافْ

أفكيف من رمل تخاف؟

أفكيف تخشى الانعطاف؟

قل: هذه بعض المشاوير التي تعتادني

لو ما ارتميتُ بنصفها..

قل: هذه بعض المشاوير التي أعتادها

لو ما الطريق أعادني..

قلها إذًا: هي ذي المسافات التي

أفنت عليك دروبها..

قلها إذًا..

قلها بربك صادقًا: هي ذي قصيدتك الجديدة؟

يا رجل؟

يا حسرتاه على الذي انقطعت به الأنفاسُ،

إن قلنا له: قل غيرها!



سر المعلم كورني

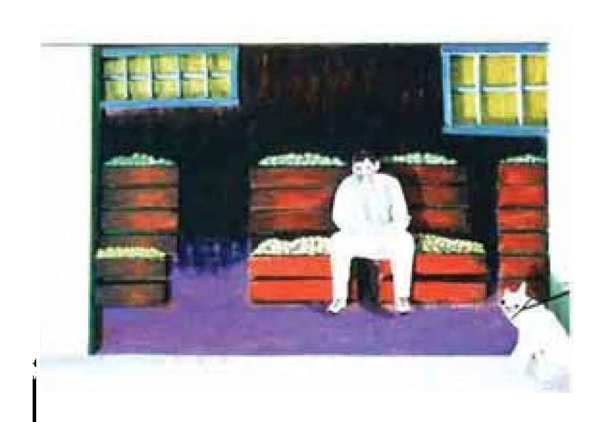
الفونس دوديه*
عزالدين أحمد عزو
حماة ـ سورية

كان المعلم كورني طحانًا عجوزًا، يعيشُ منذ ستين سنة بين الطحين. وكان يحبُّ مهنته كثيرًا. غير أن إنشاء الطواحين الصناعية الحديثة أطارَ صوابه، وراحَ الناسُ طوال ثمانية أيام، وهو يجري في القرية، جامعًا أهلها حوله، صارخًا بكل قواه إنهم يريدون تسميمَ (البروفانس) بطحين الطواحين الاصطناعية: كان يقول: «لا تذهبوا إلى هناك: فأولئك اللصوصُ يستخدمون البخارَ، وهو بدعةُ الشيطان لصنع خبزكم، أما أنا فأشتغلُ بفضل الرياحِ الشمالية التي هي من أنفاس الله الطيب»... وكان يجد كثيرًا من الكلمات الجميلة ليصف بها الطواحين الهوائية. غير أنّ أحدًا لم يكن يصغي إليه.

لهذا، اعتزل العجوز الناس في طاحونته غاضبًا، وعاش وحيدًا كحيوان متوحش. حتى إنه رفضَ إبقاء حفيدته (فيفت) عندهُ، وهي طفلةٌ في الخامسة عشرة من عمرها لم يبق لها في العالم بعد وفاة والديها سواهُ. فوجدت الصغيرةُ المسكينةُ نفسها مضطرة إلى كسب قوتها، والعمل في المزارع في موسم الحصاد. كان جدُّها، على الرغم من ذلك، يحبها كثيرًا، حتى إنه كان يمشي أربعة فراسخ تحت أشعة الشمس الحارقة كي يراها في المزرعة التي تشتغلُ فيها، فيمضي ساعاتٍ طوالاً بالقربِ منها، ينظرُ إليها.. ويبكي.

وظن أهل القرية أن العجوز تخلى عن صغيرته فيفت بسبب بخله؛ لأنه لم يكن من المروءة أن يتركها تتنقلُ من مزرعة إلى أخرى، فضلاً عن أنهم استهجنوا أن يصل به الحالُ، وهو الشخصُ المحترم، إلى التسكع في الشوارع حافي القدمين، بقلنسوته المثقوبة، وملابسه الممزقة.. مثل شريدٍ حقيقي. وعندما رأيناه، نحن المسنين ذات يوم أحدٍ يدخل إلى الكنيسة، تملّكنا الخجل منهُ، وأحسَّ كورني بذلك فلم يجرؤ على الجلوس معنا على المقعد نفسه، مفضلاً أن يجلس مع الفقراء في آخر الكنيسة.

كانت في حياة المعلمِ كورني أشياءُ غامضة: فلقد مضى وقتٌ طويلٌ لم يحمل أحدٌ من أهلِ القريةِ القمحَ



إليه، وكانت أجنحةُ مراوح الطاحونة، مع ذلك، دائمة الدوران... مثلما كانت في الماضي، وكان بعضنا يقابله مساءً على الطرقات، وهو يدفعُ أمامهُ حمارهُ المحمل بأكياس القمح الضخمة.

كان الفلاحون يصرخون به: «مساء الخير يا معلم كورني. العملُ جيدٌ إذاً؟». فيجيبهم العجوزُ ببشاشة: «دائمًا يا صغاري. الشكر لله. فليسَ العملُ هو ما ينقصني» وحينما يسألونه من أينَ يأتيه كلُ هذا الطحين؟ كان يضع إصبعهُ على شفتيه ويجيبهم بشجاعة: «صه ! أنا أعملُ من أجل التصدير...» ولم يكن بمقدور أحد أن يعرف أكثر.

لم يكن لأحد أن يأمل في دخول طاحونته! حتى الصغيرة فيفت، نفسها، لم تكن تدخلها.. وحينما كنّا نمرُّ من أمامها، كنا نرى أبوابها مغلقةً وأجنحة مروحتها دائمة الحركة. كما كنّا نرى الحمارَ العجوزَ يقضِمُ عُشبَ التل، وقطًا كبيرًا يستلقي تحت أشعة الشمس على طرف النافذة وهوَ ينظرُ إلينا بخبث.

كل تلك الأمور كانت تشي بسر دفع الناس إلى اللغط، فأخذ كلُ واحد منهم يفسرُ على طريقته سرَّ المعلم كورني، حتى إنّ بعضهم تحدث عن وجود أكياس من القطع الذهبية يزيدُ عددها على أكياس القمح!!.

كنتُ في أيام الآحاد أعزفُ على الناي، وكان الشبابُ يرقصون. فلاحظتُ ذاتَ يوم جميل أن بكرَ أولادي والصغيرة فيفت قد تحابا. لم يغضبني ذلك؛ لأن اسم كورني، كان مشرفًا كُلَّ شيء في قريتنا، يضافُ إلى ذلك أن هذه الصغيرة الجميلة فيفت، ربما ستبعثُ السرورَ في نفسي حينَ سأراها تخبُ في بيتي. غير أنني أردتُ أن أجعل العلاقة بين هذين العاشقين شرعية؛ لأنهما كانا يجدان - غالبًا - الفرصة ليلتقيا، فصعدتُ إلى الطاحونة كي أتحدثَ مع جدّها.

آه ! يا للساحر العجوز! لو رأيتم الطريقة التي استقبلني بها! لقد استحالَ عليَّ أن أجعلهُ يفتحُ البابَ. فشرحتُ لهُ سببَ قدومي في حين كانَ القطُ الخبيثُ يلهثُ فوقَ رأسي كالشيطانِ طوالَ الوقتِ الذي كنتُ أتحدثُ فيه.

لم يتركني العجوزُ أنهي حديثي بل صرخَ فيّ طالبًا مني العودة إلى نايي قائلاً لي: «إن عليَّ - إن كنتُ مستعجلاً لتزويج ابني - أن أبحث عن فتيات في المطاحن الحديثة...» تمكنتُ من كبح جماح غضبي. وتركتُ ذلك المجنون العجوزَ، وعدتُ إلى الأولاد مُعلنًا خيبتي.. لم يكن باستطاعة هذين الصغيرين المسكينين التصديق، فطلبا مني أن أسمحَ لهما بالصعود معًا إلى الطاحونة كي يتحدثا مع الجدِّ. فلم أجرؤ على الرفض.. وها هما صغيراي العاشقان قد ذهبا..

كان المعلم كورني، عند وصولهما إلى هناك قد خرج، وكان باب الطاحونة مغلقًا بإحكام، لكن العجوز الطيب كان - عند ذهابه - يترك سلّمهُ في الخارج، وعلى الفور، خطرت للصغيرين فكرة الدخول عبر النافذة؛ ليريا ما في داخل هذه الطاحونة الشهيرة...

يا لهُ من شيء غريب! كانت القاعةُ التي يطحن فيها الحب فارغةً، لا يوجد فيها كيسٌ واحدٌ، ولا حتى حبةُ قمح واحدة، ولا أيُّ أثر للطحين على الجدران، أو على خيوط العنكبوت... حتى إنهما لم يَشُما رائحة القمح المطحون الطيبة والدافئة، التي توجد عادةً في المطاحن.. أما الفرقةُ

السفلى فبدت هي أيضًا بالبؤس والإهمال نفسيهما. سريرٌ سيِّئ، بعض الملابس العتيقة، قطعةُ خُبز فوقَ إحدى درجاتِ السُّلم، وكان في إحدى الزوايا ثلاثة أكياس مثقوبة أو أربعة، يتسربُ منها الحصى والترابُ الأبيض.

هذا هو إذًا سرُّ المعلم كورني! وهذا سبب تجواله في الطُرقات، كان يحاول إنقاذ سمعة طاحونته، ويجعلنا نعتقد أنّ الناس يطحنون عنده... يا للطاحونة اليائسة! ويا لبؤسك يا كورني! فلقد انتزعت المطاحنُ البخاريةُ آخر زبائنك منذ وقتٍ طويل. أما المروحة فكانت تدورُ بلا جدوى.

عاد الطفلان باكيين، وحكيا لي ما شاهداه فكادَ قلبي ينفطرُ مما سمعتُهُ.. هرعتُ من دونَ أن أضيِّع دقيقة واحدة إلى جيراني، ولخصتُ لهم الأمرَ بكلمتين، وقررنا أن نحملَ كل ما في بيوتنا من قمح إلى طاحونة المعلم كورني، ونفذنا ذلك على الفور. انطلقت القريةُ بأجمعها سالكة الطريقة الموصلة إلى المطحنة، ووصلنا إلى هُناك برتلٍ طويل من الحمير المحملة بالقمح، نعم بالقمح الحقيقي!.

كانت أبوابُ الطاحونةِ مُشرعةً... والمعلمُ كورني جالسًا أمامها فوقَ كيسٍ من الكلس، واضعًا رأسهُ بين يديهِ وهو يبكي... كان قد لاحظ أن أحدهم دخل إلى الطاحونة في غيابه، واكتشف سرَّهُ الحزين: «يا لبؤسي»، كان يقول: «لم يبق لي الآن إلا أن أموت... فلقد هُتِكَت طاحونتي» كان يبكي وهو ينادي طاحونته بكل الأسماء، ويُحدثُها كما لو انه يتحدثُ مع شخصٍ حقيقي.

وصلتِ الحميرُ في هذه اللحظة إلى قمة التل، وبدأنا جميعنا نصرُخُ بقوة مثلما نفعلُ في أيام الطاحونة الخوالي: «هيه، هيه! للمطحنة! هيه، هيه! يا معلم كورني. تكومت الأكياسُ أمام الباب، وكانت الحبوب الجميلة تنتشرُ على الأرض في كُلِّ الجهات. فتحَ المُعلمُ كورني عينيه مندهشًا، وأخذ بيده قبضة من القمح، وهو يقول في آن واحد: «يا إلهي...! قمحٌ طيب! دعوني أنظرُ إليه!».

والتفتَ نحونا وقال: «آه أعرفُ أنكم ستعودون إليّ... فكُلُّ أولئكَ الطحانين لصوصٌ». كنا نريدُ أن نحمله في موكب إلى القرية، لكنه رفض قائلاً: «لا، لا يا أولادي، عليَّ قبل كُل شيء أن أُطعم طاحونتي... فلقد مضى وقتٌ طويلٌ لم أضع خلالها تحت رحاها أي شيء».

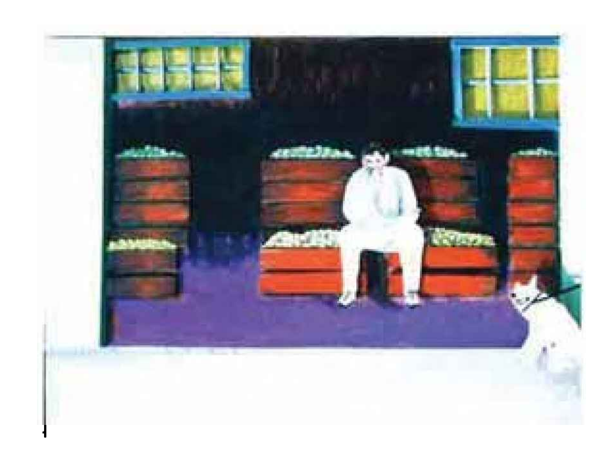
كُنا جميعًا نبكي ونحنُ نرى العجوز المسكين يركضُ يمنة ويسرة، فاتحًا الأكياسَ وهو يراقبُ الطاحونة، بينما كان الحَبُّ يُسحَقُ وغُبارُ القمح الناعم يتطايرُ نحوَ السقف. كان علينا أن نفعل ذلك منذ مدة، وبداية من اليوم لن نتركَ الطَّحان العجوز من دون عَمَل.

ذاتَ صباح، ماتَ المعلم كورني، وتوقفت جوانحُ آخر طواحيننا عن الدوران وإلى الأبد هذه المرة... مات كورني، ولم يأخذ مكانهُ أحد.

ما الذي تريده يا سيدي؟ فلكل شيء في هذا العالم نهاية، وعليك أن تصدق أن زمن الطواحين الهوائية قد انقضى.

* ألفونس دوديه: كاتب فرنسي (١٨٤٠ - ١٨٩٧م)، تحفل أعماله بالانفعالات الإنسانية والشعرية على الرغم من ارتباطه بالمدرسة الطبيعية.

أهم أعماله: (حكايا الإثنين) و(رسائل من طاحونتي).



الخيط الضعيف

عن قصة الكاتب الأمريكي أيديد هورتون
ترجمة: مسعد شتيوي
العريش - مصر

عندما عاد السيد ميندن إلى منزله لتناول الغداء، لم يجد زوجته ميليسنت في المنزل. ولم يعرف الخدم إلى أين ذهبت.

جلس السيد ميندن بمفرده على منضدة في الحديقة، وتناول قطعة صغيرة من اللحم مع بعض المياه المعدنية. فهو عادة يتناول وجبات خفيفة بسبب إصابته بآلام في المعدة. ولعلك تسأل لماذا إذن يحتفظ بطباخ ضمن الخدم؟!.. لأن زوجته ميليسنت اعتادت أن تدعو أصدقاءها على موائد عشاء كبيرة، تقدم لهم فيها ما لذ وطاب من الأغذية النادرة، والمشروبات الباهظة التكاليف. لم يكن السيد ميندن سعيدًا بهذه الولائم والاحتفالات التي تكلفه من ماله كثيرًا، ومع ذلك لم يحاول - يومًا - إغضاب زوجته، أو مضايقتها. بعد أن تناول السيد ميندن غداءه أخذ يتجول في أرجاء المنزل. لم يستطع البقاء طويلاً في غرفة المعيشة، فهي تذكره بالساعات الطوال كثيرًا ما قضاها في حفلات زوجته. وأكثر من ذلك أن منظر حجرة الطعام كان يشعره بالغثيان؛ لأنه يذكّره بالأوقات التي كان يضطر فيها إلى التحدث ساعات مع أصدقاء زوجته، الذين نادرًا ما كانوا يبدون أي اهتمام بأحاديثه.

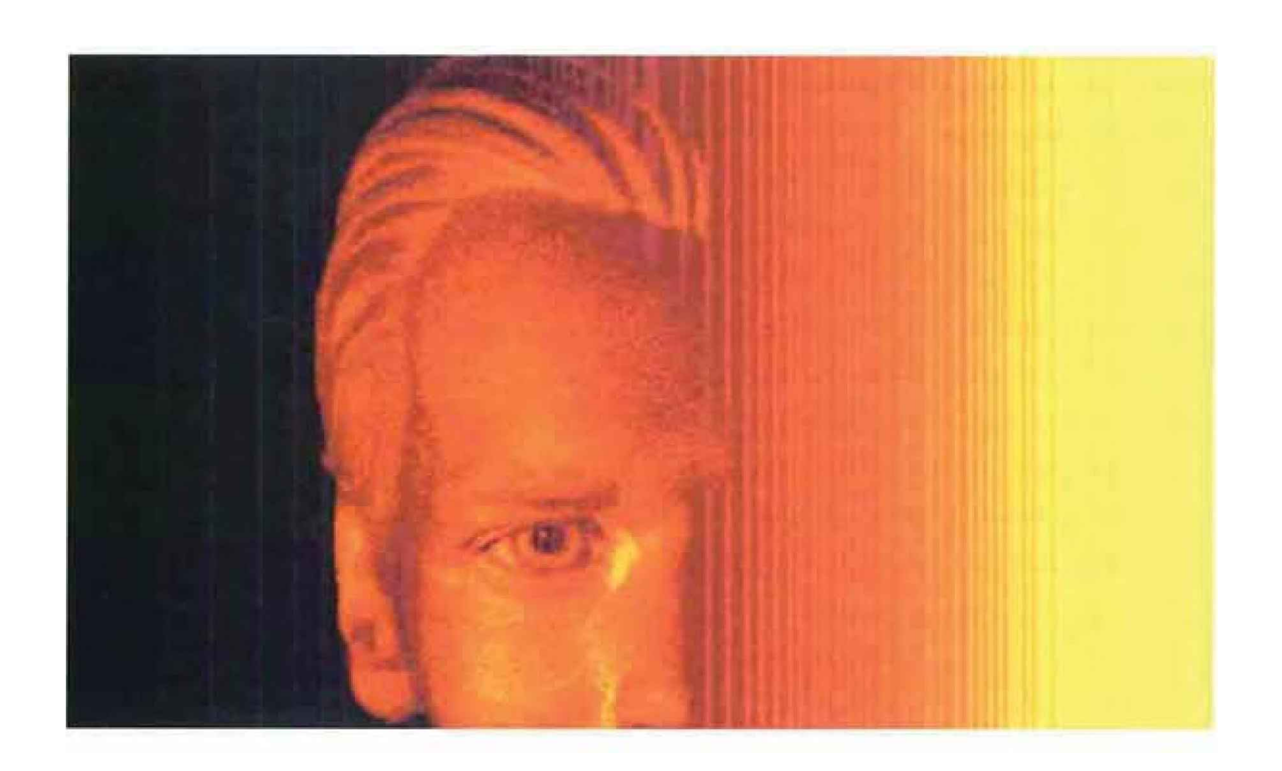
أسرع السيد ميندن في خطاه؛ ليجتاز المكان الذي ترقص فيه زوجته مع أصدقائها. فهو كثيرًا ما كان يود أن يذهب إلى فراشه بعد العشاء، ولكن كيف والأوركسترا لا تنتهي من عزف الموسيقا قبل الثالثة صباحًا. استمر السيد ميندن في مشيته متجهًا إلى المكتبة. ومع أنه هو، أو زوجته ميليسنت لم يقرأا آيًا من هذه الكتب، التي تزخر بها المكتبة، إلا أنه كان فخورًا بوجودها في بيته. أخيرًا ذهب السيد ميندن إلى حجرة صغيرة مشمسة، اعتادت زوجته أن تكتب فيها الدعاوى وتخطط للحفلات. أوراق، ورسائل، ومذكرات، تملأ سطح منضدة الكتابة الخاصة بزوجته. سلة المهملات مملوءة بأغلفة خطابات، ودعاوى الأصدقاء لموائد الغداء، والعشاء، والحفلات المسرحية. لفافة ورق صغيرة ملقاة على أرضية الغرفة لفتت انتباه السيد ميندن. انحنى لالتقاطها وكاد يلقي بها في سلة المهملات، لولا أنه لاحظ أنها تحمل توقيع السيد توماس أنترام شريكه في العمل. فتح الورقة ليقرأها.. خطاب من السيد انترام لزوجته لا يمت بصلة إلى العمل! شعر بالدوار.. فقد توازنه.. ألقى بنفسه على أقرب كرسي، أحس أول مرة بأنه في حجرة باردة غريبة عنه. أحس وكأن جدران الحجرة نفسها لا تعرفه، تسأله من أنت؟!.. من أنا..! قالها السيد ميندن بصوت مرتفع، سوف أخبرك من أنا.. أنا الرجل الذي اشترى كل قطعة أساس في هذه الحجرة، ولولا أنا، ولولا نقودي؛ لكانت هذه الحجرة خاوية.

فجأة نهض السيد ميندن من مقعده.. شعر بأنه

قد ازداد طولاً.. خرج من غرفة زوجته وهو يحدث نفسه.. هذه الغرفة تخصني.. ليست هذه الغرفة فقط ولكن كل هذا البيت ملكي. شعر بأنه أكثر قوة من ذي قبل. جلس على المنضدة وشرع يكتب خطابًا لزوجته ميليسنت. وإذا أحد الخدم يدخل الغرفة ويسأله: هل ناديتني يا سيدي؟ فأجابه بالنفي. ولكنه استدرك قائلاً: ارجو أن تحضر لي تاكسي أجرة في الحال.

ركب التاكسي وذهب إلى أحد الفنادق القريبة من البنك الذي يتعامل معه. صعد به عامل الفندق إلى غرفته.. أحس برائحة غريبة تنبعث منها وكأنها رائحة نوع رخيص من الحساء. وجد النوافذ مفتوحة، وأصوات الضجيج والضوضاء المنبعثة من الشارع تملأ الأسماع. نظر السيد ميندن إلى ساعته.. الرابعة بعد الظهر.. أخذ يفكر فيما إذا كانت ميليسنت قد عادت إلى البيت، وقرأت خطابه. بدأ يشعر بالصداع.

استلقى على فراشه.. استيقظ والظلام يملأ المكان.. نظر إلى ساعته.. الثامنة مساءً.. إنه الوقت الذي ترتدي فيه ميليسنت ثيابها استعدادًا للعشاء. هذا المساء كان موعدهم على العشاء في منزل السيدة تارجي. الآن يجب أن تذهب وحدها، أو ربما ستأخذ توماس أنترام معها. أحس السيد ميندن بالجوع، غادر الحجرة وذهب إلى غرفة الطعام بالفندق. المكان مفعم برائحة القهوة والشواء. لم يستطع أن يأكل كثيرًا، فقد شعر بتوعك، وأسرع عائدًا إلى غرفته. شعر أيضًا بحرارة جسمه، وبان ملابسه التي ارتداها طوال اليوم أصبحت غير نظيفة.



سمع نقرًا على الباب، ونهض واقفًا على قدميه. صوت ينادي من خلف الباب: السيد ميندن. إنه صوت لورانس ماسي. منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا والسيد ماسي يحظى بشعبية كبيرة لدى النساء المتزوجات. عندما كان شابًا صغيرًا ساعد على إتمام كثير من الزواجات وقد أصبح الآن بمنزلة طبيب الزواج، بعد أن كبر سنه. وزادت حنكته. بدأ السيد ميندن يشعر بارتياح عندما أحس بقدوم السيد ماسي إلى غرفته بالفندق، ومعه رجلان، أحدهما: كان السيد براون ريج عم زوجته الغني، والثاني: كان الدكتور بانافا الذي يعمل مديرًا لكنيسة سانت لوكس، حيث كان السيد ميندن وعائلته يصلون كل أحد.

نظر السيد ميندن إلى ثلاثتهم وشعر بالفخر.. لم لا. وقد حضر هؤلاء الرجال إليه أول مرة في حياته الزوجية.. شعر بأنه ليس أقل أهمية من زوجته ميليسنت.

جلس السيد لورانس ماسي على حافة السرير، وأشعل سيجارة، ثم قال: حضرت بناءً على طلب السيدة ميليسنت. وأعتقد أنها محقة في ذلك. ثم أردف قائلاً: لقد أطلعتني على خطابك وتطلب منك الصفح. ثم توقف هنيهة وقال: إنها امرأة ضعيفة.. مسكينة وقد حضرنا هنا لنسألك ماذا أنت فاعل بها، أو ما الذي تخطط له؟.

بدأ السيد ميندن يشعر بعدم الراحة ثم قال: ماذا سأفعل؟.. ماذا سأفعل؟.. حسنًا.. إنني أنوي تركها.

وهنا توقف السيد ماسي عن التدخين ثم سأله: أتنوي - حقًا - تطليقها؟ لماذا؟ فأجابه السيد ميندن: نعم.. نعم.

وهنا ركل السيد ماسي رماد سيجارته بعصبية وسأله: أتعني ذلك حقًا؟ فرد عليه السيد ميندن بصوت مرتفع:

إنني أنوي فعلاً تطليقها. وبدأ يشعر بأهميته إذ إنها المرة الأولى التي يجلس فيها مثل هذا الجمع الغفير للاستماع إليه. بدأ يقص عليهم ما حدث من زوجته بدءًا من اكتشافه ذلك الخطاب الغرامي من شريكه في العمل، وانتهاءً بحفلاتها الماجنة الباهظة التكاليف. وبعد أن انتهى السيد ميندن من حديثه اتجه الدكتور بانافا إلى شباك الحجرة المطل على الشارع.

أما ماسي فقد نهض واقفًا وقال بصوت حاد موجهًا كلامه إلى السيد ميندن:

أتريد لنفسك الخزي والعار؟!.. وإلى الآن لم يعلم أحد بما حدث.. أنت الوحيد الذي يمكنه كشف هذه الأسرار. وإذا فعلت فستجعل من نفسك أضحوكة للجميع.

حاول السيد ميندن النهوض، ولكنه لم يتمالك نفسه، وسقط ثانية على كرسيه. أما الرجال الثلاثة فقد التقطوا قبعاتهم وشرعوا في الخروج.

وهنا أدرك السيد ميندن أنها مجرد لحظة ويكون الجميع بالخارج. عندئذ سيكون قد فقد ليس فقط مستمعيه ولكن - أيضًا - قراره ثم ثقته بنفسه وهو الأهم. وهنا أومأ قائلاً: لن أرحل إلى نيويورك قبل صباح الغد. وهنا ابتسم السيد لورانس ماسي وقال: غدًا..! يكون الوقت قد فات ويكون الجميع قد علموا بأنك تقيم هنا في هذا الفندق. ثم فتح باب الحجرة فأسرع السيد براون ريج بالخروج وتبعه الدكتور بانافا، وعندما استدار السيد ماسي ليتبعهم شعر بالسيد ميندن يقبض على ذراعه وهو يقول متنهدًا: إنه.. إنه من أجل الأطفال.. ثم تبعهم في الخروج وأغلق الباب برفق!





في كتابات عن التصهين

بوش الجد: تدمير المسلمين وتوطين اليهود

مصطفى الجوزو

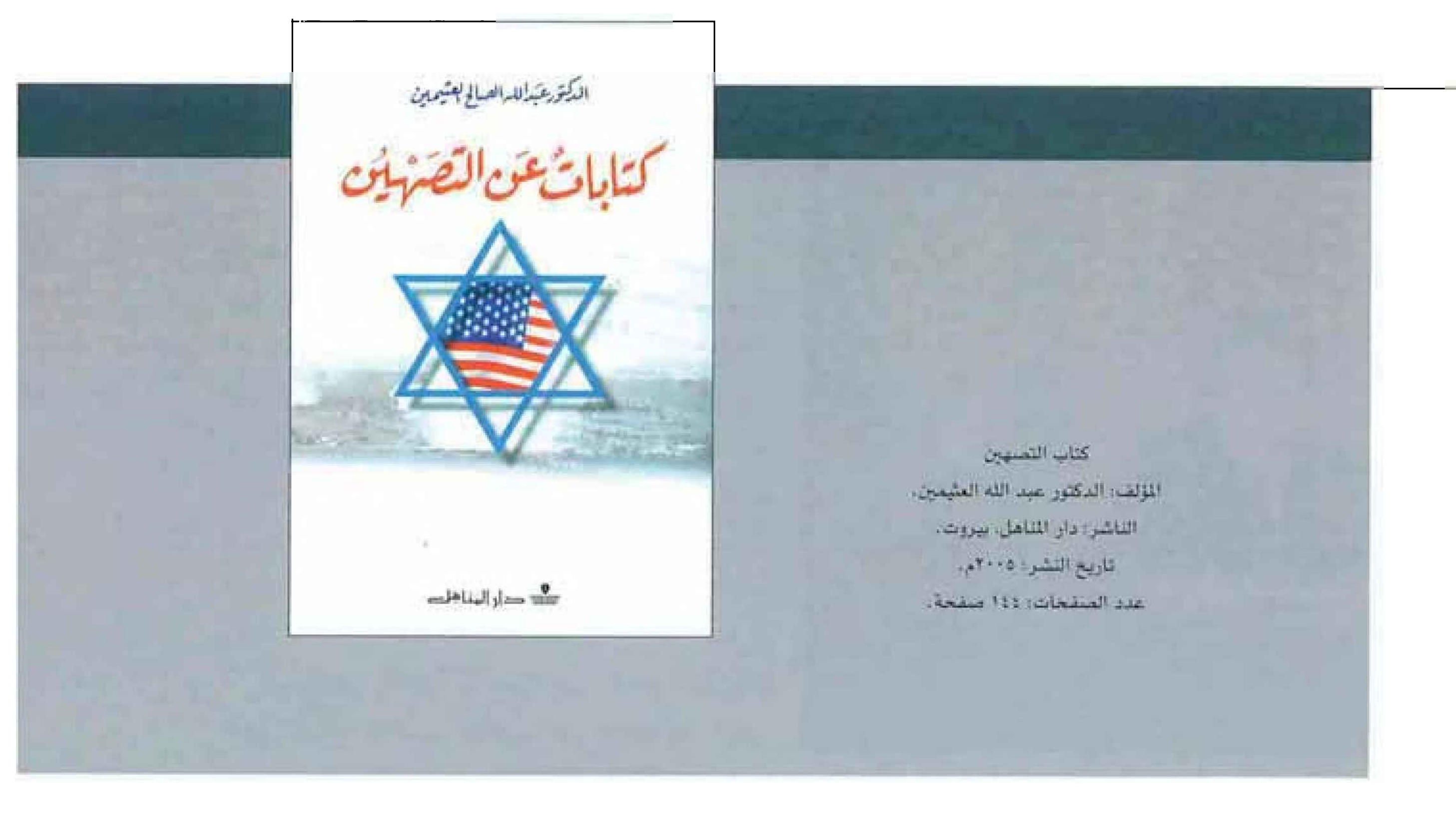
الرياض – السعودية

إنك - وأنت تقرأ هذا الكتاب للباحث السعودي الدكتور عبدالله الصالح العُثيمين - تشعر بتبدد أوهام كثيرة، إذ تكتشف أن الصهيونية ليست تلك الاثني عشر مليون يهودي المنتشرين في فلسطين المحتلة والعالم، بل هي تلك المئات من الملايين المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا، وربما غيرها، المعتنقين العقيدة البروتستانتية وأشباهها. وأن الأمة العربية، لا تواجه ذلك الجيش المجرم الخارج من رحم العصابات الإرهابية الصهيونية، بل تواجه عالمًا واسعًا مدجّجًا بالثروة والسلاح والحقد.

هو - حقًا - كتاب نفيس، على الرغم من أنه مجموعة مقالات، نشر المؤلف أكثرها في صحيفة الجزيرة السعودية، بين ١٠/٢/٢٠٠٣م و٣٠/٩/٢٠٠٤م؛ وذلك لأنه تناول موضوعًا واحدًا هو التصهين، من خلال البحث في خمسة كتب عربية وأجنبية تدور حول هذا الموضوع، وفي عدد من المقالات عالجته. فضلاً عن مراجع يستعينها المؤلف عند الضرورة، وحضور المؤلف يراوح بين العرض الصامت الذي يكاد ينعدم التداخل فيه، والتوسّع في التعقيب، وبين الاستقلال بمقالة كاملة، هذا فضلاً عن مقدمة وخاتمة.

المقدمة

فأما المقدمة فتتضمن تاريخًا موجزًا للصهيونية والتصهين، ابتداء من حركة مارتن لوثر، ومعاهدات البروتستانت في القرن السادس عشر، مرورًا باقتراح نابليون بونابرت توطين اليهود في فلسطين، وبخطة لورنس أوليفنت لتوطين يهود روسيا ورومانيا في شرق



كتاب التصهين
المؤلف: الدكتور عبد الله العثيمين.
الناشر: دار المناهل، بيروت.
تاريخ النشر: ٢٠٠٥م.
عدد الصفحات: ١٤٤ صفحة.

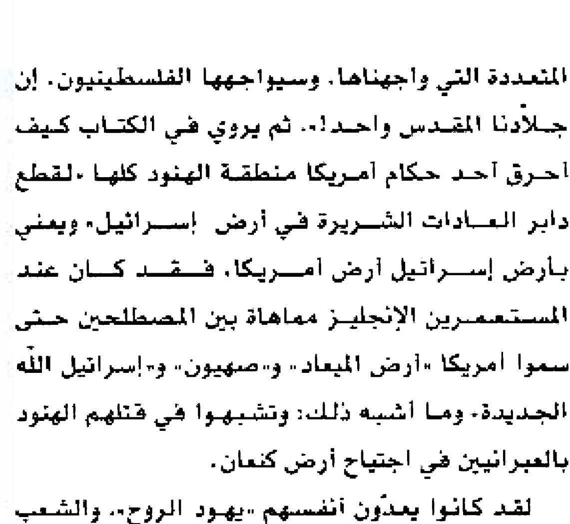
الأردن، ولحصر الفلسطينيين في منطقة محدودة، كما فعل الأمريكيون بالهنود الحمر. وبمقايضة اليهود تمويلهم بريطانيا في الحرب العالمية الأولى بدعمها لهم في وطن يهودي في فلسطين، وبكون أول دكتوراه في جامعة هارفرد عام ١٩٠٢م كانت بعنوان: العبرية هي اللغة الأم. وبانتداب بريطانيا مفوضًا يهوديًا في فلسطين، وبنشوء حركة التوطين اليهودي، والمنظمات الإرهابية الصهيونية، وانتهاء بالنكبة والتقسيم، وهي مقدمة تكاد تكون اختصارًا لما سيعالجه المؤلف في سائر الكتاب.

حق التضحية بالآخر

فأما الكتاب الأول الذي درسه المؤلف فهو: «حق التضحية بالآخر: أمريكا والإبادات الجماعية» لمنير العكش. وهو كتاب يتناول تاريخ الهنود الحمر والصهيونية غير اليهودية. وقد مهد د. العُثيمين لبحثه بقطعة من مقالة له سابقة كتاب العكش يشير فيها إلى ابتداء التاريخ الأمريكي بمذابح الهنود الحمر، التي هي «من أسوأ ما دُوّن في سجل تاريخ الإنسانية كلها» ولا يستغرب أن يحمل تاريخهم الحديث في فلسطين وجوه شبه واضحة بتلك المجازر في الناحية الفكرية والعملية.

الحرب الجرثومية

ومن أهم ما ينقله المؤلف من كتاب العكش قول الهندي الأحمر مايكل إيغل عام ١٩٩٦م: «تاريخنا مكتوب بالحبر الأبيض. إن أول ما فعله المنتصرون هو محو تاريخ المهزومين .... وما أسهل أن يسرقوا وجودهم من ضمير الأرض! وهذه واحدة من الإبادات



المتعددة التي واجهناها، وسيواجهها الفلسطينيون. إن جلادنا المقدس واحد!». ثم يروي في الكتاب كيف احرق أحد حكام أمريكا منطقة الهنود كلها «لقطع دابر العادات الشريرة في أرض إسرائيل» ويعني بأرض إسرائيل أرض أمريكا. فقد كان عند المستعمرين الإنجليز مماهاة بين المصطلحين حتى سموا أمريكا «أرض الميعاد» و«صهيون» و«إسرائيل الله الجديدة» وما أشبه ذلك؛ وتشبهوا في قتلهم الهنود بالعبرانيين في اجتياح أرض كنعان.

لقد كانوا يعدّون أنفسهم «يهود الروح»، والشعب الذي اختاره الله لقيادة العالم. من هاهنا نشأ المعنى اليهودي لأمريكا، الذي يبيح التضحية بالآخر، والذي بمقتضاه استعمل الأوربيون الحرب الجرثومية في إبادة عشرات الملايين من سكان أمريكا الأصليين، إذ استخدموا الأغطية الملوثة يهدونها إليهم، حتى فني من اولئك مئة ألف في سنة واحدة، وهذه الحرب القذرة كانت السبب في فوز البيض على الهنود، وليس الشجاعة ولا الحنكة العسكرية، ولا بدائية الهنود.

واشنطن هدّام المدن

ويروي الكتاب أن جورج واشنطن اصدر عام ١٧٧٩م أمرًا بمحو أثر الهنود عن الأرض، مشبهًا إياهم بالوحوش المفترسة، فسُمّيَ لذلك «هدّام المدن»، وجمع ثروة طائلة من الاستيلاء على أراضيهم والاتجار بها.

ولأن الهنود حيوانات، في نظر الأمريكيين الأوربيين، صار صيدهم رياضة شعبية مسلية في بعض الولايات، بحيث يمزّق جسد الطريدة، التي تصاب منهم، أو تلقى طعامًا للكلاب، ومن نجا من الهنود من المواد المشقّة، والصيد تحول إلى حقل تجارب في المختبرات البيولوجية في القرن العشرين، وقد رسخت هذه الهواية في



نكسون

الأمريكيين الأوربيين، حتى استعملوها في فيتنام، ثم في العراق حيث زوّد جنود أمريكا بكتاب أناشيد فيه إنذار«للوحش القمي» بأن يستعد للإبادة، ونشيد ينتهي بعبارة: «الله يخلق ونحن نحرق الجثث»، فضلاً عن شتائم للعرب والمسلمين، ولم يخجل قائد الحملة شوارزكوف من الاعتراف بأنه كان يريد أن تكون معركة العراق حرب فناء.

"إن الجبهة التي على الغرب أن يواجهها هي العالم العربي الإسلامي لكونه العدو الجديد له". ويبيّن المؤلف كيف أن الماسونية قد ساعدت الصهيونية، منبهًا على أن الكاثوليك كانوا معارضين لقيام دولة يهودية

جـورج واشنطن أصـدر عـام ١٧٧٩م أمـرًا بمحـو أثر الهنود عن الأرض، مشبهًا إياهم بالوحوش المفترسة، فسُمّي لذلك "هدّام المدن"، وجمع ثروة طائلة من الاستيلاء على أراضيهم والاتجار بها.

بوش الجد

ويؤرخ الكتاب لعقيدة قيام إسرائيل عند الأمريكيين، ذاكرًا أن من أوائل معتنقيها جورج بوش الجدّ، الذي زعم عام ١٨٣١م ضرورة تدمير السرّاسينز(١) (أي: المسلمين) من أجل تمجيد الربّ، وعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم، ومشيرًا كذلك إلى أواخر أولئك المعتقدين: جورج بوش الأب الذي دمرّ القوة العراقية خدمة لإسرائيل، على ما صرح به وزير خارجيته جيمس بيكر، وكلينتون الذي تأثّر بكاهنه إذ حـذّره غضب الله إن تخلى عن إسرائيل، فتعهد بأن تكون إسرائيل كما هي في العهد القديم لشعب اسرائيل إلى الأبد.

وينهي العكش كتابه بملحق يدل على أن الهنود الحمر كانوا أكثر تحضرًا من غزاتهم الإنجليز، فدستورهم هو «قانون السلام الأعظم»، ودعوة إلى الحرية والمساواة.

الصهيونية المسيحية

والكتاب الثاني الذي يعرض له د. العثيمين هو كتاب محمد السمّاك: «الصهيونية المسيحية»، وهو أقدم من كتاب العكش، لذلك سبقه إلى تناول الفكر الديني عند الأمريكيين، وكان حقه التقديم، وسنكتفي في هذه العجالة بوجوه الخلاف بين الكتابين، اختصارًا.

فمن أثر عقيدة الأمريكيين الصهيونية أن استثنى دستورهم يهود أمريكا من خطر سقوط الجنسية عنهم إذا انتخب أحدهم في دولة أخرى، أو خدم في جيش إسرائيل؛ ومن ذلك استحالة المسلمين في نظرهم إلى عدو يجب محاربته، حتى قال نيكسون: «إن معظم الأمريكيين ينظرون إلى المسلمين بوصفهم برابرة .... حالف الحظ بعضهم فأضحوا حكامًا لمناطق تحتوي على ثلث الاحتياطي العالمي المعروف من النفط»، وقال كيسنجر عام ١٩٩٠م بصراحة: «إن الجبهة التي على الغرب أن يواجهها هي العالم العربي الإسلامي لكونه العدو الجديد له»، ويبيّن المؤلف كيف أن الماسونية قد ساعدت الصهيونية، منبهًا على أن الكاثوليك كانوا معارضين لقيام دولة يهودية في فلسطين.

ولا يفوت السماك أن يعرض لكتاب مارتن لوثر



هتلر




كلينتون

عام ١٥٢٣م «عيسى ولد يهوديًا» الذي أكد فيه «أن اليهود هم أبناء الله.. ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك علينا ان نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها». ولئن ارتدّ مارتن لوثر عن ذلك، من بعد، وهاجم اليهود وأكاذيبهم، إن تلك العقيدة ظلت مسيطرة، حتى طالبت الجماعات الدينية الحكومة البريطانية بأن تعلن التوراة دستورًا لها، وعلى الرغم من رفض الكاثوليك قيام دولة إسرائيل، فإن نابليون قد أكدّ أن اليهود هم ورثة فلسطين الشرعيون؛ ولذلك يأسف السمّاك لمدح بعض الكتاب حملة نابليون على مصر.

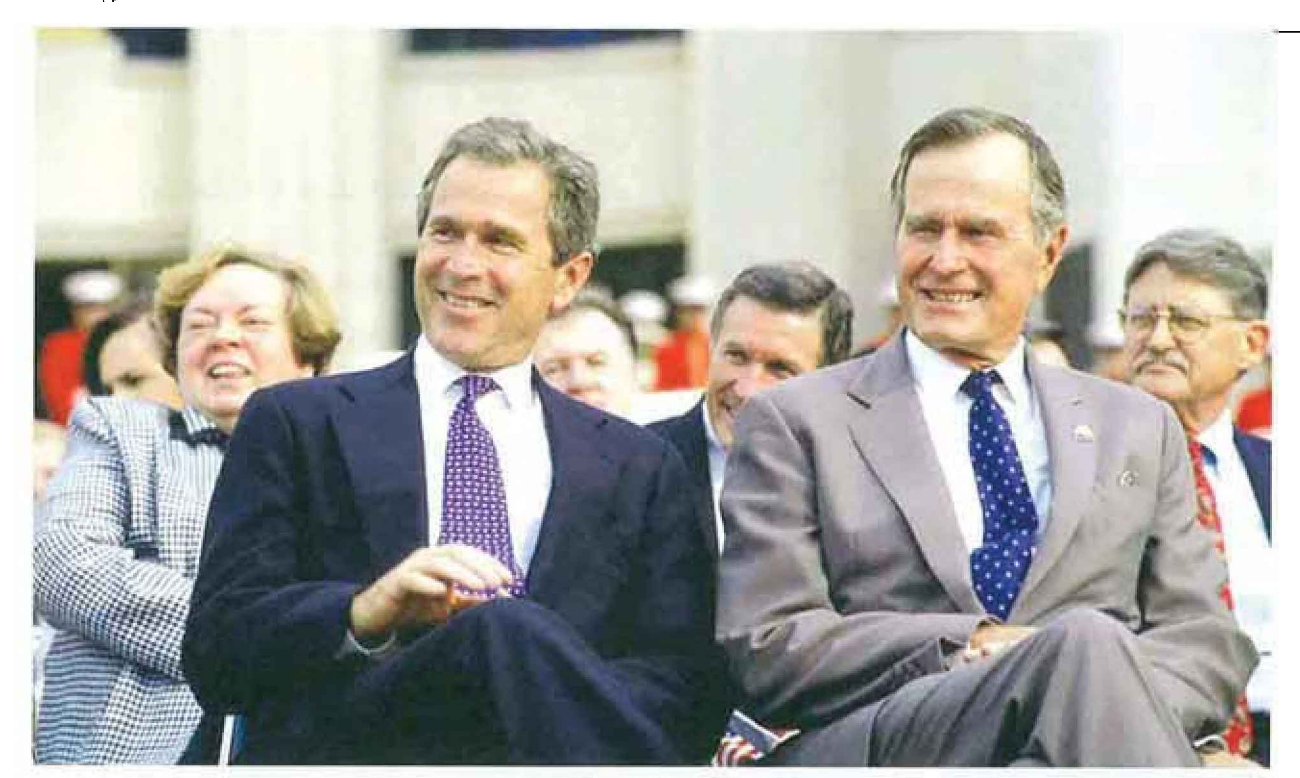
وبإزاء هذا التعظيم لليهود كان ثمة احتقار للمسلمين وحقوقهم، يتمثل في ما يتمثل، بقول بلفور: «ليس في نيتنا مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين ... ، ومن المرغوب فيه أن تكون لليهود السيادة على القوة المائية».

وبعد ذلك ينتقل السماك إلى تغلغل النفوذ الصهيوني في البلاد الإسلامية من خلال التبشير والملل الإسلامية المنحرفة، ويعدّد المؤسسات الصهيونية في امريكا، ويومئ إلى مقولة: سلامة امريكا من سلامة إسرائيل، وإلى وعد هرتزل بإحراق كل ما يعلو المقدّسات اليهودية. وينتهي الكتاب بملحق يؤكد رفض شيخ الشاذلية، في عهد السلطان عبدالحميد، قيام وطن يهودي في فلسطين، وبملحق آخر يدل على تخوّف الملك عبدالعزيز من قيام ذلك الوطن.

ويتناول د. العثيمين كتابًا آخر لمحمد السماك هو: «الدين في القرار الأمريكي»، وهو مكمل للأول، ويتحدث عن الصهيونية الأمريكية في السياسة واللاهوت، وعن معنى مصطلح الصهيوني المسيحي في القرن التاسع عشر، وعن الطاقات الإعلامية والاجتماعية الصهيونية الهائلة في الولايات المتحدة الأمريكية، وعن شهود يهوه، وقولهم بانتهاء البابوية، وتدمير الإسلام.

ويستطرد السمّاك إلى سيطرة اليهود على الثورة الشيوعية، وعلى القساوسة الإنجيليين، والرؤساء

جورج بوش دمرّ القوة العراقية خدمة لإسرائيل، على ما صرح به وزير خارجيته جيمس بيكر، وكلينتون الذي تأثر بكاهنه إذ حذّره غضب الله إن تخلى عن إسرائيل، فتعهد بأن تكون إسرائيل، كما هي في العهد القديم، لشعب إسرائيل إلى الأبد



بوش الأب والابن

الأمريكيين. وإلى قول بوش الابن: «إن الحرب على العراق مهمة إلهية». وكتابة القس جيرسون لخطابات بوش، وركوب القس فلويل في دبابة شارون وقت غزو بيروت، وسعي الإدارة الأمريكية إلى تقسيم المنطقة العربية إلى دويلات طائفية مذهبية لمصلحة إسرائيل، إلخ...

يؤرخ الكتاب لعقيدة قيام إسرائيل عند الأمريكيين، ذاكرًا أن من أوائل معتنقيها جورج بوش الجدّ، الذي زعم عام ١٨٣١م ضرورة تدمير السرّاسينز (أي: المسلمين) من أجل تمجيد الربّ، وعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم

جرائم أمريكا في الخليج

والكتاب الرابع الذي يعرض د. العُثيمين له هو: «جرائم الحرب الأمريكية في الخليج» للمحامي الأمريكي العام السابق رمزي كلارك، الذي ألّف بعد حرب «عاصفةالصحراء» على العراق هيئة تحقيق تمهيدًا لإنشاء «محكمة جرائم حرب» تحاكم إدارة بوش الأب.

وقد عرض كلارك لأهم الأعمال التي قامت بها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط: حصار حكومة مصدّق في إيران المنتخبة ديمقراطيًا، فور تأميمها شركة الزيت، وعزل مصدق لمصلحة الشاه الذي أمّن مصالح أمريكا النفطية؛ حتى إذا أمّم العراق شركة


كيسنجر

الزيت عام ١٩٧٢م سلّح الشاه وأمريكا أكراد العراق للتمرد على حكومتهم، وأجبرا العراق على تقاسم شطّ العرب مع إيران لقاء وقف المساعدة عن الأكراد. وحينئذ صنفت أمريكا العراق بين الدول المساندة للإرهاب. فلما قامت الجمهورية الإسلامية في إيران أغرتها الولايات المتحدة بغزو العراق. ثم بقدرة قادر صادقت أمريكا العراق، وأسقطت عنه تهمة الإرهاب، وحالفته على إيران، وقصفت أرصفة نفطها، لكن ما كاد العراق ينتصر، والاتحاد السوفييتي ينحلّ حتى بدلت أمريكا سياستها نحو العراق، وأوحت أنه الخطر الأكبر على المنطقة، وأن صدام حسين طاغية أسوأ من هتلر، وبدأت تخطط لغزو العراق ابتداء من عام ١٩٨٨م؛ فلما أن احتل العراق الكويت بإيحاء أمريكي، حاصرته الولايات المتحدة ماليًا، واقتصاديًا ثم هاجمته مع قوى التحالف، واستفتحت بقتل ألف وخمس مئة مدني في غارة واحدة على العامرية، ولم يتوقف الهجوم الأمريكي على الرغم من انسحاب العراق من الكويت، وقد أحبطت أمريكا كل حل عربي، بل عدت التفاوض مع العراق مكافأة له، وعلى الرغم من وقف إطلاق النار، بعد ذلك، عمد الجيش الأمريكي إلى قتل آلاف الجنود العراقيين.

ثم أشار كلارك إلى أن الحصار على العراق قضى على مئة وخمسين ألف نسمة في السنة الأولى وحدها، وإلى أن الولايات المتحدة خرقت ميثاق الأمم المتحدة، والدستور الأمريكي، واستغلت الظرف لتبيع أسلحتها لدول الشرق الأوسط، ولجأت إلى التمييز العنصري والطبقي باضطهاد عرب أمريكا، وبإرسال الجنود السود الفقراء الأمريكيين إلى الحرب.

وينفي كلارك أن يكون احتلال الكويت هو السبب في غزو أمريكا العراق؛ ذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تزل تخطط لغزوه واحتلال آبار النفط في شماله منذ عام ١٩٥٨م على الأقل، حتى توصلت إلى التخلص من عبدالكريم قاسم عام ١٩٦٣م؛ وذلك لأنه أسهم في إنشاء منظمة الأوبك، والتصدي للهيمنة الاقتصادية الغربية.

ديوك يدافع عن القيم الأوربية للأمريكيين، ويرى أن انتقاد اليهود يعرّض لتهمة اللاسامية، التي صارت اليوم تعد جريمة أخلاقية، وأن الإعلام الغربي يسوّق للمحرقة ناقلاً إياها من حدث ثانوي، إبان الحرب العالمية


جورج واشنطون

ويطالب كلارك بمحاسبة الولايات المتحدة على جرائم حربها، وذلك ليشهد العالم عدالة وسلامًا، عادًا أن التهديد الأعظم للمستقبل يتمثل في التأييد الشعبي الأمريكي لتلك الجرائم بتحريض من الإعلام.

الهندي الأحمر مايكل إيغل: "تاريخنا مكتوب بالحبر الأبيض. إن أول ما فعله المنتصرون هو محو تاريخ المهزومين، وما أسهل أن يسرقوا وجودهم من ضمير الأرض! وهذه واحدة من الإبادات المتعددة التي واجهناها، وسيواجهها الفلسطينيون

الفهم العرقيّ

والكتاب الخامس الذي يعرض له د. العُثيمين هو كتاب «صحوتي: طريق إلى فهم عرقي» لعضو الكونغرس الأمريكي ديوك، المترجم بعنوان: «صحوتي: النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية». وقد أشار مترجم الكتاب إبراهيم الشهابي، ومعه د. العثيمين، إلى تحريف الولايات المتحدة لمدلولات القيم الإنسانية إذ عدت الاحتلال حقًا، والدفاع عن النفس إرهابًا، وما أشبه ذلك.

ومما يوضحه د. العُثيمين أن ديوك يدافع عن القيم الأوربية للأمريكيين، ويرى أن انتقاد اليهود يعرّض لتهمة اللاسامية، التي صارت اليوم تعد جريمة أخلاقية، وأن الإعلام الغربي يسوّق للمحرقة ناقلاً إياها من حدث ثانوي، إبان الحرب العالمية الثانية، إلى موقع صارت معه الحرب نفسها مجرد ملاحظة هامشية له، ويشيع أن اليهود هم ضحايا الاضطهاد، ولا سيما الإرهاب العربي. ويكرر ديوك مقولة: إن اليهود أنشؤوا الشيوعية بين الحربين العالميتين، حتى إن الحزب الشيوعي عدّ التعابير اللاسامية جريمة مضادة للثورة يعاقب عليها بالموت، وهو يبين أسباب كراهية العالم لليهود، وهي عرقية العهد القديم، واحتقار اليهود سائر البشر، واستغلالهم الناس اقتصاديًا، وارتكابهم المذابح، وحرقهم مئات النسخ من الإنجيل في احتفال أقاموه في القدس عام ١٩٨٠م، علمًا أن الأغلبية العظمى منهم قدموا من غرب آسيا فهم ليسوا من بني إسرائيل.

مقالات شتى

ويعالج د. العثيمين مقالات ثلاثًا في الحرب على العراق لباتريك سيل، وسعد محيو، وليلى حسن، فيها



برنارد لويس

يحاك من مؤامرات على الأمة العربية والإسلامية. وقد بيّن سيل أن المجموعة الصهيونية في الإدارة الأمريكية خططت لتغيير نظام صدام وصولاً إلى تقويض النظام السوري، وترويض السعودية من بعد، وتحقيق مطامع إسرائيل، «وهكذا فبركت معلومات كاذبة استخدم في وضعها من استخدم من الذين تعمدوا خيانة وطنهم من العراقيين أمثال أحمد الجلبي».

ويلفتنا أيضاً توكيد ليلى حسن تلك الفكرة، أي لجوء واشنطن، بصورة مثيرة للسخرية، إلى اختراع الأدلة لغزو العراق، وعزمها على إعادة رسم خريطة المنطقة لمصلحة إسرائيل، وكذلك إشارة سعد محيو إلى اقتناع المحللين الأمريكيين بافتقار العالم إلى «الإمبراطورية الأمريكية».

وللدكتور العثيمين نفسه مقالتان في الكتاب، عنوان الأولى: قراءة في مقالات عن العراق، وعنوان الثانية: المرشد العام لجماعة المتصهينين. وقد حمل في الأولى على عملاء أمريكا في العراق، وعلى موقفهم من المقاومة الوطنية فيه، وعرض لرأي سيل في ان الاجتياح الأمريكي للعراق كان بضغط إسرائيلي، بسبب خطر صدام على إسرائيل، مستشهداً على ذلك بكلام لوزير خارجية

تأييد لمضمون ما تناوله من كتب. ويلفتنا في مقالة سيل استعماله مصطلح «المؤامرة» عنواناً فرعياً، ومعروف أن المستمركين والمتصهينين من العرب، واشباههم من المتحذلقين، يهزؤون باستمرار ممن يستعمل هذا المصطلح، ويوحون أنه عقدة عربية، ومشجب نعلق عليه أخطاءنا، وهم إنما يتهربون من الحقيقة ومن اتهام الولايات المتحدة وإسرائيل، بما

إن قيمة كتاب د. العثيمين لا تقتصر على التلخيص المفيد جداً لما ورد في الكتب والمقالات التي عالجها، بل تتجاوز ذلك إلى التعقيبات التي أدرجها خلال مناقشاته، وفي المقالات الخاصة به، التي تبدو إحداها منشورة أول مرة، فضلاً عما احتوته مقدمته وخاتمته من آراء شخصية

ما كاد العراق ينتصر، والاتحاد السوفييتي ينحلّ حتى بدلت أمريكا سياستها نحو العراق، وأوحت أنه الخطر الأكبر على المنطقة، وأن صدام حسين طاغية أسوأ من هتلر، وبدأت تخطط لغزو العراق ابتداء من عام ١٩٨٨م

الولايات المتحدة الأمريكية جيمس بيكر في هذا المعنى، ولمصلحة إسرائيل، وفق رئيس أركان الجيش الأمريكي.

كما يعرض د. العثيمين لمقالة لمحمد الباروت، وأخرى لجوناثان رندل، تؤكدان العلاقة بين القيادة

جيمس بيكر



الكردية وجهاز الموساد ذي الحضور القوي في كردستان العراق، وتزويد إسرائيل الأكراد بالسلاح، وتدريبهم على أرضها. ويتخذ د. العثيمين ذلك مدخلاً إلى نقد مقالة د. محمد الرميحي «العراق معركة العرب الليبراليين». إذ يرى د. الرميحي أن البيت الكردي (يعني العنصر الكردي) أهم بيوت العراق: فيأخذ عليه د. العثيمين استعمال مصطلح «تحرير العراق» بدل احتلاله، وهو مصطلح لايزال د. العثيمين يسخر في كتاباته من مستعمليه، ومن ذلك مقالة نشرها في كتابه الصادر هذا العام - أيضاً - عن «دار الراني» في دمشق بعنوان «مقالات عن الهم العربي» يألم فيها لتبنّي بعض الكتّاب العرب مواقف المعتدين على العراق، ولا سيما تسميتهم العدوان تحريراً. مع أن بريطانيا وأمريكا أنفسهما تقدمتا في ٢٠٠٣/٥/٣م بمشروع قرار إلى مجلس الأمن يصفان فيه وجودهما في العراق بالاحتلال كما يأخذ على د. الرميحي أنه اضطرب في تقسيم العراق فاعتمد مرة المقياس العنصري، ومرة المقياس الديني. ويعزو د. العثيمين تقدم الأكراد على سائر العراقيين في التنظيم والأمن، ليس إلى مزايا خاصة فيهم، بل إلى تعاونهم مع إسرائيل وتحالفهم مع امريكا، وكونهم بذلك مخلب قط لمهاجمة المقاومة في الفلوجة.

ويعرّج د. العثيمين من ذلك إلى الموضوع الإيراني، فيذكر إقرار إيران بتعاونها مع الولايات المتحدة على أفغانستان، وامتناعها من معارضة احتلال العراق، ودخول ميليشياها العراق بعد ذلك الاحتلال، ومهادنة مرجعياتها له.

ثم يعود د. العُثيمين إلى د. الرميحي، فيأخذ عليه نسبة الخصال السيئة إلى سنة العراق، وزعمه أنهم أعانوا الزرقاوي ولاذوا بالعمائم، وشككوا في كون

الشيعة العراقيين أكثرية. فيرد عليه بأن للسنة مساهمة مهمة في نهضة العراق، وأنهم تحملوا الاضطهاد كغيرهم، مؤكدًا أن مقاومة المحتل حق مشروع، لافتًا إلى امتناع د. الرميحي من التعرض لجرائم المحتل.

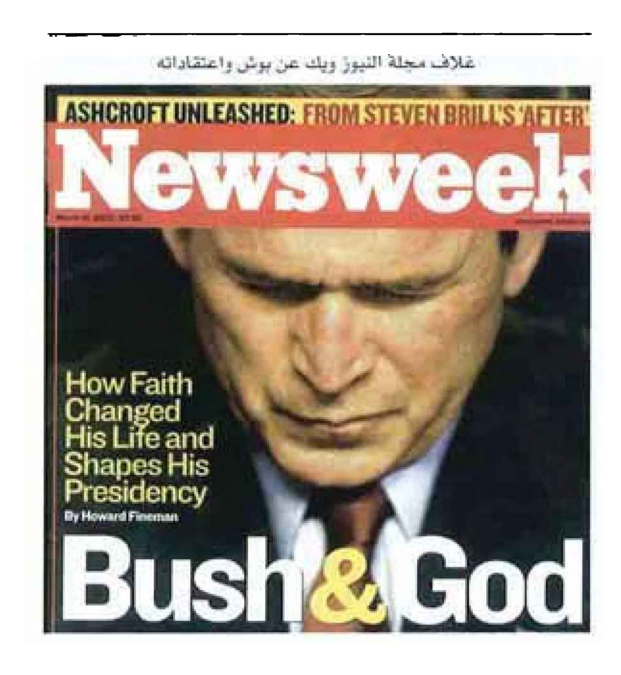
وفي المقالة الثانية يتكلم د. العثيمين على المستشرق الإنجليزي اليهودي المتحامل على العرب والمسلمين: برنارد لويس، والمنحاز بطبيعة الأمور إلى الصهيونية، حتى غدا رأس المحافظين الجدد الذين يصفهم د. العثيمين بالمتصهينين. وحققت كتبه في امريكا أعلى المبيعات، ومثلت أيديولوجيا الإدارة الأمريكية، وأساس فكر بوش الابن، وسائر المحافظين الجدد. وقد كان للويس أثر مهم في الحض على العدوان الأمريكي على العراق، إذ زيّن لبوش ضرورة تغيير الأنظمة العربية، ودافع عن ازدواجية المعايير الأمريكية، نافيًا وجوب العدل في إقليم محفوف بالمخاطر، ومهدد للمصالح الأمريكية، رائيًا استحالة قيام السلام من غير هزيمة حكام المنطقة واستبدال غيرهم بهم، معللاً كره العرب والمسلمين لأمريكا بحقدهم المزعوم على الحضارة الغربية، وحسدهم لتقدمها وحريتها ونمط حياتها عامة، وكذلك بخشيتهم تغلل قيمها في مجتمعاتهم.

التعقيبات والآراء الخاصة

إن قيمة كتاب د. العثيمين لا تقتصر على التلخيص المفيد جدًا لما ورد في الكتب والمقالات التي عالجها، بل تتجاوز ذلك إلى التعقيبات التي أدرجها خلال مناقشاته، وفي المقالات الخاصة به، التي تبدو إحداها منشورة أول مرة، فضلاً عما احتوته مقدمته وخاتمته من آراء شخصية.

ويبدو د. العثيمين في هذا الكتاب عربيًا مسلمًا مدافعًا عن عروبته وإسلامه ومصير أمته، لم تجرفه موجة الاستمراك، ولم يسقط ضحية الإرْهاب الأمريكي والصهيوني، ولم يسلبه الضجيج الإعلامي وعيه، بل قال بجرأة ما يعتقده، مستندًا إلى الشواهد، لاجئًا - أحيانًا - إلى الإيحاء، وأحيانًا أخرى الى التصريح. ومما أوجه تلك المفارقة بين الصورة المشرقة لجورج واشنطن الملقب بأبي الجمهورية الأمريكية والصورة القاتمة التي تجعل منه قاتلاً عنصريًا للهنود، ومتاجرًا بأراضيهم سمسارًا. وهو يتهكم بنعت بوش الابن لشارون، سفاح صبرا وشاتيلا، برجل السلام، معللاً ذلك بعقيدة بوش الصهيونية، التي ورثها أبًا عن جد. كما أنه يضحك من البلية التي ستجعل بعض العرب يساعدون الغرب على تحقيق أهداف حربه على الأمة العربية

غلاف مجلة النيوز ويك عن بوش واعتقاداته





الهنود الحمر ومأساة لا تنسى

والإسلامية (وهي: إلغاء الهوية، وسلب القوة، والثروة، والتراث، وتفتيتُ الأمة على أساس عرقيّ طائفي، وهدم الحضارة، وقتل العلماء، والاستعباد، والاستغلال، وإن قال د. العثيمين بعض ذلك إلماحًا)، ويسخر من محاربة أمريكا الحكومات الديمقراطية، ومن دعوة بعض العرب كلينتون، بعد انتهاء ولايته، إلى مؤتمر ألقى فيه محاضرة دفعوا له بها أجرًا ضخمًا، ودفع كلينتون أكثر ذلك الأجر، بعد ذلك، للمؤسسات الصهيونية في فلسطين المحتلة؛ ثم دعوة ثانية ليعلّمهم ما لا يعلمون عن مجتمعهم!

ويشعر د. العثيمين بغصة لازدياد رسوخ المصالح الأمريكية في المنطقة العربية، ولا سيما الخليج، وإشادة بعض رجالات السياسة العرب بما ارتكبته أمريكا في العراق، وحثّهم لها على تجاهل ما يقوله منتقدوها، على الرغم من معاداتها لقضايا العرب.

ويندد بأولئك المنضوين تحت لواء المحتل، وتماديهم في بيع أنفسهم له، وارتداء بعضهم لبوسًا دينيًا جعلوه أداة لخذلان المقاومين الاحتلال، وإقامة علاقات مع الكيان الصهيوني من دون خجل.

على أن دفاع د. العثيمين عن القضية العربية والإسلامية، من خلال الكتابات التي تناولت التصهين، لم يبعثه على مجافاة الموضوعية، والحس الإنساني، بل إنه حافظ على المثل العربية الإسلامية العليا، فرفض مثلاً: منطق ديفيد ديوك العنصري، مع أن كتاب هذا الرجل يفضح المغالطات الأمريكية، والنزعة الصهيونية عند الأمريكيين، ويشير إلى سبب كراهية العالم لليهود.

ولم يكتف د. العثيمين باستعمال نثره، بل لجأ - أحيانًا - إلى الشعر للتنديد بالولايات المتحدة وحلفائها، والتهكم بالأمم المتحدة، وغير ذلك؛ وهو أسلوب طريف لم نعتده في الكتابات السياسية؛ لكأن فيه ما سمّاه النحاة «ملح الأصل»، بمعنى أنه تذكير بكون د. العثيمين شاعرًا قبل أن يكون كاتبًا سياسيًا، وبالتأكيد قبل أن يكون دكتورًا وباحثًا. ولذلك نشعر - أحيانًا - ببعض الخيال في أسلوبه، وبميل إلى التلميح، وبلباقة شديدة في نقد أفكار الآخرين، ولا سيما أصدقائه من المفكرين، وبالأخص من يخالفهم الرأي والسياسة.

الهوامش والمراجع

١. كتابات عن التصهين الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، دار المنهل، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢. أي: مسلمي إسبانيا وأفريقية في مصطلح المسيحيين الغربيين في القرون الوسطى: والكلمة، كما يزعم بعض المعجمات، من أصل يوناني، أو لاتيني مأخوذ من الكلمة العربية، شرقيين، وقد ارتبطت - غالبًا - بصفة القرصنة، فهي ازدرائية.



الشاعر حسن فتح الباب: ولدت في حارة عارية القدمين

إنشراح سعدي

الجزائر العاصمة ـ الجزائر

تحدث الشاعر حسن فتح الباب في حوارنا معه عن رؤيته للمدينة والقرية، على ضوء تنقلاته لأداء مهامه بوصفه ضابط شرطة، ووقف على التناقض الذي كان يعيشه بممارسته مهمتين تقفان على طرفي نقيض.

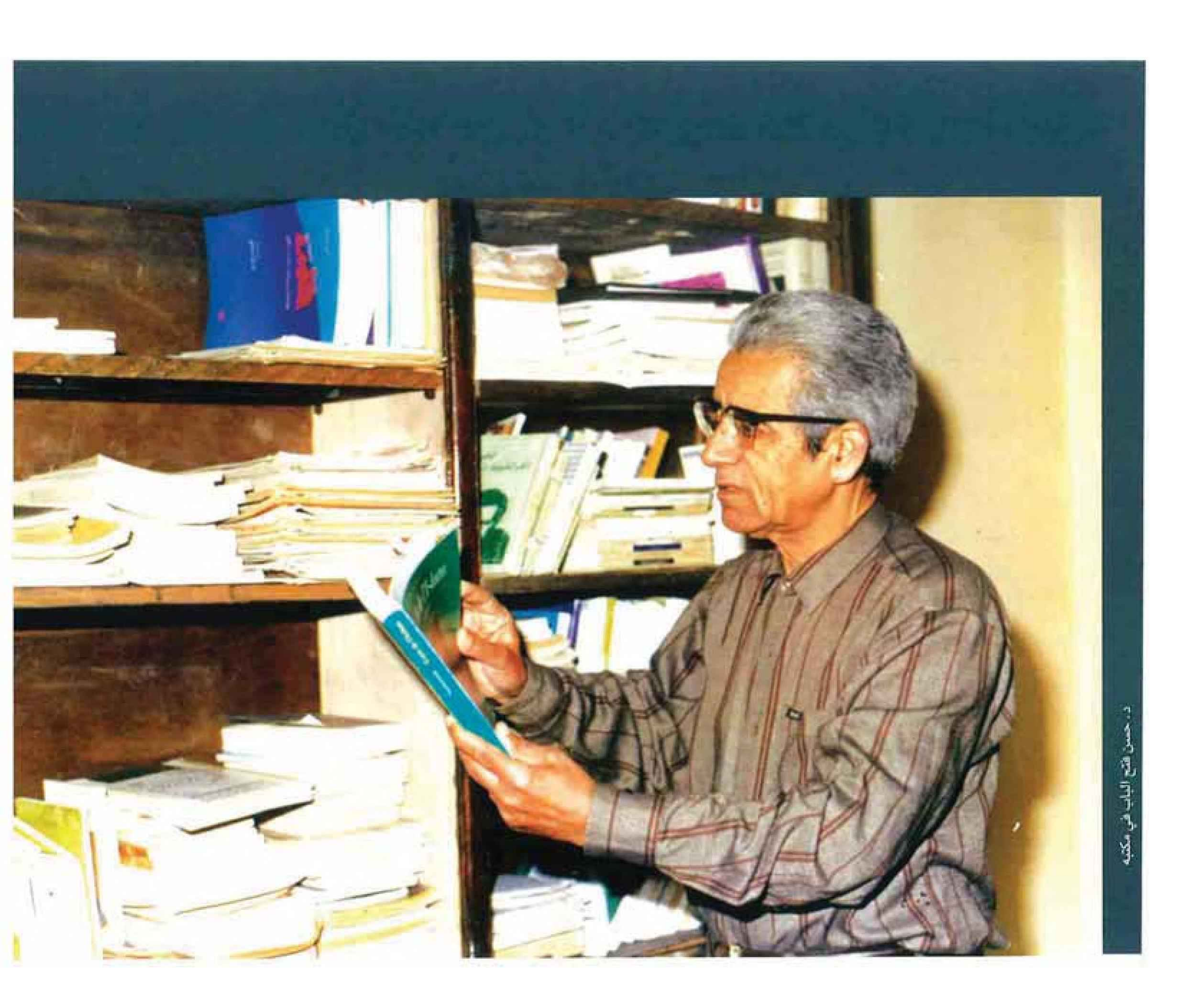
وقال: «إنه يتوجب علينا فتح النوافذ على الآخر، ومراعاة هويتنا الإسلامية التي تكفل لنا التميز والبقاء». وعن تكفير الإبداع قال: «إنه على المبدع ألا يخرج عن تقاليد قومه، وإلا يكون في ابداعه شبهة إلحاد». وتحدث عن انعكاسات الوضع الحالي في القاهرة على الإبداع والمبدعين، وموضوعات ثقافية أخرى.

❖ كيف انتقلت من ضابط شرطة إلى شاعر معروف في كل الوطن العربي؟

- أظن أنني ولدت شاعراً، ولم أولد ضابط شرطة، وربما ينطبق علي قول القائل:

ولد الشاعر العظيم ملاكا
طبع الوحي قبلة فوق ثغره
فتغنى ما شاء أن يتغنى
بخلود قد طل عن مستقره
فإذا شذوه وليد أساه
وإذا حلوه عصارة مُره

وهذه العصارة هي التناقض الذي عشته بين الوظيفة.



د. حسن فتح الباب في مكتبه

أو المهنة كضابط شرطة، وبين الهوية، أو الشخصية كشاعر: لأن الضابط غير محبوب - غالبا - من الجماهير: لما يتسم به من شدة وصرامة وشهامة في تنفيذ القانون. فالجمهور يرى أن رجل الشرطة رمز للحد من حريته. مع أنه يقوم بوظيفة اجتماعية مرموقة. مثل الطبيب الذي يعالج المرضى. مثل المهندس الذي يقوّم الأبنية. والمعلم الذي يفتح عقول النشء على العلم والمعرفة. وأيضًا رجل الشرطة يقوم بوظيفة اجتماعية. ولكنها تختلف عن الوظائف الأخرى. ولكنني أزعم أنني استطعت ان أحرز بعض التوفيق بين مهنتي وهويتي: وذلك أنني كنت أحمل رسالتين: الرسالة الأولى وأنا ضابط شرطة. وهي الدفاع عن أموال الناس. وحياتهم. وحرياتهم. وأقوم بالرسالة الاجتماعية نفسها في شعري. حينما أستلهمه من الشعب. ومن الطبيعة. ومن القيم العليا. فمثلاً: الدوريات التي كنت أقوم بها: أي: الواجبات العسكرية. حينما كنت أمتطي صهوة جوادي على يميني جندي. وعلى يساري جندي آخر. ونقوم نهارًا وليلاً بالحراسة. حراسة الناس. والحفاظ على مقدساتهم. استوحيت من هذه الدوريات بعض قصائدي. ولكن المشكلة

أن بعض رؤسائي قالوا عني: إني أسرف في الدفاع عن الفلاحين، والطبقات المسحوقة، ولم أستطع أن أتجنب هذه النغمة في معزوفتي الشعرية: لأنني ولدت في حي شعبي، في حي فقير في القاهرة، حارة تسمى حارة المجدلي، حارة يصح أن أصفها أنها عارية القدمين، كان فيها البائع المتجول البسيط، والموظف البسيط، وبائع الألبان، فكان من الطبيعي أن أتجاوب مع هؤلاء الناس، وأن أدافع عن النماذج التي تكدح، وتعاني في سبيل الحياة.

❖ الحارة، المدينة في القصيدة عند الشاعر حسن فتح الباب هل تتنامى لتكوّن صورة للوطن المفتوح، أو الوطن المغلق؟

- الوطن المفتوح، لكن رؤيتي عن المدينة والقرية تختلف عن رؤية كثير من الشعراء: لأن معظم الشعراء حينما يهاجرون من الريف إلى القاهرة يشعرون بنوع من الاغتراب: لأنهم يتركون الطبيعة السمحة - حيث الناس متعاونون بعضهم مع بعض - إلى زحام المدينة، والتكالب في سبيل العيش، أيضًا أنا تحدثت، لكني أضفت معنى آخر هو أن الكادح في المدينة هو نفسه الكادح في القرية: فمثلاً: أنا عملت في قرى يعمل فيها الفلاحون في عصر الإقطاع قبل ثورة ٢٣ يوليو، وأمثالهم في المدينة ماسح الأحذية، والرجل الخادم البسيط، مثلاً: كتبت عن عازف القيثارة، الذي يعزف مقابل بعض الدريهمات من الناس، نموذج في الريف، رجل يعمل في الصيد، ولكن لا يملك أدوات الصيد فيغطس في الماء كي يلتقي سمكة يطعم بها أبناءه، وأيضًا تحدثت عن رغبة الريفيين في الهجرة إلى القاهرة، إذ يرون فيها متسعًا من العيش، وفرص عمل كثيرة، فهم يحنون إليها، ويرونها كأنها مدينة ألف ليلة وليلة، كلها مباهج على خلاف في ذلك مع القرى التي ولدوا فيها، وعاشوا، إذًا المدينة في نظري قرية، والقرية في نظري مدينة، إذًا هما تختلطان وتمتزجان، هناك لحمة بينهما، والإنسان هو الإنسان، الذي يسعد في القرية يسعد في المدينة، والذي يشقى في المدينة يشقى في القرية: لأن «الناس سواسية كأسنان المشط»، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»، فأنا يعدني النقاد من شعراء المقاومة، لا أقول المقاومة ضد الاستعمار فقط، سواء الاستعمار القديم مثل الاستعمار الفرنسي هنا في الجزائر، أو الاستعمار الأنجلو أمريكي، أو البريطاني في مصر، ولكن الاستعمار الحديث المتمثل في أبشع الاستعمار الاستيطاني وهو استعمار الصهيونية لفلسطين، وأيضًا الوجه القبيح للعولمة، فلها وجهان: وجه الاتصالات، فالعالم أصبح كأنه قرية صغيرة، هذا الجانب مضيء، ولكن هناك جانب قبيح يتمثل في محاولة تشيّيء الناس، أي تحويلهم إلى أشياء، وفرض القيم والأنماط السلوكية الأمريكية على البشر حسب شخصياتهم ومعتقداتهم.

❖ أعود لشعر المقاومة، لماذا تكسرت أقلام شعراء المقاومة، ولم تعد القصيدة تخاطب الوجدان الثائر؟

- طبعًا، كما تعلمين الأمة العربية الآن في مأزق أو في مخاض، خصوصًا بعد احتلال العراق، وبعد استمرار الغزو الصهيوني البشع للأرض الفلسطينية، نحن كنا نغني

إذا كنا في السياسة ننادي بالانفتاح على الآخرين، والحوار مع الآخرين، ونشجب صموئيل هنتجتون الذي دعا إلى العداء مع الحضارات، واتخذ من الإسلام عدوًا له بعد النازية، نحن ضد هذا الفكر، نحن ننادي بالحوار مع الآخر: وجادلهم بالتي هي أحسن

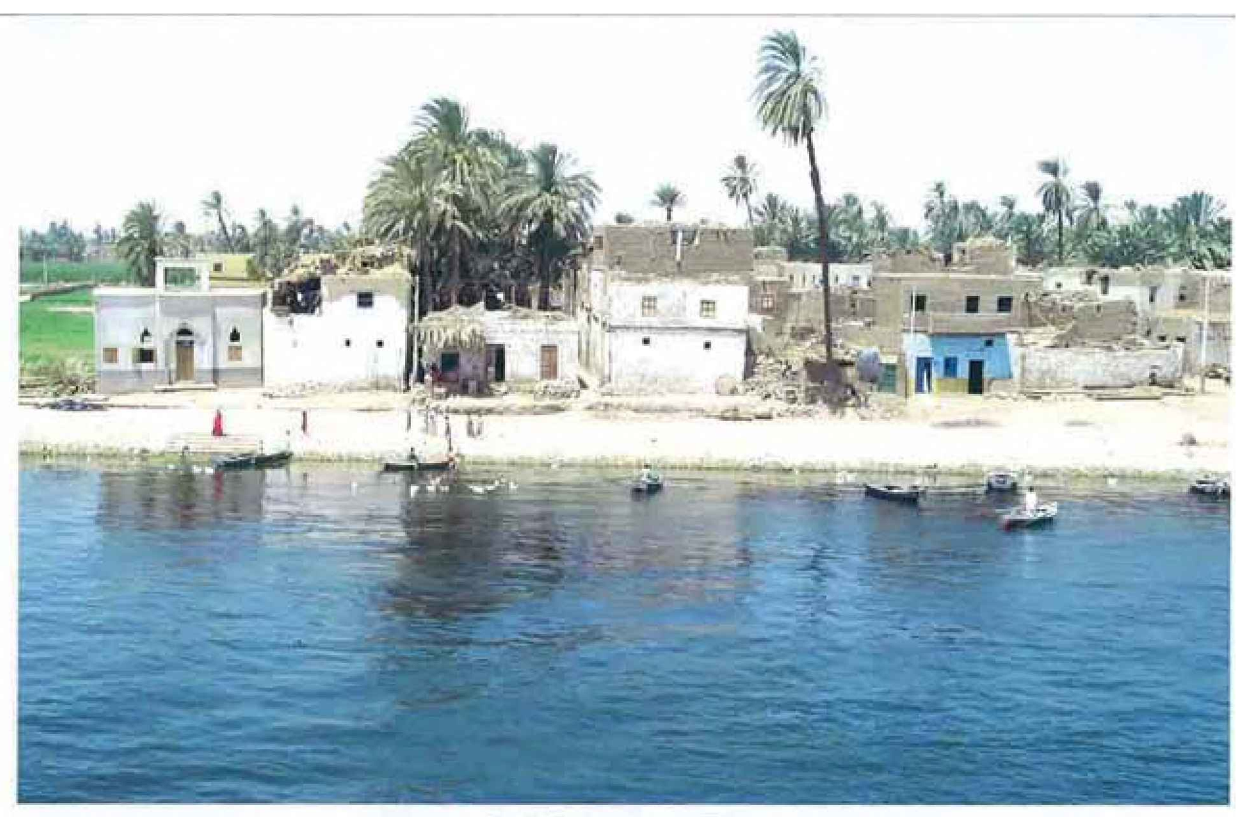
للثورات، مثل: ثورة التحرير الجزائرية منذ أن انطلقت شرارتها الأولى في أول نوفمبر عام ١٩٥٤م. حتى ٥ يوليو عام ١٩٦٢م، كانت هناك ثورة عظيمة، ثورة المليون ونصف المليون شهيد ضد الاستعمار الاستيطاني، وتغنينا أيضًا بثورة ٢٣ يوليو، وبالثورات الأخرى، وكان هناك ثورة في العراق عام ١٩٥٨م، في كل العالم الثالث غنينا، كانت هناك حركة عدم الانحياز التي لم تلجأ لا إلى الاتحاد السوفيتي، ولا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها تريد ان تحافظ على شخصيتها، وتستفيد من مدة الحرب الباردة بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي، فوقف عبدالناصر ومعه طبعًا زعماء العالم الثالث مثل: نهرو، ونكروما، وسيكتوري ينادون بما يسمى بالحياد الإيجابي، وأنا كنت أدرّس هذا



صموئيل هنتجتون

الموضوع لطلبة القانون في جامعة وهران، وكنت أود أن أطلعهم على حركات التحرير، التي واكبت نظرية الحياد الإيجابي، وما زلنا بحاجة إلى هذه النظرية، فنحن نود أن نحافظ على الشخصية العربية الإسلامية، ولا نود أن نلغي هويتنا، وفي الوقت نفسه نود أن ننفتح، ولا نعادي الآخر إلا إذا عادانا، نحن نريد أن نأخذ من الغرب الفنون والآداب والعلوم الحديثة بعد أن وصل الإنسان إلى القمر وغزا

الكادح في المدينة هو نفسه الكادح في القرية، مثلاً: كتبت عن عازف القيثارة، الذي يعزف مقابل بعض الدريهمات من الناس، نموذج في الريف، رجل يعمل في الصيد، ولكن لا يملك أدوات الصيد فيغطس في الماء كي يلقى سمكة يطعم بها أبناءه



المعاناة موجودة في القرية والمدينة

الفضاء، ويريد أن يصل إلى الكوكب الأحمر (المريخ)، إذًا علينا أن نأخذ بهذه المخترعات الحديثة، كما كان منْ قبلنا في عصر ازدهار الحضارة العربية، في عصر العباسيين، وينطبق هنا ما قاله المحرر الفيلسوف غاندي: «نحن نفتح النوافذ على تيارات الهواء الطلق، ولكننا نغلقها إذا هبت عاصفة». نحن نستفيد من العلوم والآداب الحديثة، ولا نأخذ إلا ما يتفق مع قيمنا.

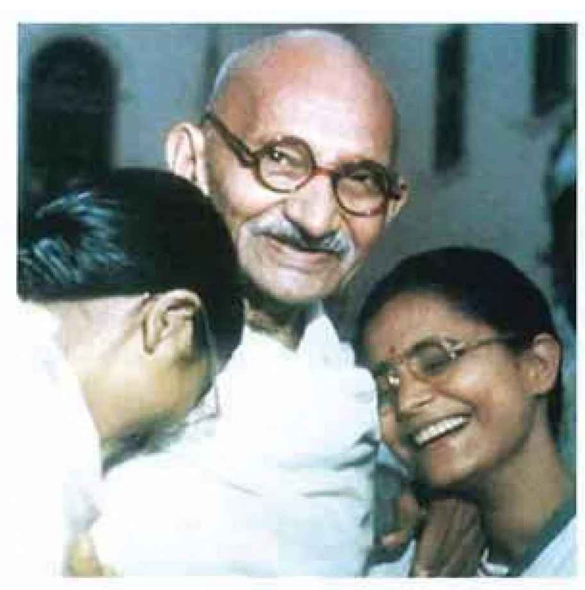
❖ برز كثير من الكاتبات في الوطن العربي، ولكن كثيرًا ما تنسب أعمالهن الروائية والأدبية عامة إلى رجل يقف وراء ستار لا يخفي وجهه، هل وجود روائية عربية، وكاتبة مميزة معجزة صعبة التحقق إلا بأنامل آدم؟

ـ أولاً أنا أؤمن، وأعتنق مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، وأن الإسلام كرم المرأة خير تكريم، فمنع وأد البنات، وجعل المرأة تستقل بملكية أموالها، وكانت المرأة في الإسلام تقوم بالفتوى، مثل: عائشة رضي الله عنها، كانت تلقي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام وتفسره أحيانًا، السيدة

الإنسان لا يعيش للضرورة يقضي حاجاته وملذاته، وإنما يحتاج إلى الجانب الروحي الذي يصور هذا الجانب هو الشعر، كما يقول الكاتب الفرنسي: الشعر ضرورة، وإن كنت لا أعرف لماذا، ما من سبب معروف سوى أنه يرقى بالغريزة الإنسانية

سكينة كان لها مجلس أداب، وكانت تعرف الشعر بالمرأة، تكافؤ مع الرجل في الإمكانات، ولا يفرق بينها إلا مسائل تتعلق بالحمل والولادة والمسؤوليات، هي كأنها، الشمس، فإذا قيل: إن وراء كل رجل عظيم امرأة أقول: إن إلى جانب كل رجل عظيم امرأة، وإذا جاز لنا أن نستشهد بالغربيين فإن القائد نابليون يقول: «المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز

الاستعمار الانجليزي، استشهدت فتيات كثيرات، هنا في الجزائر، حسيبة بنت بو علي، جميلة بوحريد التي قامت بعمليات فدائية كثيرة تحدثنا عنها في كتاب ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، والمرأة الآن تبدع، مثل: أحلام مستغانمي، هناك سعوديات، وكويتيات، وبحرينيات، وفي اليمن أيضًا المرأة بدأت تبزغ شمسها،



المهاتما غاندي



الرئيسان نهرو وعبد الناصر

العالم بيسارها»، وهكذا فإن المرأة لظروف تاريخية في العصر العثماني والمماليك اختفت، وتوارت بعيدًا، فحرمت من التعليم والثقافة، ولم تستطع بطبيعة الحال أن تبدع، ولكن منذ القرن التاسع عشر بدأت حركات تحرير المرأة، عندنا مثلاً في مصر حركة كبرى قادها قاسم أمين، محرر المرأة، وكانت الحركة الوطنية بقيادة الزعيم سعد زغلول، كانت النساء يتظاهرن جنبًا إلى جنب مع الرجل ضد

وتثبت أنها قادرة على الإبداع - تمامًا - مثل الرجل، عندنا في القاهرة كريمة سعيد، ولطيفة الزيات، هذه روائية من الطراز الأول، وكانت مناضلة أيضًا، والآن الجيل الجديد يتولى عمله ويبدع، والمكتبة العربية الآن مملوءة بالفتيات من جميع الأعمار، ويكتبن الشعر، ربيعة جلطي تكتب القصيدة المنثورة وتبدع، لقد شقت المرأة طريقها، ولا عودة إلى الوراء،

الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي

❖ هل أنت مع من يكفر المبدع، بعد أن وجد هذا الأخير طريقًا إلى الشهرة عن طريق بعض التجاوزات المحشوة في متن لا يختلف عما يكتب عمومًا؟

- أنا أرى أن المبدع يجب ألا يخرج عن تقاليد قومه، ومعتقداتهم. مثلاً مفدي زكريا الشاعر الجزائري ينادي بالرشاش، ويقول فيما معناه: إن الرشاش كأنه آية بمعنى آية. وهذا ليس تناصًا، فهو يستعمل بعض العبارات القرآنية، وإنما هذا النوع من توظيف مفردات وصيغ قرآنية نستفيد منها نحن الشعراء، ولكن أقول بشرط وحيد ألا يكون فيها شبهة إلحاد، أو تطاول على الذات العالية: لأننا مسلمون أولاً وأخيرًا. إنما أنا لست مع الذين يتطرفون، ويقولون لا، كلمة اقرأ جاءت في القرآن فقط، وتقتصر على القرآن في سورة العلق، نستفيد من القرآن: لأن القرآن كما هو الكتاب السماوي الذي أنزل على النبي عليه الصلاة والسلام، هو كتاب بلاغة في الوقت نفسه، فأستفيد من البلاغة التي تحققت من القرآن، ولا ضير مادمت لا أخرج عن الناموس الشرعي.

❖ كيف تقوّم الآن الحركة الثقافية في القاهرة، انطلاقًا من الواقع الذي يمر به الشارع المصري؟

- مما لا شك فيه أن الماديات تنعكس على المعنويات، كما أن المعنويات تنعكس على الماديات، هناك حركة جدلية بينهما، فالظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، تنعكس على الإبداع، وعلى الشعر، وعلى القصة، وعلى الرواية، وعلى المسرح، وعلى الأدب الشعبي، من دون شك، ولذلك تجدين نوعًا من الغضب، أو الغليان في مصر يعبر عنه لا الكتّاب والصحفيون فقط، وإنما يعبّر عنه الشعراء، والروائيون، والقصاصون: لأنهم مرآة للرأي العام، فالفنان إذا انعزل عن البيئة، وعن الواقع، وعن هموم الناس لا يكون فنانًا. انتهى عصر الرومانسية، وعصر الأحلام الخيالية التي يهرب فيها الشاعر إلى الطبيعة، ويدير ظهره إلى الواقع الحي، فالفنان دائمًا يحمل رسالة، فالنص الذي يكتبه يزيده عراقة في إنسانيته، ليس فقط أعبر عن شعبي ووطني، وإنما أعبر عن قومي مثلاً عما يجري في المملكة العربية السعودية، وفي الكويت، وفي العراق الآن هذا الغزو البغيض الاستعماري لي سبع قصائد عن الوضع في العراق، وعن المقاومة الفلسطينية.

❖ الديك دواوين؟

- نعم، فهذا الجرح قضية العرب الأولى، ولم ينطفئ الشعر، وإنما يسيئون إلى الحركة الشعرية من بعض



النازية. نحن ضد هذا الفكر. نحن ننادي بالحوار مع الآخر: ﴿وجادلهم بالتي هي احسن﴾ (النحل:١٢٥). نحن لسنا أعداء للغرب. نحن أعداء لمن يسيء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، كما حدث في الرسوم الكاريكاتورية التي أثارت غضب المسلمين في كل مكان. فكما قال جمال عبدالناصر في ثورة يوليو: «نعادي من يعادينا، ونصادق من يصادقنا» إلا أننا الآن ينبغي أن يكون العداء بالفكر. فالحروب الآن حروب حضارية، ولا سبيل لنا إلى التقدم إلا عن طريق العلم.

❖ هناك من يقول بعد: إن كان الشعر ديوان العرب فقد أصبحت الرواية مكانه؟

- هذه المقولة مبالغ فيها، وقد انتشرت هذه المقولة بعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب. قيل: إن الرواية سحبت الأضواء عن الشعر. الشعر ديوان العرب وسيظل ديوان العرب. الشعر سيظل مادام القلب يغني، ومادام قلب الإنسان يخفق. فالشعر هو الحياة، هو العاطفة هو الإحساس النبيل، هو الذي يرقى بالمستوى المحسوس بالضرورة: لأنه يحوله إلى حرية. فالإنسان لا يعيش للضرورة يقضي حاجاته وملذاته، وإنما يحتاج إلى الجانب الروحي الذي يصور هذا الجانب هو الشعر. فكيف يغيب الشعر، وهو ضرورة؟ كما يقول الكاتب الفرنسي: الشعر ضرورة، وإن كنت لا أعرف لماذا، ما من سبب معروف سوى أنه يرقى بالغريزة الإنسانية.

❖ لمن يكتب حسن فتح الباب؟

- أكتب للحقيقة: لأننا نمر بمرحلة يكثر فيها الزيف، وتختلط فيها المفاهيم الآن. خصوصًا بعد أن حكم اليمين الأمريكي المتطرف، يغزو العراق ويقول: هناك أسلحة غير مشروعة، ثم يثبت أن هذا غير صحيح!! فهو يزيف عن طريق مكنة الإعلام الهائلة: والسبب هو المصالح المشتركة، نكتب لنقول الحقيقة، وهدفنا هو توعية أكبر عدد من

الذين يكتبون قصيدة النثر، وبافتعال، ويقولون: إن الشعر العمودي قد انتهى، بل يتطرفون ويقولون: إن الشعر الحر وقصيدة التفعيلة انتهت، وإن هذا التطور وصل إلى قصيدة النثر، هذا غير صحيح: لأن الفنون جميلة بأنواعها، تتجاور، وتتعايش، وتتحاور، ولا يلغي بعضها بعضًا.

❖ العاجز من ينفي ما عداه!

- فعلًا، إذا كنا في السياسة ننادي بالانفتاح على الآخرين، والحوار مع الآخرين، ونشجب صمونيل هنتجتون الذي دعا الى العداء مع الحضارات، واتخذ من الإسلام عدوًا له بعد

الشعب، وليس النخبة، وإنما نريد أن نجمع بين أمرين يبدوان متناقضين: وهما: المضمون الرفيع المستوى، والفنيات، لا يكون شعرنا معقدًا حتى لا ينفر منه الناس، ولا تقريريًا مباشرًا كلغة الصحافة.

❖ أهداك مدرس اللغة العربية كتابًا حول الفضاء - على ما أعتقد - كيف جعلك هذا الكتاب شاعرًا؟

- بارك الله فيك، سؤال جميل، فعلاً أهداني مدرس اللغة العربية، وأنا في أول عهدي بالمدرسة الثانوية، كتابًا لعالم فلكي بريطاني اسمه جيمس، وعنوان كتابه: «الكون الغامض» يتحدث فيه عن الأفلاك، وبعض الكواكب الأخرى، وأن الأرض ليست إلا جرمًا صغيرًا بالنسبة إلى العالم الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، عالم السموات والأرض، فأخذت أقرؤه وأنا في سن الثانية عشرة، فانفسح نظري، وعلمت أن هذه الكرة الأرضية ليست الكائن الوحيد الموجود في الحياة، وإنما هناك عوالم وكواكب أخرى، واستقرت في نفسي نظرية دوران الأرض حول نفسها، ودورانها في الوقت نفسه حول الشمس، ولذلك تجدين مصطلحات كثيرة في شعري، فالقمر يأتي كثيرًا في شعري حتى إن الطلاب الذين حصلوا على الماجستير في دراسة شعري والنقاد، تبينوا هذه الظاهرة، وهي أن هناك مصطلحات ومعاني في الشعر تدور حول الأفلاك، أقول:

الأرض لم تزل تدور
أشربة ملاحم عطور
وخطوة الساقي الصغير
لا تمل لا تثور

إلى آخر هذه القصيدة لي قصائد قصيرة أناجي فيها القمر، ولكن هناك فرق بين مناجاة القمر في عصر الرومانسية الذي مررت به، وعصر الواقع، فأنا أوظف هذه المصطلحات في خدمة الواقع الحي.

❖ لمن تقرأ؟

- أنا متنوع القراءة، فلا تقتصر قراءاتي على الشعر، وهو الفن الأول الذي أجيده، وإنما أقرأ القصة، وأقرأ الرواية، وأشاهد بعض المسرحيات، وأشاهد بعض اللوحات التشكيلية في المعارض، فأنا أرى أن الفنان يجب أن يكون مثقفًا، وإلا كان أفقه محدودًا، ولذلك أعظم الشعراء في العالم كله كانوا أكبر المثقفين في عصورهم، المتنبي كان من أكبر المثقفين في عصره، وابن الرومي، وأبو تمام، والبحتري، كانوا يمثلون القاطرة في الحركة الشعرية، ويعدون روادًا بثقافتهم؛ لأن الثقافة توسع دائرة المعرفة، وتجعل الإنسان يدرك المكنون من الأشياء التي تخفى على الشخص العادي حينما يمر على الأشياء مرّ الكرام.

❖ يقول جلال الدين الرومي:

أريد قلبًا مزّقه النفي... لأعلمه وجع الاشتهاء

كيف تقرأ هذا البيت؟

- عظيم، يا لروعة المتصوف العظيم جلال الرومي، هذا من أعظم شعراء المتصوفة في جميع العصور، مثل فريد الدين العطار، كلاهما فرسا رهان، وهما، وإن كانا يعتنقان فلسفة الحلول، إلا أنهما يعبران عن الروح الإسلامية التي تقوم على التجريد، ولا تنغمس في

المادیات تنعكس على المعنويات، كما أن المعنويات تنعكس على الماديات، هناك حركة جدلية بينهما، فالظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، تنعكس على الإبداع، وعلى الشعر، وعلى القصة، وعلى الرواية، وعلى المسرح، وعلى الأدب الشعبي

لوحة تصور مقهى شعبياً

الحسيات، وفي المادة، وإنما نخلع هذا الجسد الترابي لننطلق منه إلى السموات العلا إلى رحابه: لتكون فيها الروح هي المسيطر، فكأن الروح منفية في هذا الجسد، وتريد أن تنطلق منه، وهذا نوع من التوحد بالذات الإلهية، التي وصل إليها المتصوفون

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته

وإذا أبصرته أبصرتنا

كما تقول المتصوفة، فنحن لا نتخلى عن مباهج الحياة الدنيا، ولكن في الوقت نفسه بأخلاقنا نريد أن يكون لنا ضمير حي طاهر طبقًا للمبادئ الإسلامية، طبقًا للرسالة المحمدية، نريد أن نسترجع هذه الأيام العظيمة، ولكن بأسلوب حديث حتى نجمع بين الأصالة والتراث، والحداثة والمعاصرة.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٦٤) شوال ١٤٢٧هـ/ أكتوبر-نوفمبر ٢٠٠٦م

الفائز الأول: علي أحمد سالم بخضر . سيئون . اليمن.
الفائز الثاني: غسان محمد سلامة . عمان . الأردن.
الفائز الثالث: خولة داود الكيالي . أبو ظبي . الإمارات.
الفائز الرابع: فاطمة سويلمي . آسفي . المغرب.
الفائز الخامس: ناصر فضل الثيان . الأحساء . السعودية.
الفائز السادس: منى وحيد مناع . دمشق . سورية.
الفائز السابع: فاتن سلامة . المنستير . تونس.
الفائز الثامن: طاهر أحمد خليفة . القاهرة . مصر.

حل مسابقة العدد (٣٦٤)

١- كلمة دهليز تعني مدخل المبنى الذي تفتح عليه حجراته.
٢- التربيون: هو أحد الحكام القضاة الرومان الذين كان لهم حق الاعتراض والفيتو باسم الشعب على قرارات أعلى سلطة في الدولة..
٣- الخليفة أبو جعفر المنصور هو الذي أطلق لقب صقر قريش على عبدالرحمن الداخل.

أسئلة مسابقة العدد (٣٦٧)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) ماذا تعني الأبليكة؟
(٢) من هم الأخوة رنجلنج؟
(٣) ما الاستبصارة؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الاخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد الى المجلة، ولاتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد اكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداء من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الاولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالا.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالا.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع ان الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الاخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دوما، مع تمنياتنا حظا وافرا لجميع القراء الاعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يوماً.



شروط المسابقة

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوما من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- ان يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملا داخل القسيمة.
- ان يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الاجابات.
- تجمع الاجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة اخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا الى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣)، الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- خالد الفيصل يعلن أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية
- جائزة الشيخ زايد للكتاب في أبريل
- إصدارات جديدة للجمعية الوطنية لحقوق الإنسان

•• خاتمة المطاف: المقاطعة الاقتصادية ترف أم ضرورة؟



فاز بها رئيس وعلماء عرب وأجانب.. من سبع جنسيات

إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية

أعلن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - منح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام لرئيس جمهورية تتارستان منتيمير شريبوفيتش شرف الدين شايميف الروسي الجنسية. جاء ذلك بعد أن ترأس ولي العهد في قصره بالرياض مساء السبت ٢٣ من ذي الحجة سنة ١٤٢٧هـ الموافق (١٣ يناير/ كانون الثاني عام ٢٠٠٧م) اجتماع لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام بحضور أعضاء اللجنة.

وقد أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز - أمير منطقة عسير، المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية - في مساء ٢٦ من ذي الحجة الماضي (١٦ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧م) أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م في فروع الجائزة الأربعة، وهي: اللغة العربية، والأدب، والطب، والعلوم.

وفاز بجائزة خدمة الإسلام فخامة رئيس جمهورية تتارستان منتيمير شريبوفيتش شرف الدين شايميف الروسي الجنسية، تقديرًا لخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين، ومن ذلك جهوده في إحياء الثقافة الإسلامية في جمهورية تتارستان، وفي تعريف مسلميها بمبادئ دينهم القيمة، وجهوده في إعادة بناء المساجد، التي دمرت في أزمان سابقة، حتى تجاوز عددها ألف


صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز

مسجد، أربعون منها في العاصمة قازان، بينها جامع قول شريف، الذي هو تحفة فنية، ولم يكن فيها في زمن الحكم الشيوعي سوى أربعة مساجد، إضافة إلى تشييده مطابع للمصحف، والكتب الإسلامية، وتشييد كثير من المدارس، والجمعيات الإسلامية في عهده، وإنشاء الجامعة الإسلامية الروسية، التي تدرس فيها المواد بالروسية، والتترية، والعربية، واتباعه سياسة حكيمة جعلت من تتارستان مثالاً للتعايش الاجتماعي السلمي، ورمزًا للتسامح، كما جعلتها تحقق نهضة اقتصادية وعمرانية واضحة المعالم.

وفاز بالجائزة في الدراسات الإسلامية في موضوع «الدراسات التي عنيت بالعلوم البحتة أو التطبيقية عند المسلمين» الدكتور رشدي حفني راشد «المصري الأصل، الفرنسي الجنسية»: وذلك تقديرًا لجهوده العلمية في إبراز العلوم البحتة عند المسلمين، في مجالي الرياضيات والضوء، من علم الفيزياء في مختلف مراحل الحضارة الإسلامية، بحثًا، وتحقيقًا، وتعليقًا،



صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز

ودراسة، وترجمة، فأنتج ما يربو على ستين كتابًا، وأكثر من مئة مقالة بحثية، وتميز إنتاجه بالأصالة والعمق والدقة. وفي طليعة إنتاجه كتاب «تاريخ العلوم عند العرب» بأجزائه الستة، وكتاب الرياضيات التحليلية بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، بمجلداته الأربعة. وفي ترجمته لكتابي المسائل العددية، والمرايا المحرقة.

وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية في فرع اللغة العربية والأدب مناصفة كل من الدكتور محمد عبدالله العمري - المغربي الجنسية، الأستاذ غير متفرغ بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمد الخامس - والدكتور مصطفى عبده ناصف - المصري الجنسية، الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في جامعة عين شمس - وقد منح الدكتور العمري الجائزة لتميزه في دراسة البلاغة العربية، وما يتصل بمفهوم النص، ودراسته وظائف البلاغة والخطابة العربيتين، قديماً وحديثاً. أما الدكتور ناصف فقد منح الجائزة لما تتميز به دراساته البلاغية من قراءة جديدة، تتسم بالشمول والتنوع والأصالة، مع ربط تلك الدراسات بالبينات، التي استمدت منها أصولها، أو التي تداخلت معها تداخلاً وثيقًا، كما أن دراساته تنم على وعي جيد بالتطور، الذي أحاط بالبلاغة في العصر الحديث.

وفاز بالجائزة في فرع الطب وموضوعها «سرطان البروستاتا» مناصفة الدكتور فيرناند لابري - الكندي الجنسية، رئيس قسم الغدد الصماء الجزيئي في جامعة لافال، واستشاري الأمراض الباطنة بمستشفاها التعليمي - والدكتور باتريك كريق وولش - الأمريكي الجنسية، أستاذ جراحة المسالك البولية بكلية الطب في جامعة جونز هوبكنز - تقديراً لدوريهما الرائدين في مجال طب سرطان البروستاتا، وجراحته، إذ استحدث الدكتور لابرى علاج أورام البروستاتا عن طريق مضادات هرمونات الذكورة، بدلاً من إزالة الخصية واستخدام الهرمونات الأنثوية، كما طور طرائق جديدة للتشخيص المبكر لسرطان البروستاتا، مما ساهم في إنقاذ حياة كثير من المرضى قبل انتشار المرض، أما الدكتور وولش فهو رائد جراحة استئصال البروستاتا من دون المساس بالعصبات المسؤولة عن القدرة الجنسية، والسيطرة على التبول لدى الذكور. كما أنه أجرى دراسات مبتكرة للجوانب الوراثية لسرطان البروستاتا، وتضخمها.

ومنحت الجائزة في فرع العلوم موضوعها «الكيمياء» للدكتور جيمس فريزر ستودارت - البريطاني الجنسية، أستاذ علوم النانو في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس - تقديرًا لدوره الرائد في تطوير ميدان جديد في الكيمياء يعنى بعلم النانو؛ أي: الأبعاد التي تقارب جزءاً من بليون، وحقق إنجازات مهمة في مجال تعرف الجزيئات بعضها إلى بعض، واجتماعها في بناء ذاتي، وابتدع طرائق سريعة، وذات كفاءة عالية، تؤدي إلى بناء

مركبات جزيئية متماسكة ميكانيكيًا، وقد تميزت بحوثه بالدقة العالية، والإبداع، والأصالة، والابتكار، وأصبحت مصدر إلهام للآخرين، كما ادت إلى تغيير مهم لكيفية تفكير الكيميائيين حول الأنظمة الجزيئية، وإمكانية استعمالها في صناعة قواطع وآلات جزيئية، مثل المصاعد، والمكوكات الجزيئية.

وجاء الإعلان عن أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في مؤتمر صحفي عقده صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، رئيس هيئة الجائزة، بمركز الخزامي في الرياض.

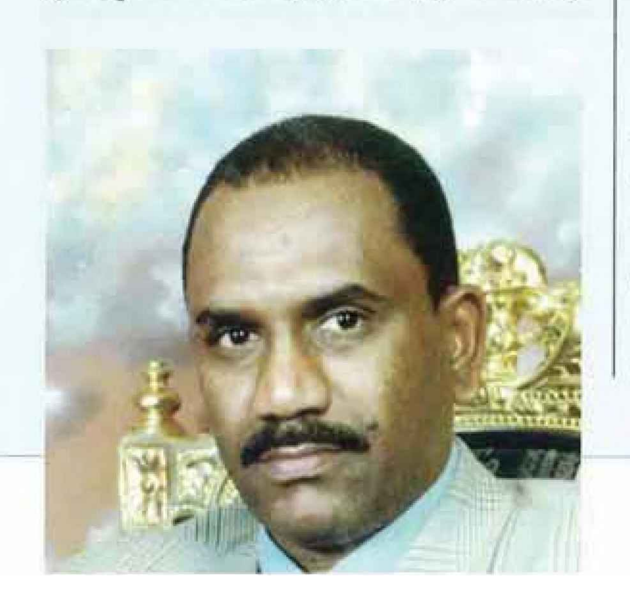
وقدم سمو الأمير خالد الفيصل باسم هيئة الجائزة وأمانتها العامة شكره لكل من شارك وأسهم بفكرة، أو فعل، أو حضور في هذه الجائزة متمنياً للجميع التوفيق والنجاح.

وحول دور سمو ولي العهد في هذه الجائزة، أكد الأمير خالد الفيصل أن الأمير سلطان هو رئيس المجلس الأعلى للدعوة، واهتمام سموه بالإسلام والمسلمين لا يقتصر على ذلك فحسب، بل إن سموه أحد القادة المسلمين الذين وهبوا حياتهم لخدمة الإسلام والبشرية.

رئيس جمهورية تتارستان منتيمير شريموفيتش

الزميل حسين حسن ينال الماجستير في الصحافة

نال الزميل الأستاذ حسين حسن حسين سكرتير التحرير درجة الماجستير في الصحافة بامتياز من معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي بجامعة أم درمان الإسلامية عن رسالته المعنونة «الفنون التحريرية للقضايا الوطنية في الصحافة السودانية»، التي عنيت بتقويم الأداء الصحفي في السودان في الفترة من عام ١٩٨٥م إلى عام ١٩٨٩م، من خلال تحليل كيفية توظيف الفنون التحريرية المختلفة في تناول





كما أن قادة هذه البلاد منذ عهد الملك المؤسس، وهم في خدمة الإسلام.

وفي سؤال عن إمكانية تدريس البحوث الفائزة في الجائزة بجامعة الفيصل، أوضح سموه أن جميع أعمال مؤسسة الملك فيصل منظومة تكاملية، سواء مدارس الملك فيصل، أو مركز الملك فيصل، أو برنامج المنح الدراسية، أو هذه الجائزة، أو مجلة الفيصل، أو جامعة الفيصل، وتكمل بعضها بعضًا، ممثلة وحدة ثقافية متكاملة.

وكشف سموه خلال حديثه أن الجائزة ما بعد القادمة ستكون احتفالية بمرور ثلاثين عامًا عليها، وستتم دعوة جميع من فاز بها، لحضور حفل كبير، سيتشرف الفكر السعودي فيه بمشاركة الفكر العالمي في أسبوع ثقافي فكري، على أعلى مستوى تستفيد منه جميع المؤسسات الثقافية والتعليمية في المملكة؛ ليكون مهرجانًا ثقافيًا فكريًا.

وأعلن الدكتور عبدالله العثيمين، الأمين العام للجائزة، خلال الحفل موضوعات الجائزة لسنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، وجاءت على النحو الآتي:



- الدراسات الإسلامية: أحكام العلاقات الدولية في الإسلام في حالتي السلم والحرب.
- اللغة العربية والأدب: قضايا المصطلحية في اللغة العربية.
- الطب: طب الحوادث.
- العلوم: علم الحياة «البيولوجيا».

أهم القضايا الوطنية، التي شهدتها تلك الفترة، ومدى التزام قواعد استخدام تلك الفنون، سواء القواعد الأخلاقية أو المهنية، التي تضع لكل فن إطارًا، ومدى التزام أساليب الطرح الموضوعي، بما يحقق تفعيلاً لدور الصحافة في المجتمع.

وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور أحمد محمد فضل الله مشرفًا ورئيسًا، والدكتور محيي الدين تيتاوي مناقشًا خارجيًا، والدكتور عبدالعظيم نورالدين مناقشًا داخليًا. وقد أشادت اللجنة بما بذله الباحث من جهد في تقويم صحافة ما يعرف بالديمقراطية الثالثة في السودان، واتباعه المنهج العلمي للوصول إلى نتائج ذات دلالات، أهمها قيام الصحف في تلك الفترة بدور كبير في التنوير، من خلال تحليل الواقع السياسي، والتنبيه على القضايا الأساسية في المجتمع، كما حذرت من مغبة الخلافات السياسية، ودعت إلى التكاتف لحماية النظام الديمقراطي، والخروج من الأزمة السياسية المزمنة في السودان، المتمثلة في تعاقب النظامين الديمقراطي والعسكري.



البيت العربي في مدريد

افتتح وزير الخارجية الإسباني ميغيل أنخيل موراتينوس مؤخرًا في مدريد أنشطة مؤسسة البيت العربي، في خطوة مهمة من شأنها أن تضع إسبانيا في مكانة متميزة بالقارة الأوربية والدول العربية. وقالت خيما مارتين مونيو - مديرة المؤسسة الحاصلة على الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية، وأستاذة علم الاجتماع في العالم العربي والإسلامي بجامعة أوتونوما بمدريد - : إن المقر الرئيس في شكل مبنى أندلسي، وستنتهي أعمال تجهيزه في سبتمبر/ أيلول المقبل. وأقيم حفل افتتاح الأنشطة الثقافية للمؤسسة على مسرح لا ثارثويلا، وأحياه الموسيقار التونسي أنور برهام، والمطربة الفلسطينية أمل مرقص، بحضور موراتينوس، وكارمن كالبو - وزير الثقافة - وخوان بابلو ديلا إيجليسيا - الأمين العام للوكالة الإسبانية للتعاون الدولي.

وأشارت مونيوث إلى أن ميزانية المؤسسة تبلغ ثمانية ملايين يورو، وتسهم فيها وزارة الخارجية الإسبانية بنسبة ٦٠٪، بينما تشارك الحكومتان الإقليميتان لمدريد والأندلس، ومجلسي بلدية مدريد وكوردوبا بنسبة ١٠٪ لكل منها. وأضافت أن البيت العربي سيصبح مرجعًا للمعرفة والمعلومات حول الدول العربية، ومركز لقاء لكل المجتمع المدني الإسباني.

ميغيل أنخيل موراتينوس



إعلان جائزة الشيخ زايد للكتاب في إبريل

ورد عدد كبير من المشاركات إلى جائزة الشيخ زايد للكتاب في دورتها الأولى للعام ٢٠٠٧م، وتقدر حسب الأمين العام لجائزة الشيخ زايد للكتاب راشد العريمي، بالمئات، وهي من بلدان عربية وأجنبية مختلفة، والمحور الأساسي للجائزة هو الثقافة العربية. وأشار العريمي إلى أن معايير اختيار الفائزين تختلف من فرع إلى آخر للجائزة، وقد ركزت الجائزة في بعض فروعها في جوانب تحتاج إلى دعم، ورفع سقف الرهان عليها، للاقتناع بدورها وخدمتها للقارئ العربي والثقافة العربية، مثل أدب الترجمة، وأدب الطفل، وكذلك براءات الاختراع التي من شأنها تطوير تكنولوجيا الثقافة العربية، والنشر والتوزيع، إضافة إلى الفروع الكلاسيكية للجائزة، كالآداب والفنون. من المقرر أن يعلن أسماء الفائزين في بداية أبريل/ نيسان المقبل، ضمن فعاليات معرض أبو ظبي الدولي للكتاب.

إصدارات الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان

ضمن «سلسلة حقوق» التي تصدرها الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية، بهدف نشر ثقافة حقوق الإنسان بالمجتمع، طبعت الجمعية عددًا من الإصدارات وفقًا للبند التاسع من المادة الثالثة من النظام الأساسي للجمعية: الذي ينص على «نشر إصدارات متخصصة تعنى بحقوق الإنسان». وتختص السلسلة بنشر الإعلانات، والمواثيق، والاتفاقيات، والعهود الدولية، في مجال حقوق الإنسان، إضافة إلى الأنظمة السعودية، والمواد الثقافية العامة في هذا المجال، وقد صدر عن الجمعية حتى الآن:

- الإصدار الأول: «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، الذي اعتمد ونشر في العالم بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢١٧ ألف (د - ٣) المؤرخ في ١٠ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٤٨م.

- الإصدار الثاني: «إعلان القاهرة»، الذي تمت إجازته من قبل مجلس وزراء خارجية منظمة مؤتمر العالم الإسلامي، القاهرة، ٥ أغسطس/آب عام ١٩٩٠م.

- الإصدار الثالث: «الميثاق العربي لحقوق الإنسان»، النسخة الأحدث، وقد اعتمدته القمة العربية السادسة عشرة التي استضافتها تونس في ٢٣ مايو/أيار عام ٢٠٠٤م.

- الإصدار الرابع: «اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة»، التي اعتمدت وعرضت للتوقيع، والتصديق، والانضمام، بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٣٤/١٨٠ المؤرخ في ١٨ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٧٩م، تاريخ بدء النفاذ: ٣ سبتمبر/أيلول



عام١٩٨١م، وفقًا لأحكام المادة ٢٧ (١).

- الإصدار الخامس: «الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري»، وقد اعتمدت وعرضت للتوقيع، والتصديق، والانضمام، بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢١٠٦ ألف (د - ٢٠) المؤرخ في ٢١ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٦٥م، تاريخ بدء النفاذ: ٤ يناير/كانون الثاني عام ١٩٦٩م، وفقًا للمادة ١٩.

- الإصدار السادس: «اتفاقية حقوق الطفل»، التي اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٥/٤٤ المؤرخ في ٢٠ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٨٩م، تاريخ بدء النفاذ: ٢سبتمبر/أيلول عام ١٩٩٠م، وفقًا للمادة ٤٩.

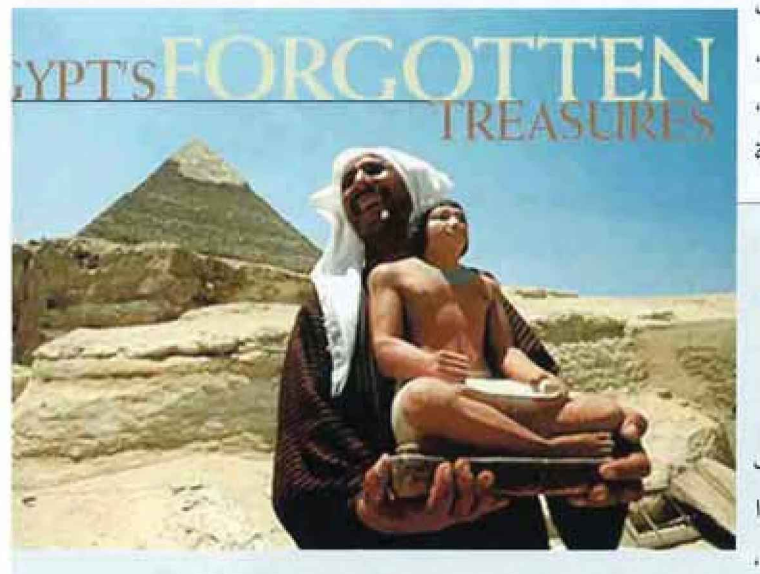
وتقوم الجمعية حاليًا بالإعداد لإصدار:

- الإعلان العالمي لحقوق الطفل.
- اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة، أو العقوبة القاسية، وغير الإنسانية، أو المهينة.
- نظام المرافعات الشرعية.
- نظام الإجراءات الجزائية.
- اتفاقيات دولية وأنظمة أخرى.

فيلم سينمائي دانماركي عن الرسوم المسيئة

يعتزم المخرج الدانماركي الشهير إيريك كلاوسن إعداد فيلم سينمائي يتناول فيه قضية الرسومات المسيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأسبابها، والعوامل التي فجرت الأوضاع في العالم العربي والإسلامي على خلفيتها من منظور إنساني يركز في العلاقة بين الثقافات المختلفة. وأوضح المخرج كلاوسن أن الفيلم يعالج عددًا من القضايا الرئيسة، عن طريق طرح أسئلة حول حرية الرأي وحدودها، وكذلك التركيز في الأحداث السياسية التي أعقبت نشر الرسوم الكاريكاتيرية، وكيفية التعامل معها. وعن رأيه في نشر هذه الرسوم، قال كلاوسن: إن قيام الصحيفة بنشر الرسوم الساخرة خطأ كبير. ويشبه الحملة التي يتعرض لها المسلمون في هذه الأيام بما حدث في الثلاثينيات من القرن الماضي تحت حكم النازية، التي بدأت حملة الإبادة برسوم تهكمية، وساخرة، وانتهت بأفران الغاز. وأضاف كلاوسن أنه سيستخدم في فيلمه اللغتين العربية والدانماركية، كما أنه سيتعاون مع بعض المخرجين من الوطن العربي، وسيصور بعض لقطات ومشاهد من الفيلم في منطقة الشرق الأوسط، التي شهدت ردود أفعال عنيفة على الرسوم الساخرة.

نسخة عربية من مجلة ناشيونال جيوغرافيك



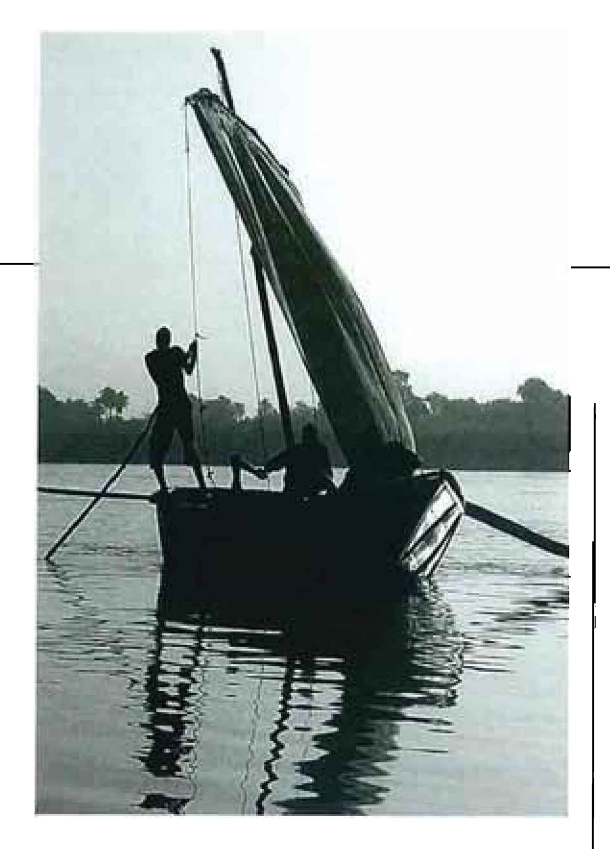
تبدأ دار نهضة مصر من شهر فبراير/ شباط إصدار نسخة من مجلة ناشيونال جيوغرافيك الأمريكية، موجهة للشباب العربي. وقد أقيم بهذا المناسبة احتفال في القاهرة حضره وزراء، وناشرون، ومثقفون، وألقى خلاله - محمد أحمد إبراهيم - رئيس مجموعة شركات نهضة مصر للنشر كلمة تحدث فيها عن مؤسسة ناشيونال جيوغرافيك، التي بدأت أنشطتها عام ١٨٨٨م، وأوضح أن النسخة العربية من مجلة ناشيونال جيوغرافيك للشباب ستنشر موضوعات مجلتي ناشيونال جيوغرافيك فور كيدز، وناشيونال جيوغرافيك إكسبلورر، مضيفًا أنه سيتم انتقاء كل ما يناسب ويتفق مع مجتمعنا. وشدد على أن الفترة المقبلة ستشهد إصدار النسخة العربية من مجلة ناشيونال جيوغرافيك للكبار. وقال تيرنس

مشكلات المجتمع الأمريكي في مكتبة الإسكندرية

نظمت مكتبة الإسكندرية مؤخرًا محاضرة أدارها الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير المكتبة. وتحدث فيها الدكتور روبرت بتنام، أحد أبرز أساتذة العلوم السياسية بجامعة هارفارد الأمريكية، والمعروف بأبحاثه وإسهاماته ومؤلفاته في موضوعات المجتمع المدني، ورأس المال الاجتماعي، والديمقراطية. ومن أهم كتبه، التي تناولت هذه القضايا: كيف تنجح الديموقراطية؟، ولعب البولينج وحيدًا. كما أنه حاصل على جائزة يوهان سكيتا للعلوم السياسية من مؤسسة سكيتا التابعة لجامعة أوبسالا السويدية، عن نظريته حول رأس المال الاجتماعي. وهي أهم جائزة في مجال العلوم السياسية. وقد تركزت المحاضرة في المجتمع الأمريكي والتغييرات التي طرأت عليه خلال ثلاثة عقود ماضية. وتطرق المحاضر إلى زيادة عزلة الشعب الأمريكي عن الأهل، والأصدقاء، والجيران، والمؤسسات الاجتماعية.

وعن انطباعاته عن مصر، قال: على الرغم من عدم معرفتي الوثيقة بالمجتمع المصري، إلا أنه من خلال بضعة أيام، لاحظت أن العلاقات الاجتماعية تنحصر بين المعارف والأقارب، ولا تمتد إلى العلاقات مع الغرباء، بينما رأس المال الاجتماعي بحسب مفهومي هو الثقة في الناس بصفة عامة. وعن وسائل تحقيق علاقات اجتماعية قوية؟ قال: إن الحلول موجودة من خلال خلق منظمات اجتماعية تكون مسؤوليتها تنظيم العلاقات بين المواطنين العاديين؛ لأن بناء العلاقات ليس عملاً سياسيًا، وإنما هو عمل مجتمعي بالدرجة الأولى، إضافة إلى دور القادة والمؤسسات التعليمية. ومن جهة أخرى، يقوم مركز توثيق التراث الطبيعي والحضاري التابع لمكتبة الإسكندرية بتوثيق التراث الموسيقي العربي، وجمع كنوزه المبعثرة، والحفاظ عليها، وإتاحتها للأجيال المقبلة. ويتكون المشروع من ثلاثة مستويات: أولها جمع المعلومات الأولية التي تتعلق بالملحن، والمؤلف، والمؤدي، والمقامات، والقوالب، والإيقاعات، ومطلع الأغنية وعنوانها، وتاريخ إصدارها. ويتضمن المستوى الثاني تضمين نصوص الأغاني للأعمال الموثقة في قاعدة البيانات، والنوتات الموسيقية، وأجزاء من التسجيلات الصوتية والمرئية الأصلية. وفي المستوى الثالث يتم إنتاج أسطوانات مدمجة تستند إلى البيانات المجمعة، إلى جانب تقديم تحليل موسيقي تفصيلي لبعض الأعمال الموسيقية التي ينتقيها خبراء الموسيقا. وكانت مكتبة الإسكندرية قد قامت بإصدار سلسلة من الكتب تحت عنوان موسوعة «أعلام الموسيقا العربية» ضمن كتب مرفقة بأسطوانات مدمجة، صدر منها حتى الآن أربعة كتب عن سيد درويش، وسلامة حجازي، ومحمد عبدالوهاب، وأم كلثوم.

أدامسون - نائب رئيس مؤسسة ناشيونال جيوغرافيك - : إنه كان يحلم بميلاد أول مجلة باللغة العربية تصدر عن مؤسسته، التي تأسست منذ ١١٩ عامًا بجهود علماء ومستكشفين؛ بهدف إغناء المعرفة الجغرافية، والعلمية. وبيّن أدامسون أن أول مقال عن الحضارة الفرعونية نشرته المجلة في عام ١٩٠١م، مضيفًا أن الحديث عن مصر كان مادة تضمنتها مقالات، وكتب، وخرائط، وبرامج وثائقية لا حصر لها. ومن موضوعات العدد الأول من مجلة ناشيونال جيوغرافيك للشباب مقال بعنوان الملك توت ووفاته الغامضة: العلم الحديث يحل لغز الفرعون الصغير، الذي لا يزال موته الغامض لغزًا.



مجلة تصدر بالمكسيك تخصص ملفًا عن الشعر السوداني

خصصت مجلة الحركة الشعرية، التي تصدر في المكسيك، ملفًا عن الشعر السوداني بالتركيز في الشعراء المغتربين. وقد نشرت المجلة قصائد لنحو ٢٧ شاعرًا سودانيًا نصفهم يعيش خارج السودان، تحكي معظمها عن الغربة، وما تثيره في النفس من أشجان.

أعد الملف الشاعر السوداني نصار الحاج، الذي أوضح أن للشعر في السودان قاموسه الغزير، وتقنياته الجمالية التي اكتسبها، وطورها من بيئة متنوعة وتراث شعري متعدد ومتنوع. وأشار نصار إلى أنه كما جمع نماذج من الشعر السوداني بالعربية، اهتم كذلك بقصائد لشعراء من جنوب السودان، قال إنه بذل جهدًا كبيرًا في الحصول عليها مترجمة، أو غير مترجمة، إذ يكتب كثيرون منهم نصوصهم باللغة الإنجليزية، ولغات محلية أخرى.

وتورد المجلة: إذا كانت القصائد العربية في الملف تعكس أساليب، وأنماطًا تراوح بين التقليدي العربي المجدد، وتعدد القوافي والأوزان، وقصيدة النثر، وسائر سمات كثير من الشعر العربي الحالي، ففي نتاج بعض هؤلاء الشعراء الجنوبيين تبرز سمات منها ارتباط عميق، وذوبان صاف بالطبيعة ينتقل من الحسي إلى ما يشبه الحالات الصوفية. يترأس تحرير المجلة الشاعر اللبناني المهاجر قيصر عفيف.

الإنترنت المصدر الرئيس للأخبار السياسية عند الأمريكيين

أوضحت دراسة حديثة أن الأمريكيين يميلون بشكل متزايد إلى استخدام الإنترنت، بوصفه مصدرًا رئيسًا للأخبار السياسية. وقد أشار التقرير الصادر عن مؤسسة بيو للإنترنت، ومشروع الحياة الأمريكية إلى أن كثيرًا من الناس يساهمون في الجدل والحوار السياسي من خلال البلوجات، أو المدونات الخاصة بهم. وترى الدراسة أن انتشار خدمة الإنترنت السريعة «البرود باند» في المنازل الأمريكية تشكل الآن أحد أسباب تنامي أثر الشبكة في الأمريكيين.

وتشير الدراسة إلى إن نحو نصف المنازل الأمريكية مزودة الآن بخدمة الإنترنت السريعة هذه، كما تؤدي الشبكة دورًا متزايدًا في الحياة اليومية للناس في أمريكا. يقول معد الدراسة لي رينيه: خدمة البرود باند أضحت الآن جزءًا من إيقاع الحياة عند البشر، بما في ذلك إيقاع القضايا المدنية. وأوضحت الدراسة أن ١٥ ٪ من الأمريكيين قالوا: إن الإنترنت كانت الوسيلة التي استقوا منها معظم وجهات نظرهم، خلال حملة انتخابات التجديد النصفي، مقارنة بسبعة بالمئة فقط خلال الانتخابات التي سبقتها. وتخلص الدراسة إلى أن الناس

انطلاق فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٧م

بحضور الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى، بدأت فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٧م، بعد الافتتاح الرسمي لها بالقاعة البيضاوية لمركب محمد بوضياف في العاصمة الجزائرية. وقال الأستاذ عمرو موسى: إن التظاهرة تعد مفخرة لكل الدول العربية، حيث يتم فيها التواصل بين الشعوب، والتعرف إلى مختلف صور الثقافة العربية، وأضاف أن الجزائر باحتضانها هذه التظاهرة ستكون بوابة ثقافية وفنية لجميع الدول العربية. ومن جهة أخرى، صرح الأمين العام لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين الكويتية للإبداع الشعري عبدالعزيز سريع، بأن المؤسسة ستمنح ١٤ ألف كتاب لمكتبات بلديات الجزائر خلال العام الجاري. وقال السريع عقب لقائه وزيرة الثقافة الجزائرية خليدة تومي: إن هذه المبادرة طرحت خلال حفل الافتتاح الرسمي للمهرجان الثقافي الجزائر عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٧م، بعد أن اطلع على مشروع إنشاء ١٥٠٠ مكتبة بلدية، أي: مكتبة لكل بلدية. وقد أعربت وزيرة الثقافة الجزائرية عن امتنانها لدولة الكويت ولمؤسسة البابطين التي تسهم دائمًا في إثراء الثقافة العربية، شاكرة المؤسسة والقائمين عليها.



سجن صحفيين مغربيين بسبب النكات

أصدرت محكمة مغربية في ١٥يناير عام ٢٠٠٧م حكمًا بالسجن ثلاث سنوات مع إيقاف التنفيذ ضد صحفيين في مجلة نيشان، نشرا مجموعة من النكات عن الإسلام والجنس والسياسة، كما منعت المجلة من الصدور مدة شهرين. واعتذرت المجلة للقراء الذين ربما شعروا بإساءة من النكات، بعد أن أثار المقال سخط كثيرين في داخل المغرب، وخارجه. وكان رئيس الوزراء المغربي إدريس جطو قد أصدر في الشهر الماضي تعليمات برفع مجلة نيشان من أكشاك بيع الصحف، مشيرًا إلى أن النكات كانت هجومًا على الإسلام، وضد الأخلاق والعرف.

يرون أن الإنترنت تقوم بتزويدهم بمعلومات أكثر من قنوات الأخبار الأخرى، فهي تقدم تنوعًا في وجهات النظر، والنظرات المستقبلية للأمور.



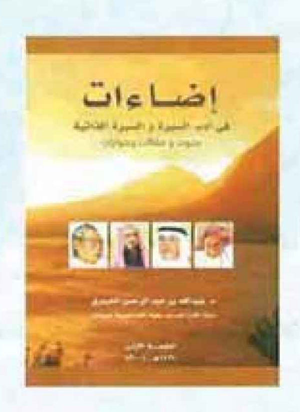






الأعمال الشعرية الكاملة/ خالد سعود الزيد. جمع وتقديم: عباس يوسف الحداد وعلي عاشور الجعفر ـ الكويت: طبعة خاصة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٨٨ص.

يضم هذا المصنف الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الشاعر خالد سعود الزيد (١٩٣٧ ـ ٢٠٠١م)، وقد نشرت المجاميع الشعرية الثلاثة في حياة الشاعر، وهي على التوالي: «صلوات في معبد مهجور» ١٩٧٠م، و«كلمات من الألواح» ١٩٨٥م، و«بين واديك والقرى» ١٩٩٢م، أما القصائد التي لم تجمع في ديوان من قبل، فقد بلغت ثلاثًا وعشرين قصيدة، كتبت في أزمان متفرقة، فبعضها يرتد إلى بدايات الشاعر، وبعضها يخص مناسبة بعينها، أما بقية القصائد فجلها كتب بعد صدور ديوانه الأخير.



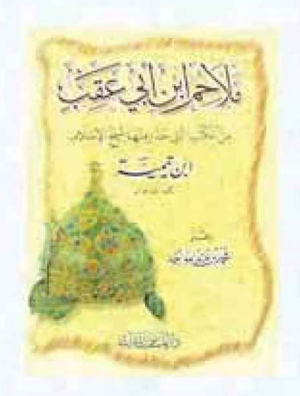
الحيدري، عبدالله بن عبدالرحمن/ إضاءات في أدب السيرة والسيرة الذاتية: بحوث ومقالات وحوارات ـ الرياض: المؤلف،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٢٠٦ص.

يركز هذا الكتاب في المقام الأول على «السيرة الذاتية»، وينزع بين حين وآخر إلى الحديث عن السيرة الغيرية للتلازم بين اللونين، ويضم الكتاب معظم البحوث والمقالات والحوارات التي شارك بها المؤلف في مؤتمرات وندوات، أو نشرت في الصحف والمجلات.

ويتكون الكتاب من ثلاثة أقسام، هي: البحوث، والمقالات، والحوارات. وقد جاء في قسم البحوث قراءة لأربعة من الأعمال، هي: سيرة شعرية لغازي القصيبي، وحياتي مع الجوع والحب والحرب لعزيز ضياء، وسوانح الذكريات لحمد الجاسر ـ رحمهما الله ـ، وتباريح التباريح لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، وغير ذلك من البحوث.

وفي قسم المقالات قدّم المؤلف خمس مقالات متنوعة تتناول السيرة الذاتية وما يلتبس بها كالرواية، وفن السيرة في جوانب من طرحها؛ لكون بعضها ردودًا على بعض المقالات المنشورة في الصحف المحلية.

أما القسم الثالث والأخير، وهو «الحوارات» فيضم حوارات صحفية أعدّ المؤلف أسئلتها، وأجاب عنها بعض ممن كتبوا في لون السيرة الذاتية.



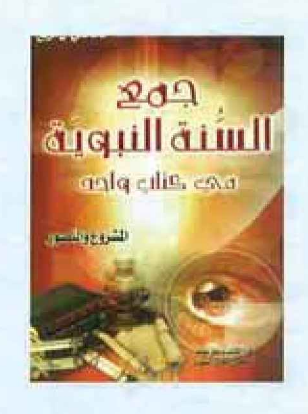
أحمد، محمد بن عبدالله/ ملاحم ابن أبي عقب: من الكتب التي حذر منها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ـ ط٢ ـ دمشق: دار المأمون للتراث،



١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٦٣ص.

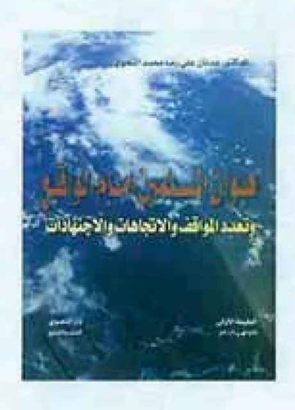
كتب المؤلف في بداية البحث تعريفًا بالملاحم، وسمى مَسلَمة أهل الكتاب، والسبئيين، والكهان، والأخباريين، والزنادقة الذين أسهموا في بث هذه الخرافة، من بين مختلق لها، وراو، ومصنِّف.

وذكر بعض المؤلفين في الملاحم وكتبهم، وتحذير العلماء من هذه الكتب، ونبه المسلم العاقل وحذره من «الملاحم» التي تكتب في هذا العصر، ثم عرض الذين ذكروا ابن أبي عقب، والرأي فيه، وفي ملاحمه، ثم الخاتمة التي خلص فيها إلى أن الوجود التاريخي لصاحب الملاحم بالاسم والصفة المزعومة لم يصح فيه خبر، ولن يصح؛ لأنه، وما يرمي إليه، باطل من القول والعقد وزور.



آل مريع، أحمد علي/ جمع السنة النبوية في كتاب واحد: المشروع والتصور، قرأ الكتاب وعلق عليه: يحيى البكري الشهري.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٨٨ص.

يطرح المؤلف في هذا الكتاب مشروع تصور يهدف لجمع السنة النبوية الشريفة في مصنف واحد؛ لتكون مع القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر الشريعة في متناول أيدي المسلمين جميعًا؛ عامتهم وخاصتهم؛ بطريقة صحيحة ميسرة، وتتأكد أهمية هذا المشروع بصفته خدمة للسنة النبوية، وعودة إلى التلقي المباشر من مصادر التشريع الأصلية، وجامعًا وموحدًا، ونابذًا للفرقة والاختلاف حول النصوص؛ في وقت أخذت فيه دعوات مشبوهة تطل برأسها لتجذير الفرقة بين المسلمين على أساس من اختلاف النظر للسنة النبوية ثبوتًا وحُجيّة.

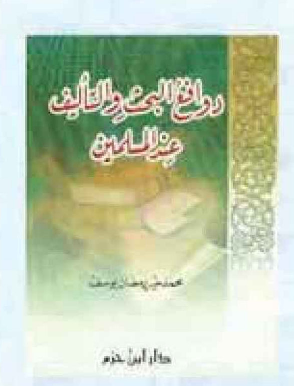


النحوي، عدنان بن علي رضا بن محمد/ هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات.- الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٢٦٩ص.

حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يبين - بقدر ما يستطيع - أن المسلمين لن يجنوا خيرًا أبدًا بالتنازل عن أي شيء من الإسلام، أو بتحريف أي نص منه، أو بتأويل فاسد لنصوص أخرى، وأن باب النصر باب واحد، وطريقه طريق واحد، ألا وهو الاستقامة على أمر الله والاستجابة لأمره، وإخلاص النية، وحمل الدعوة الإسلامية بوضوح وجرأة، وتبليغها كما أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم، حتى لا نقع فيما وقع فيه اليهود والنصارى من تحريف للتوراة والإنجيل.

تغيير إداري وعمراني شامل ضمن خطط موضوعة لذلك، ويتناول الكتاب نشأة الجمعيات التعاونية الاستهلاكية وانتشارها في الكويت، وأهدافها التعاونية، التي أسست من أجلها وعلاقتها بالتشريع التعاوني، وتحليل أداء أنشطة هذه التعاونيات، من خلال حجم المساهمة فيها، ومن خلال تغير حجم المبيعات من سنة إلى أخرى، وحجم كفاءة العمالة، والأرباح المحققة، وأنشطة الأسواق المركزية والفروع، وغير ذلك من هموم الجمعيات التعاونية.

يوسف، محمد خير رمضان/ دوافع البحث والتأليف عند المسلمين.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ١٦٥ص.



القصد من هذا الكتاب هو بيان أسباب التأليف، أي دوافعه، وبواعثه، وأغراضه، التي جعلها بعضهم سبعة، وزاد بعضهم عليها فجعلها ثمانية، وقد نظمها بعضهم في أبيات هي:

ألا فاعلمن أن التآليف سبعة
لكل لبيب في النصيحة خالص
فشرحٌ لإغلاق وتصحيح مخطئ
وإبدالُ حَبْرٍ مقدم غيرِ ناكص
وترتيبُ منثور وجمعُ مفرَّق
وتقصيرُ تطويل وتتميمُ ناقص

وقد جمع الكاتب في منهجه في هذا الكتاب بين الدراسة النظرية، والتطبيقية، والتحليلية، والاستنتاجية، فقد بوب، وقسم، وأورد لكل سبب من أسباب التأليف مثالاً أو اثنين أو عدة أمثلة، لعلوم وفنون مختلفة من التراث الإسلامي، وقبل الأمثلة قدّم موجزًا بما يرمي إليه السبب، أو الدافع، وكيف يكون، وغالبًا ما استنتجه من الأمثلة والنماذج.

الحازمي، منصور إبراهيم/ معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية: صحيفة صوت الحجاز من سنة ١٣٥٠ إلى سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٣٢ - ١٩٤١م.- الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ، مج٢، ٦٤٩ص.



هذا هو الجزء الثاني من المعجم الذي صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م عن صحيفة «أم القرى»؛ ولا يختلف صنيع المؤلف في المعجم الحالي - صوت الحجاز - عن صنيعه السابق في صحيفة «أم القرى»، وذلك من حيث ترتيب المواد ورصد الموضوعات، والكشف عن مضامينها المتباينة.

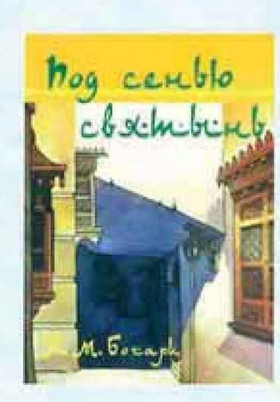
وقد بلغ العدد الإجمالي لمواد المعجم الحالي ٢٠٣٦ مادة، أي ما يقرب من ضعف



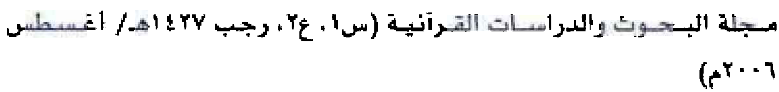
مواد المعجم السابق، وقد قُسمت إلى قسمين: القسم الأول ـ الشعر ـ وبلغت مواده ٥٥٨ قصيدة ومقطوعة، والقسم الثاني ـ النثر ـ وبلغت مواده ١٤٧٨ مادة. وقد رُتبت مواد كل قسم حسب الفنون والموضوعات، مع توضيح موجز عن محتوى كل مادة من هذه المواد ، وألحق هذا المعجم، بتعليقات مختصرة على بعض المواد، كما ألحق بفهارس للأعلام والتوقيعات المستعارة، والآثار المُغْفلة والافتتاحيات.

بوقري، حمزة محمد/ سقيفة الصفا، (نقلها إلى الروسية): مرتضى سيد عمروف ـ موسكو: معهد الاستشراق لأكاديمية العلوم، ٢٠٠٦م، ١٧٦ص.

تعطي هذه الرواية فكرة عن البيئة الاجتماعية في مكة المكرمة، وكيف كانت عليه في فترة زمنية معينة، وهي إحدى أولى الروايات، التي جاءت في القصة العربية السعودية على شكل سيرة ذاتية، واضحة المعالم، قوية الصياغة، على نحو روائي، فقد أعطت صورة واضحة وواقعية، عن المجتمع السعودي، وبخاصة المجتمع المكي، على مدى نصف قرن، بكل إيجابياته وسلبياته، وينقل هذا العمل الإبداعي المملوء بالأحداث قارئه إلى محيط الحياة في العاصمة المقدسة ـ مكة المكرمة ـ في الثلاثينيات والستينيات من القرن الميلادي الماضي، ويعرفه بعادات سكانها، وحياة الأسرة العادية، ونظام التعليم في المدرسة المكية، ويمنح المؤلف القارئ إمكانية أن يمرّ به، وأن يعاني معه في جميع مراحل نشأة بطل الرواية ـ طفولته، ومراهقته وشبيبته. وكتبت الأستاذة الدكتورة فاليريا كيربيتشينكو ـ استاذة الأدب العربي الحديث بجامعة موسكو ـ مقدمة للترجمة الروسية، قالت فيها: «إن القارئ الروسي الذي لم يزر بلدان أوربا وأمريكا أبدًا، يستطيع أن يتصور الحياة اليومية لمواطن باريس، أو لندن، أو نيويورك، وعاداته ونمط أفكاره؛ لأن في خدمته مكتبة ضخمة من مؤلفات الأدب الغربي المترجمة إلى اللغة الروسية، سواء أكانت هذه المؤلفات لآداب العصور الماضية، أم لأيامنا هذه، أما حياة المواطن العادي في مكة المكرمة، فهي أمر يختلف اختلافًا تامًا، فإن ترجمة مؤلفات أدباء الجزيرة العربية، ومن ضمنها المملكة العربية السعودية، يمكن أن تعد بأصابع اليد ....».
ثم قدمت الأستاذة الدكتورة فاليريا كيربيتشينكو تعريفًا لبوقري، تسلط الضوء على سيرة ذاتية له، حياته، ودراسته، ووظائفه، ومؤلفاته، ثم قدمت رؤية نقدية للرواية.
تجدر الإشارة إلى أن رواية «ثمن التضحية» للكاتب العربي السعودي حامد دمنهوري، كانت أول رواية سعودية ترجمت إلى اللغة الروسية، ترجمها غ. ليبيديف، ونشرتها قبل أربعين سنة دار «التقدم» للنشر بموسكو عام ١٩٦٦م.









مـجلة البـحـوث والدراسـات القـرآنيـة (س١، ع٢، رجب ١٤٢٧هـ/ أغـسطس ٢٠٠٦م)

مجلة علمية محكّمة متخصصة في القرآن الكريم وعلومه، تصدر مرتين سنويًا.
صدر العدد الثاني من مجلة البحوث والدراسات القرآنية، وهو يحوي عددًا كبيرًا من الدراسات والبحوث المعنية بالقرآن الكريم وعلومه، بدأت بموضوع الدكـتور طه عـابدين طه بعنوان: «مـزايا الرسم العـثـمـاني وفـوائده»، وقـدّم الدكتور سليـمـان بن علي موضوعًا بعنوان: «المظاهر الصوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل: دراسـة نقدية لبعض التـرجـمـات الفـرنسـيـة والإنجليـزية»، وتناول الدكتور إلمير رفائيل كوليف «تاريخ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية»، وختم البحوث بحث بعنوان: «مفـردة الحسن البصري: ذكر ما خـالف به الحسن البـصـري أبا عـمـرو بن العـلاء، غيـر ما اتفـقا عليـه وما لا خـلاف فـيـه»، تـأليف: أبي علي الحـسن بن علي الأهـوازي (٣٦٢ ـ ٤٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور عمار أمين الدَّدُّو.

وجـاء في العدد كذلك: أخـبـار المجامع، وإصـدارات المجمع، وتوصيـات ندوة «ترجـمـة مـعـاني القـرآن الكريم: تقـديم للمـاضي، وتخطيط للمـسـتـقـبل» التي عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة من ١٠ إلى ١٢ صـفـر سنة ١٤٢٣هـ، وخـتـمت المجلة بتـرجـمـة ملخـصـات البـحـوث الإنجليزية، وجاءت عن «دراسـة مسحية للأعمال المرجعية عن القـرآن الكريم باللغة الإنجليزية» للبروفسور عبدالرحيم القدوائي.

العنوان:

المدينة المنورة

ص.ب: ٦٢٦٢

هـاتف: ٠٠٩٦٦ ـ ٠٤ ـ ٨٦١٥٦٠٠

تحويلة: ١٨١٠

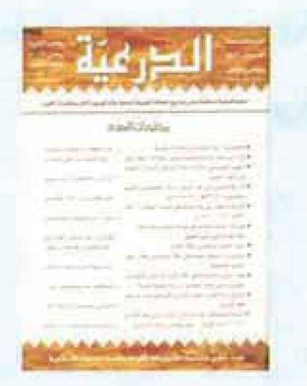
البريد الإلكتروني: journal@qurancomplex.org

موقع المجلة على الإنترنت: www.qurancomplex.org/journal

الدرعية (س٩، ع ٣٤ و ٣٥، جمادى الآخرة ـ رمضان ١٤٢٧هـ/ يوليو ـ أكتوبر ٢٠٠٦م)

مجلة فصلية محكّمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية، والجزيرة العربية،





وتراث العرب. صدر هذا العدد المزدوج الخاص من المجلة بمناسبة الاحتفاء بمكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، التي جرت فعالياتها في أم القرى، وفي أنحاء المملكة العربية السعودية على مدار سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م؛ تقديرًا من العالم الإسلامي للدور الريادي لمنبع الرسالة المحمدية الخالدة، التي هي عاصمة أبدية للعلم والثقافة الإسلامية.

بدأت المجلة بموضوع «رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لمستقبل دعوته في أثناء العهد المكي» للدكتور عبدالرحمن بن علي السنيدي، وتناول الدكتور عادل بن محمد السبيعي «الجهود العلمية في خدمة السنة النبوية في الحرمين الشريفين في العهد السعودي»، وناقش الدكتور عبدالعزيز بن راشد السنيدي «أثر مكة العلمي على بلاد اليمن خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ٥٧٠ - ٩٢٣هـ/ ١١٧٤ - ١٥١٧م»، وكتبت الدكتورة ليلى أمين عبدالمجيد عن «الأسبلة والمطاهر في مكة المكرمة في العصر المملوكي «٦٦٧ - ٩٢٣هـ/ ١٢٦٨ - ١٥١٧م».

وتناول الدكتور بسام بن عبدالعزيز الخراشي، والدكتور عبد اللطيف بن عبدالله بن دهيش «أمن مكة المكرمة والمشاعر في مواسم الحج من خلال كتاب: شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي»، وأرّخ الدكتور سهيل صابان لـ «جوانب من الحياة العلمية في مكة المكرمة من خلال بعض الوثائق العثمانية»، وقدمت الدكتورة عواطف بنت محمد نواب دراسة تحليلية مقارنة لـ «بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة منذ القرن الرابع عشر الهجري حتى وقتنا الحاضر»، وكتبت الأستاذة أماني جعفر الغازي عن «الشيخ عبدالله بن محمد الغازي المكي في عيون مؤرخي مكة المكرمة».

وكان آخر بحوث العدد عرضًا لكتاب: «الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي ١٢١٥ - ١٣١٧هـ» تأليف الدكتور يحيى محمود بن جنيد، قدم العرض الدكتور منير محمد سالم.

العنوان:

المملكة العربية السعودية

ص.ب: ١٥١٨٥٨ - الرياض: ١١٧٧٥

هاتف: ٤٢٦٤٦٩٢

ناسوخ: ٤٢٦٤٦٩٢

بريد إلكتروني: info@ addiriyah.org

موقع المجلة على الإنترنت: WWW.addiriyah.org





المقاطعة الاقتصادية ترف أم ضرورة؟

محمد بن علي الهرفي
الهفوف ـ السعودية

يُعرف المعجم المقاطعة بأنها: «الامتناع عن معاملة الآخرين اقتصاديًا أو اجتماعيًا وفق نظام جماعي مرسوم»(١).

أما المنجد الأبجدي فيقول في تعريفها: «عدم التعامل مع شخص، أو شركة، أو مؤسسة، أو دولة، ومنه مقاطعة بلد منتجات بلد آخر وحاصلاته»(٢).

وشاع استعمال هذه الكلمة في وقتنا المعاصر في مقاطعة أشخاص، أو دولة بضائع دولة أخرى ـ بيعًا أو شراءً ـ بهدف الضغط عليها لتحقيق مصالح معينة، أو دفع مضار متوقعة..

وفكرة المقاطعة الاقتصادية ليست وليدة عصرنا الحالي، فقد عرفتها شعوب كثيرة، ومارستها في واقع حياتها بحثًا عن مصالحها بحسب رؤيتها. ففي تاريخنا الإسلامي نجد أن ثُمامة بن أثال ـ سيد اليمامة ـ بعد أن أعلن إسلامه أمام الرسول الكريم، وعاد إلى بلده، أعلن أنه لن يرسل إلى القرشيين الحنطة، التي كانوا يعتمدون عليها في حياتهم بصورة كبيرة، وكان يهدف إلى الضغط عليهم بوصفهم محاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أثرت هذه المقاطعة كثيرًا في القرشيين في مكة؛ وهذا ما جعلهم يلجؤون إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة ليرسل إليهم طعامهم، فاستجاب الرسول لهم، وطلب من ثمامة رفع الحصار عنهم، فاستجاب ثمامة لطلب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم(٣).

ويتحدث تاريخ الدولة الأموية أن عبدالملك بن مروان لجأ إلى سلاح المقاطعة ضد الرومان، عندما أصر الرومان على كتابة عبارات، أو رسوم على الأقمشة المصدرة إلى المسلمين لا تتفق مع عقائدهم، وكذلك عندما أرادت الدولة الرومانية كتابة عبارات لا تتفق مع الرؤية الإسلامية على النقود، التي كان يتعامل بها المسلمون.

أمام ذلك لم يجد عبدالملك بن مروان بدًا من الإصرار على عمل نقود إسلامية وملابس تصنع في الدولة الإسلامية، وهكذا كان، وعندما راسله الرومان متراجعين عن مواقفهم؛ لأنهم شعروا بفداحة الخسائر التي لحقت بهم أشعرهم أن المسلمين أصبحوا في غنى عنهم بما صنعوه لأنفسهم.

والمقاطعة الاقتصادية نوع من العقوبات المستخدمة في القانون الدولي المعاصر، وقد استخدمتها الهند ضد المنتجات البريطانية؛ بهدف دفع الاحتلال البريطاني إلى الخروج من الهند(٤).

وقد تناول موضوع المقاطعة الاقتصادية عدد من العلماء المعاصرين، منهم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، إذ قال عنها: «الكافر لا يمكّن مما يعينه على حرب أهل الإسلام، ولو بالميرة، والمال، ونحوهما»(٥).

ومنهم الشيخ عبدالله بن جبرين الذي يرى أن على المسلم بذل جهده في مساعدة المسلمين بكل الإمكانات، وكذلك إضعاف الكافرين بكل ما يستطيعه، ومنها مقاطعة بضائعهم، وترك التعامل معهم.

ومثله الشيخ يوسف القرضاوي، وعدد كبير من علماء المسلمين في دول إسلامية كثيرة..

أما اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية فقد رأت أن شراء البضائع المباحة جائز في كل وقت إلا إذا رأى وليّ الأمر شيئًا غير ذلك(٦).

الحديث عن المقاطعة يتردد كثيرًا في الأوساط

الإسلامية بحسب الأحداث التي تمرّ بها هذه الأوساط، فهناك دعوات لمقاطعة البضائع الأمريكية، وهذه الدعوات تصاعدت بقوة بعد الاحتلال الأمريكي العراق، وهناك دعوات لمقاطعة البضائع الدنماركية بسبب إساءة الدنمارك للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. أما مقاطعة البضائع الإسرائيلية فهي دعوة دائمة منذ احتلال اليهود فلسطين حتى الآن. وتزداد هذه الدعوة كلما قام الصهاينة بجرائم كبيرة ضد الفلسطينيين.

الدعوة لمقاطعة البضائع الإسرائيلية كانت هدفًا لكل الدول العربية من خلال مكاتب المقاطعة المنتشرة في كل دولة عربية، وهذه الدعوة تتجاوب مع رغبة الشعوب العربية. والواقع أن هذه المقاطعة كانت تنفذ بشكل جيد، وكانت تؤتي ثمارها بصورة قوية، إذ تلحق الأذى بإسرائيل، وتجعلها في عزلة شبه تامة.

وبسبب هذه العزلة كان الإسرائيليون حريصين على تحجيم تلك المقاطعة وإضعافها، وكان قادة الصهاينة يرون أن هذه الاتفاقات أهم بكثير من كل الاتفاقات السياسية، هذه الاتفاقات التي كان يقول عنها أرييل شارون: إنها لا تساوي الورق الذي تكتب عليه..

ومن أجل تحقيق مصالح إسرائيل الاقتصادية حاولت أمريكا - وما زالت تحاول - الضغط على الدول العربية من أجل إنهاء هذه المقاطعة بكل صورها: سياسية كانت، أم اقتصادية، ومن أجل تحقيق هذا الهدف جعلت موافقتها على قبول أي دولة في منظمة التجارة العالمية إنهاءها لكل أشكال المقاطعة لإسرائيل.

ومن أبرز الوسائل التي اتخذتها إسرائيل لتحقيق أهدافها توقيع اتفاقات «الكويز» مع مصر والأردن، وقد أتاحت لها هذه الاتفاقات دخول أسواق هاتين الدولتين بصورة معلنة.

وقد أكد معهد التصدير الإسرائيلي أن حجم الصادرات الإسرائيلية إلى بعض الدول العربية ارتفع خلال الأشهر التسعة الأولى من عام ٢٠٠٥م بنسبة ٢٦٪ قياسًا بالفترة ذاتها من عام ٢٠٠٤م، وبمبلغ ١٧١ مليون دولار.

وهناك إحصاءات أخرى أصدرها المعهد، أكد فيها زيادة صادرات إسرائيل، وتنويع طرائقها لمجموعة من الدول العربية، وهذه الإحصاءات تؤكد أن المقاطعة العربية لإسرائيل بدأت تضعف بصورة واضحة، على الرغم من الانتهاكات اليهودية المستمرة للأراضي الفلسطينية، والقتل المستمر للشعب الفلسطيني..

ومع أن ثقافة المقاطعة لدى الشعوب العربية لا تزال في مهدها، إلا أنها أثبتت تأثيرها في الشركات المقاطعة، وفي الدول التي توجد فيها هذه الشركات...

المقاطعة - كما أراها - ليست ترفًا، بل هي عملٌ منظم يهدف إلى تحقيق مصالح معينة للأفراد والدول، وقد تصبح من الضرورات في بعض الأحيان. ولكي تحقق أهدافها لا بد من نشر ثقافة المقاطعة، لكي يمارسها الأفراد في الوقت الذي يحتاج إليها مجتمعهم، وبصورة تلقائية.

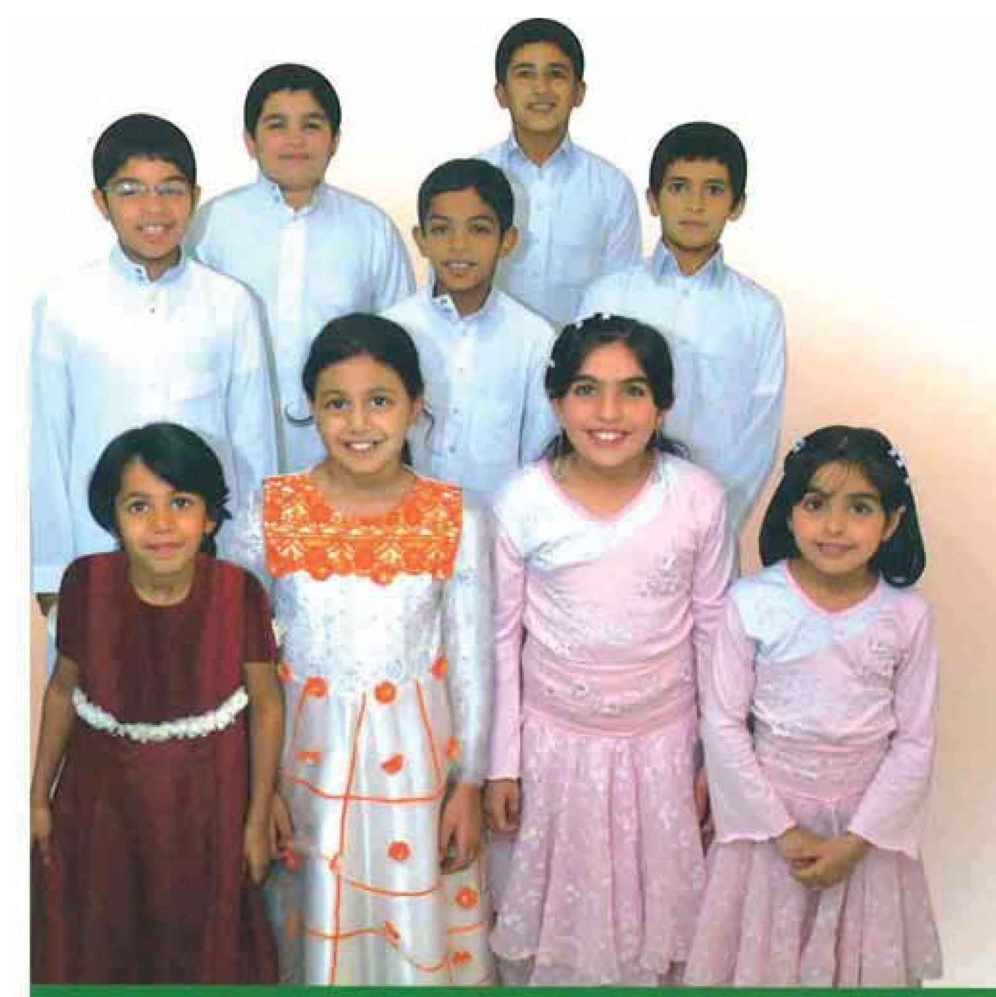
هناك حرب مستمرة على بعض الثوابت الإسلامية، وهناك احتلال لبعض الدول العربية، وليس من خيار امام الفرد المسلم إلا سلاح المقاطعة: لأنه لا يملك غير هذا السلاح، ولو فعلت الدول العربية الشيء نفسه لما تجرأ أحد على الإساءة إلى الإسلام أو المسلمين.

الهوامش

١. المعجم الوسيط: ٢/٧٤٦
٢. المنجد الأبجدي، ص٩٨٧.
٣. السيرة النبوية، ابن هشام، ٢، ٣٨١.
٤. دائرة المعارف الحديثة، أحمد عطية الله، مصر، ط١ ص ٢٤٦.
٥. الدرر السنية ٨/ ٣٤٠.
٦. فتوى رقم ٢١٧٧٦ بتاريخ ٣٢/١٢/١٤٢١هـ.



بعطائكم





انسان